



الليثاوية

وهي رواية كوميدى درام ذات مئة فصول
تمثها شركة ترقية التمثيل العربى (آل عكاشة)

نطلب مجانا مجموعة

مراثى المحور محمد نابتيمو

من العائلة رأسا

وهي مجموعة ما قبل من المراثى فى حفلى التأبين وما نشرته الصحف

نحت الطبع و يظهر قريباً

كتاب

المسرح المصري

وهو الجزء الثالث من المؤلفات
ويحتوي على الروايات الآتية

العصفور في القفص

وهي رواية كوميدى ذات أربعة فصول
مثلها جوق الأستاذ رشدى

العنزة الطيبة

وهي رواية كوميدى أوبريت ذات أربعة فصول
مثلها جوق نجيب افندى الريحاني

نحت الطبع ويظهر قريباً

كتاب

حَيَاتِنَا التَّمثِيلِيَّةُ

الجزء الثاني من مؤلفات الفقير

يحتوى هذا الجزء على كل ما كتبه الفقير عن التمثيل مثل
منولوجاته التمثيلية ومقالاته الانتقادية ومحاكمته للمؤلفين الروائيين الخ
مضافاً الى ذلك رواية

عَبْدُ التَّارِافِنْدَى

وهى رواية كوميدى ذات أربعة فصول
مثله الممثل المشهور عزيز افندى عيىد

بيان

عن

الجزء الثاني والثالث من مؤلفات

فقيه الأدب والمسرح

المصنف
محمد بن تيمون

فهرسة الصور

| | صفحة |
|--|------|
| صورة رمزية تمثل آمال الحياة المحطمة والعمل الخالد للادب والفن | ١ |
| الصغير محمد تيمور . الطفل الذي لم يره أبوه | ٥ |
| المرحوم محمد بك تيمور في العقد الثالث من عمره | ٧ |
| المرحوم محمد بك تيمور وابنته ربرى | ٢٣ |
| المرحوم محمد بك تيمور طالب حقوق بباريس | ٢٥ |

| | |
|--|-----|
| ولكن المرأة لم تخلق لهذا النعيم في مصر | ٣٦٦ |
| لبن بقهوة ولبن بالتراب | ٣٦٨ |
| سر من أسرار تأخر المصريين | ٣٧٠ |
| سارق وسارق | ٣٧٣ |
| هنا وهناك | ٣٧٦ |

| | |
|-------------------------------|-----|
| الكتاب السادس . مذكرات بارييس | ٣٧٩ |
| اليوم الاول | ٣٨١ |
| حول المرأة | ٣٨٥ |
| ليلة في الأديون | ٣٨٩ |
| صديق من أمريكا | ٣٩٥ |
| خرطوش وسكر | ٤٠١ |
| هو وهي | ٤٠٥ |

أدمون روستان ٢٠٨

شاتو بريان ٢١٠

الكتاب الرابع . ما تراه العيون ٢١٥

في القطار ٢١٧

عطفة ال . . . منزل رقم ٢٢ ٢٢٤

بيت الكرم ٢٣٠

حفلة طرب ٢٣٨

صفارة العيد ٢٤٣

ربي لمن خلقت هذا النعيم ! ٢٥٠

كان طفلا فصار شابا ٢٥٦

العاشق المفتون بالرب والنياشين ٢٦٢

قصة الشباب الضائع ٢٧١

الكتاب الخامس . خواطر ٣٤٩

ريان يا فجل ٣٥١

للقراء مجانا ٣٥٤

درس في كتاب ٣٥٨

عرس وماتم ٣٦١

رمضان في قهوة ماتاتيا ٣٦٣

| | |
|---------------|-----|
| الماضى | ١٥١ |
| الشاعر والليل | ١٥٣ |
| حب البقاء | ١٥٦ |
| حديث زهرة | ١٥٨ |
| المهرم الاكبر | ١٦٣ |

| | |
|---------------------------------|-----|
| الكتاب الثالث . الادب والاجتماع | ١٦٥ |
| الخوف من الحياة | ١٦٧ |
| الافكار القديمة والحديثة | ١٧١ |
| المجمع اللغوى | ١٧٣ |
| شخصيتنا | ١٧٦ |
| أمرأؤنا | ١٧٨ |
| العام الجديد | ١٨٠ |
| نظرات فى تاريخ مصر | ١٨٣ |
| الوطن | ١٨٦ |
| مدرسة القضاء الشرعى | ١٨٨ |
| بول آدم | ١٩١ |
| المواكب لجبران خليل جبران | ١٩٣ |
| شوقى | ٢٠٢ |
| الفرد رول | ٢٠٧ |

| | صفحة |
|-----------------|------|
| أنا وهي | ١٣٤ |
| حياة الخاطر | ١٣٥ |
| أنتِ ! | ١٣٦ |
| ليسلى طويل | ١٣٧ |
| حياتي | ١٣٧ |
| أرجوحة اللاعب | ١٣٨ |
| هديتي | ١٣٨ |
| الريح | ١٣٨ |
| أحن إلى الاوجاع | ١٣٨ |
| الظبي النافر | ١٣٩ |
| أخاف | ١٣٩ |
| أنا وأنت | ١٤٠ |
| أمامه | ١٤٠ |
| نقشة مصدر | ١٤١ |
| يا قصر المهاجر | ١٤٢ |
| دمع الشفق | ١٤٣ |

الكتاب الثاني . الوجدان ١٤٥

عودة الموجهة ١٤٧

متى أنساها ١٤٩

| | صفحة |
|-------------------|------|
| خوفو | ١١٥ |
| حَكَمَ الحَب | ١١٧ |
| خواطر الوحدة | ١١٨ |
| الدار الحزينة | ١٢٠ |
| الضحايا | ١٢١ |
| يلومني قومي | ١٢٢ |
| صبراً يا فؤادي | ١٢٢ |
| ويك قلمي | ١٢٣ |
| الشفق | ١٢٤ |
| الطائر السجين | ١٢٥ |
| عرش الحداد | ١٢٦ |
| استعطاف | ١٢٦ |
| صورة من صور الليل | ١٢٧ |
| زفرات الشباب | ١٢٨ |
| اعتذار | ١٢٩ |
| الجرح الاول | ١٣١ |
| كما تشائين | ١٣٢ |
| عبياً تبكي | ١٣٢ |
| ليلة | ١٣٣ |
| مولود الهموم | ١٣٣ |

| | صفحة |
|--------------------------------|------|
| ضحكات طفل | ٩٤ |
| الليل | ٩٤ |
| دمعة عين | ٩٥ |
| اللقيط | ٩٦ |
| الترجسة اليانعة فوق قبر الشاعر | ٩٧ |
| القلب | ٩٧ |
| شجرة على شفا الموت | ٩٨ |
| الهرم الاكبر | ٩٩ |
| الببلب الصامت | ١٠٠ |
| نفس الشاعر | ١٠١ |
| الشاعر الغضبان | ١٠٢ |
| النجم الآفل | ١٠٤ |
| ظلام النفس | ١٠٤ |
| الذكرى | ١٠٥ |
| أمس واليوم | ١٠٦ |
| الليل أقبل | ١٠٧ |
| الصباح أقبل | ١٠٨ |
| ساطان الليل | ١٠٩ |
| الفجر الاول لمحمد على | ١١١ |
| النهاية | ١١٢ |

| | |
|---------------------------|----|
| خواطر | ٤٠ |
| مذكرات باريس | ٤١ |
| ما كتبه عن التمثيل | ٤٤ |
| منولوجاته التمثيلية | ٤٥ |
| نقده على الممثلين | ٤٨ |
| محاكمة المؤلفين الروائيين | ٥٠ |
| مقالات مختلفة عن التمثيل | ٥١ |
| رواياته التمثيلية | ٥٣ |
| مقدمة عن الثلاث روايات | ٥٤ |
| المصفور في القفص | ٥٧ |
| عبد الستار افندى | ٦٤ |
| الهاوية | ٧٥ |
| خاتمة | ٨٨ |

الكتاب الاول . ديوان تيهور

| | |
|-------------------|----|
| اهداء الديوان | ٩٠ |
| مقدمة الديوان | ٩١ |
| شعار صاحب الديوان | ٩٢ |
| شاب يحتضر | ٩٣ |
| الغريب الفقير | ٩٣ |

الفهرست

| | صفحة |
|---|------|
| المقدمة | ٣ |
| اهداء الكتاب | ٤ |
| الى اخى | ٦ |
| محمد تيمور . رسالة عن تاريخ حياته وشرح أعماله | ٩ |
| تاريخ حياته | ١١ |
| الطور الأول . حياته الأولى في مصر | ١٢ |
| الطور الثانى . حياته فى أوروبا | ١٥ |
| الطور الثالث . الرجوع الى مصر : طور العمل | ١٧ |
| مؤلفاته | ٣٢ |
| قطعه التنظيميه | ٣٢ |
| نثره | ٣٥ |
| قطعه الوجدانية | ٣٦ |
| قطعه الاجتماعية والأدبية | ٣٦ |
| قطعه القصصية | ٣٨ |
| ما تراه العيون | ٣٨ |
| الشباب الضائع | ٣٩ |

فهرسة الكتاب

انتهى كتاب وميض الروح وهو الجزء الأول من مؤلفات
المرحوم محمد بك تيمور ويليه الجزء الثاني وعنوانه :

حياتنا التمثيلية

حقوق طبع . مؤلفات المرحوم محمد بك تيمور
محفوظة للناسر محمود تيمور

كل نسخة غير ممضاة باهضاء الناسر تعد مسروقة



— لقد عدت يا صديقي . لعلك كنت سعيد الحظ

— لم أوفق كل التوفيق ف

— لا تبدى مسألتك فانها مسألة عويصة . الى اللقاء

وهمَّ بمغادرته فاستوقفه حسن وقال له .

— ما هذا الاسراع ؟

— سنبتدىء الليلة في منتصف الساعة الثامنة لطول الرواية ونحن

الآن في الساعة السابعة فأماى نصف ساعة تكفى لصبغ وجهى وارتداء

ملابسى التمثيلية . الى اللقاء يا صديقي . أرجو أن ألقاك غداً عند منتصف

الليل في قهوة بلزار وأرجو أن تكون في المرة القادمة أسعد حظاً

وأكثر توفيقاً

وغادره ودخل دار التمثيل فوقف حمسن هنيهة ثم ذهب الى شباك

التذاكر واشترى تذكرة وقد ألهاه ما رآه في ذلك اليوم عن تناول

طعام العشاء

(ملاحظة) لم يكتب المؤلف من مذكراته غير ما نشرناه هنا

تم الكتاب

— عن الفلسفة ! هذا كثير : وهل يروق لكما أن تتحدثا عن
الفلسفة واتما في هذه الدار . وهل انتقل السربون الى دار مدام هيبرى
حتى تتناقشان في آراء فلسفية تصدع الرأس !
فضحك الجميع ثم مكثوا قليلا يتحدثون ويضحكون وأن وقت
الانصراف فاستأذن المدعوون وخرجوا وتفرقوا عند رأس الشارع وسار
حسن وصديقه البير في شارع فوجيرار فقال البير .

— لقد لاحظت كل شىء يا صديقى ولا مربة بعد اليوم فى
غرامك

فضحك حسن وقال

— ربما كان الأمر كذلك

ووصلا إلى تياترو الأديون فصعد حسن على سامه وعرج على
مكتبته واشترى ديوان المعرى فقال له صديقه
— لمن تشتري هذا الكتاب ؟

— لنفسى

فابتسم البير وقال

— أو لنفسك الثانية

واستأذن من صديقه وغادره أمام تلك الدار التمثيلية فلما خلى حسن
بنفسه وقف هنيهة يفكر ثم قال (يالله لم أهتمد بعد لسر هذه الفتاة بل
لسر تلك الاسرة الغريبة) وإذا به يسمع صديقه الممثل درفينى يقول له

أهتدإ شئ فأنا من جماعة المتشائمين الذين لا يرون فى الحياة إلا شقاء
يتبعه شقاء .

— لملك قرأت كتب شو بنهور .

— لم أقرأ منها حرفاً واحداً . وإن كانت آراءه كما تقول فأنا أول

من يسير على آثاره

— أو على آثار المعرى .

— ومن هو المعرى ؟

— فيلسوف العرب وإنى أذكر له بيتاً من الشعر يتضمن لباب

فلسفته الأ وهو .

(هذا جناه أبى علىّ وما جنيت على أحد)

وترجم لها البيت بعد أن تلاه بالعربية فسرهما معناه وقالت له

وهى تبسم .

— ليتنى كنت أعرف العربية لأقرأ كتاب هذا الفيلسوف .

— عندى نسخة إفرنسية مترجمة عن العربية سأحضرها

لك لتقرأينها .

فشكرته وتحادثنا قليلاً وإذا بدمام لوشا قد اقتربت منهما وهى تقول .

— ماذا تفعلان هنا ؟

فاجاب حسن

— نتحدث على الفلسفة

— نعم أنت . أراك تنفر منى نفور الفأر من القط فما الذى
يخيفك منى ؟

— أو كد لك يا مدموازيل

— لا أحب كثرة الكلام ولا أريد أن تكون كصديقتنا جيزيل
فمنوغرافاً لا ينقطع عن الحديث . إن أردت أن تبرهن لى على صداقتك
أو شدت الأفضاح عن حبك . . . (وابتسمت بعد أن تناولت يده
وهزتها فى يدها) فاحضر غداً فى الساعة الرابعة بجوار نافورة ميديسيس
فى حديقة اللكسمبورج . سنكون جميعاً هناك وربما حادثك فى شئون
شقى تهملك . أتعذنى بالحضور .

ففكر حسن هنيهة وقال لنفسه (وما ضرنى لو ذهبت لأرى
مرجريت) ثم قال لمارى .

— سأكون هناك فى الميعاد يا مدموازيل .

ونادت مدام هيبرى ابنتها مارى فلبت نداءها وغادرت حسناً فى
مكانه وقد سرده زهابها . فلما خلا بنفسه اقترب من مدموازيل
مرجريت وقال :

— الطقس جميل اليوم يا مدموازيل ،

— أجل . وليكنى أحب الغيام كثيراً وأرى بين نفسى وبين

الظلام اتصالاً كبيراً .

— يظهر لى أن المدموازيل حزينة .

— ربما كان الامر كذلك . ولقد بحثت كثيراً عن سر حزنى فلم

تتسيطر فيه على قلوب الرجال لتفعل بها ما تشاء وليكنه ما زال بين النساء من يدافعن عن شرفهن ويجاهدن في سبيل ذلك جهاد المستميت فهن والحمد لله أكثر من الزهور قوة ولهن من سبل الدفاع ما يجعلهن في مأمن من غدر الرجال .

ثم سكتت المدموازيل مرجريت وهي تنظر المسيو بفلوفسكى وتبسمت بعد أن انتقمت لنفسها من هذا الرجل بهذا الحديث الطويل وفهم حسن معنى حديثها وعرف السر الذي دفعها لذكره فسره ذلك وأثنج صدره واستطاره الفرح فقال .

— لك الله يا مدموازيل . لقد نطقت بفصل الخطاب .

أما مدام لوشا ومدام هيمرى فقد وقع عليهما هذا الحديث وقوع الصاعقة أما المدموازيل ماري فلم تأبه لما قالته أختها بل قامت من مكانها وغادرت المائدة وقام الجماعة في أثرها وتفرقوا في أنحاء الصالون وود حسن أن يقترب من مرجريت ليحادثها وليكنه وجد المدموازيل ماري قد حالت بينه وبين حبيبته ثم قاده من يده الى ركن من أركان الغرفة وقالت له مازحة .

— يالك من شيطان ما كر .

— أنت قاسية في حكمك يا سيدتى .

— ربما كان الامر كذلك ولكنك أشد منى قسوة .

— أنا ؟

فسكنت ثورته وقرت فورته وحدث جاره ، ما كس في شؤون شتى لينسى
ما حدث واذا بدمام لوشا قد وضعت يدها على تمثال صغير لالهة الجمال
(فيثوس) وقالت :

— ما أجمل هذا التمثال .

فضحك بفلو فسكى وقال .

— يمثل هذا الجمال تذوق المرأة لذة الحياة .

فنظرت اليه مرجريت نظرة غريبة وقالت .

— وكيف ؟

فأجابها البولندى .

— تتسيطر على قلوب الرجال تفعل بها ما تشاء .

فضحكت ماري وقالت .

— لقد أصبت فيما قلت يا سيدي .

ولكن مرجريت قطعت على أختها الحديث وقالت .

— اسمح لي المسيو بفلو فسكى بأن أقول أنه أخطأ فيما قل أو إنه

نسى شيئاً هاماً بدونه لا تقوم للجمال قائمة الا وهو جمال الروح . فالزهرة

الجميلة التي تراها في البستان تظل يانعة تخطف الابصار اذا لم تمسها يد

الانسان بسوء أما اذا قطعتم تلك اليد فانها تدبل وتموت بعد أن

يتلاشى جمالها وذلك شأن المرأة أيضاً فانها تعيش جميلة لعفتها وطهارتها

فاذا دنس الرجل طهارتها مات جمالها واندرست محاسنها وتحولت من

حالتها الاو الذي تتسيطر فيه على قلب رجل واحد الى الحال الثاني الذي

— ألم تبق في جمعة التصوير صورة أخرى ؟
فأجاب البير .

— بل صورتان يا مدموازيل .
فقال مدام لوشا .

— فليكونا من نصيب المسيو حسن .
وقالت مدام هيمرى .

— ومن ياترى يتكرم منكم بالتصوير .

فقال كريفسكى : (أنا) وقال بفوفسكى (بل أنا) وصاح ما كس
(أنا . أنا) وصح الاقتراع وكان التصوير من نصيب ما كس جلسوا
جميعاً في الشرفة مرة أخرى وجلس معهم حسن وصورهم ما كس
صورتين ثم دخلوا الصالون ليتناولوا الشاي فاما جلسوا حول المائدة ،
رأى حسن البولندى بفوفسكى يتهافت على الجالوس بجوار مارجرىت
فألمه ذلك واستهال الامر ولسوء حظه وجد البولندى قد فاز بأمنيته
وجلس بجوار مارجرىت . فاضطرم صدره وتنت كبده وقال لنفسه
(ما هذه الجرأة أيقبلها بالأمس ويجلس بجانبها اليوم . ما الذى يريد هذا
الشیطان من هذا الملاك) وأدبرت كؤوس الشاي والحلوى فأكلوا
هنيئاً وشربوا مريئاً ورأى حسن مزاحمه البولندى يسر شيئاً لمرجرىت
جزعت له الفتاة واربد وجهها الجميل وأدارت وجهها عنه التمزازاً وأثمة
فعلم حسن أن البولندى خاطبها في شيء تمس كرامتها فقاطعه ذلك
وأسخطه وكاد يفر من الغضب ولكنه كتم غيظه وخفف من حيرته

وتردد حسن في دق الجرس فقال له البير (ما هذا الجمود أيها الصديق)
ودق الجرس مرتين وانتظر قليلا وإذا بالباب قد انفتح وظهرت وراءه
الصغيرة أيفون فلما رأتها صفت بيديها .

— لقد صدق ظني يا أماء . هذا هو المسيو حسن والمسيو البير
والمدام فتوغرافيه معهما . سيصورنا اليوم فما أسعد حظنا .

ودخلا معها الصالون وصاخا مدام هيمرى والمدم وازيل ماري
ومرجريت ومدام لوشا ومدام ماريون وإبتها جيزيل ثم التفتا للرجال
وصاخا ما كس وكرينسكى وبفلوفسكى وردسيسكى وكانوا قد قدموا
للتصوير وجلس كل في مكانه وقال بفلوفسكى .

— أخشى يا مسيو حسن أن يمر الوقت دون أن نشعر .

ألا يحسن بنا أن نبادر للتصوير ؟

فهب ما كس من مكانه وقال .

— وهذا رأي أيضا .

فقال حسن .

— هيا بنا أيها السادة الى الشرفة .

وقاموا جميعا وأخذوا مكانهم في الشرفة وصورهم حسن صور
متعددة ولما انتهى من عمله قالت مدام ماريون .

— لقد صورنا المسيو حسن ولكنه لم يصور نفسه معنا

فيا لسوء الحظ .

فقالت ماري :

الصفات الأفريقية . ولكنى لم أقل غير الصدق .
أتذكر يا صاحبي تأنيق لباسك وتلك الرائحة الزكية التي تنبعث
منك؟ أكبر ظنى أنك اليوم على موعد من فتاة . قل الحق يا صديقي .
أعامة هي أم ممثلة أم امرأة متزوجة؟ الأفريقية هي أم من طالبات العلم
الأجنبيات؟

— لقد خاب ظنك يا صديقي . ألا أراك هذه الليلة في قهوة بلزار؟
— تريد أن تغير مجرى الحديث . فليكن ما تريد . كلا يا صديقي ليس
في وسعي أن أراك الليلة . وان شئت قابلتك غداً عند منتصف الليل .
وصافح صديقه المصرى واتجه نحو باب الأديون ثم غاب عن نظر
حسن . فقال حسن لنفسه (شاب زكى الفؤاد طيب الاخلاق . ما
أسمدنى بمعرفته) ثم غادر دار الأديون ودخل حديقة الكسوم بروج
وشى فى دروبها وهو يفكر وما زال يطوف طرقاتها حتى لاقى صديقه
البيير ديباس فصاحه وتحادث معه قليلا ثم نظر فى ساعته وقال (هيا بنا)
وسارا فى شارع فوجيرار ثم عرجا على شارع رين قاصدين دار مدام
هيمرى رقم ١٤٤ فلما وصلا أمامها قال البيير
— لقد وصلنا يا صديقي . أرجو أن تكون هذه المرة أكثر

ثماتا وجلدا

فابتسم حسن وقال

— فلنصعد أيها الصديق وعلى الله الاتكال

وصعدا السلم حتى وصلا الى الطابق الرابع ووقفنا أمام الباب قليلا

والكتب الادبية والتمثيل . أما الآن فقد رأى أن يضيف اليهما قسماً
آخر يخص مرجريت تلك الفتاة التي دلته واختبلته من أول نظرة
واقدم سائل نفسه مراراً لماذا يركن الى هذه الفتاة وينيط بها ثقته دون
أن يختبرها . ألم ير في أمها واختها الكبرى بل وفي تلك المرأة التي كانت
معهم (مدام لوشا) ما ينفره عن تلك الاسرة ؟ ولكن . . .

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل

وما اختاره مضني به وله عقل

ظل يقاب صفحات الكتب وإذا به يسمع صوتاً يناديه فالتفت
يمنة فرأى المسيو درفميني الممثل بدار الأديون يبتسم له ويقول :

— ماذا تفعل في تلك الساعة يا صاحبي ؟

— ألقى نظرة على هذه الكتب .

وصاحفه مصالحة الصديق للصديق وكان قد عرفه في قهوة لزار في
أحد الليالي فصادقه وأحبه ومحضه . مودته وجههما أحبهما فن التمثيل ، ووجد
حسن في صديقه الممثل رجلاً سليم الطويه طيب السريرة فكان كلما
رآه ود أن لا يفارقه . ثم قال له الممثل .

— . أجملك اليوم يا حسن . ما هذا التأنيق في اللباس وما هذه

الرائحة الزكية التي تمنعش القلب . آه ومعك فتوغرافية أيضاً . ما شاء الله
ما شاء الله .

— أنمزح أم تقول صدقاً ؟

— لا أنكر إنني أحب المزاح كثيراً وما المزاح إلا صفة من

(ولكنها أزاحت رأسها عن فمه فوقعت القبلة على شعرها . معذورة أنت يا مرجريت . معذورة أنت يا ملاكي الطاهر) ثم غادر الكلية وسار في طريقه وقال بعد أن نظر في ساعته (أمامي أربع ساعات ، ما أطول النهار اليوم) ثم عرج على حانوت تباع فيه زجاجات الروائح الزكية واشترى منه زجاجة (فيوليت) ليعطر بها جسده ويلابسه ثم ذهب الى حلاق في شارع سان ميشيل قص له شعره وحلق له لحيته وكانت قد نبقت قليلا واتبع في ذلك نصيحة صديقه ألبير ديباس ثم رجع الى داره ودخل في غرفته وأغلق الباب بالمفتاح وخلع ملابسه بعد أن بحث في خزانته عن أجل بدلة يمتلكها وارتداها وهو يبتسم ثم عطر وجهه ومنديله وجلس على كرسيه بقرب النافذة ينتظر قدوم الخادمة لتدعوه لتناول طعام الغداء . ونادته الخادمة بعد قليل وتناول غذاءه مع رفقاءه النزلاء ثم رجع الى غرفته وجلس قليلا على كرسيه ولكنه هب من مكانه ووقف أمام المرأة وأصاح رباط رقبتة وأخرج ذيل منديله الحريري من جيبه لتراه الناس ثم نظر في ساعته وقال (الساعة الثانية . أمامي ساعتان فكيف أقضيهما) وخرج من غرفته وحادث صديقه البير ديباس في التليفون واتفق معه على أن يقابله في حديقة اللكسبوريج في الساعة الرابعة وغادر النزل بعد أن حمل آلة الفوتوغرافية قاصداً تياترو الادبون وكان من عادته أن يطوف حوله مقلبا صفحات الكتب المعروضة خارج هذه الدار التمثيلية وكان يرى في ذلك لذة كبرى لا تعادلها غير لذة اهتمامه بشأن التمثيل في باريس . وكان قد قسم وقته ثلاثة أقسام : الدرس ،

هو وهى

- ٣ -

أفاق من نومه صبيحة يوم الثلاثاء وأصلح من شأنه وارتدى
ملابسه وتأبط جعبة كراساته وخرج من النزل بعد أن تناول فنجاناً
من الشاي وقليلاً من الحلوى وأخذ ستمته الى السككية وكانت قريبة من
داره فسار فى شارع السربون وخيال مرغريت أمامه لا يفارقه لحظة
واحدة بيد أنه لم يكن تعساً ولا حزيناً بعد أن عال نفسه بقرب اللقاء
فكان يقول لنفسه (سأراها اليوم وسأحدثها وربما وقفت على سر هذه
النفس الحزينة) ووصل الى باب السككية واجتاز ساحتها ثم دخل غرفة
الدرس وجلس غير بعيد عن (المسيو فال) أستاذ القانون المدنى ومرت
الساعة بعد الساعة والأساتذة والتلاميذ فى واد وهو فى واد آخر فلم
يسمع شيئاً ولم يكتب شيئاً ولم يأسف على ذلك . كان يراها أمامه وهى
جالسة فى ركن الغرفة تقلب صفحات رواية أنديانا ، وكان يراها أمامه
وهى تحادثه ، وكانت يراها أمامه وهى تزيج رأسها الجميل عن فم
بفلوفسكى ، رأى كل ذلك بعين الخيال وكان يبتسم ثم يكفهر وجهه
ويقول (لقد قبلها التعس . لقد قبلها التعس) ثم يهدأ حاله ويقول

— لا أنكر أن الفتاة جميلة ولا أنكر أنها استألفت نظري
ولكنها لم تملك على قلبي .

— من يدري سنرى ماذا يكون من أمركما يوم الثلاثاء .
وما زال يتحدثان الى أن افترقا عند شارع المدارس وسار حسن الى
النزل وهو يفكر ثم صعد الى غرفته وخلع ملابسه واستلقى على سريره
وحاول أن ينام فلم يقدر خذات نفسه قائلاً (أسرة غريبة . أم لا تركن
اليها النفس وابنة تبوح بهواها قبل أن يبوح به من راق في ناظرها وابنة
أخرى صغيرة ليست في العير ولا في النفير . أما الثالثة الوسطى فهي
أحجية من الاحجى بل لغز من الالغاز) ثم فكر قليلاً (وربما كانت
ضحية . . .) وما زال يردد هذه الحكمة ثم غلبه النعاس فنام .

يصدر كرينسكى أحكامه الى أن أتى دور بفلوفسكى فاذا به يحادث كرينسكى بالبولونية قبل أن يصاحفه ولم يلاحظ ذلك غير حسن ثم صاحفه فقال الملك (ماذا تريد أن تفعل بهذا الشخص؟) فأجاب كرينسكى (يقبل المدموازيل مرجريت) ففهم حسن سر ذلك وسكت وهو يكتم غيظه وقام الجميع لتنفيذ الاحكام وقبل بفلوفسكى مرجريت فأزاحت عنه رأسها قليلا فوقعت القبلة على شعرها واكفر وجه حسن ولا حظ صاحبه البير ذلك فأسر له تلك الجملة (يا صديقى المسكين) فابتسم حسن ابتسامة الحزين البأس ونظرت مدام همري في ساعتها وقالت لقد آن الرحيل وخرجوا جميعاً بهد أن ودعوا أسرة ماريون فلما وصلوا الى الشارع صاحفهم حسن فقالت له ماري .

— لا تنسى أن تزورنا يوم الثلاثاء .

فأجابها حسن .

— سأكون فى الميعاد يا مدموازيل .

وسارا فى طريقه مع صديقه البير وظلا ساكتين هنيهة ثم قال البير .

— ماذا حل بك أيها الصديق . لماذا لا تتكلم ؟

— لقد تملكنى الأضواء يا صديقى وسأنام الليلة ملء جفونى .

— أراهن أنك ستسهر للصباح .

— ماذا تقول ؟

— أقول أن مدموازيل مرجريت جميلة جداً .

فضحك حسن وقال :

سندهب جميعاً لزيارة أسرة تيرى . وبعد غد سأذهب لزيارة أصدقاء
آخرين فهل يتكرم علينا المسيو حسن بزيارتنا يوم الثلاثاء .

فاجابها حسن وهو ييسم .

- هذا جل ما أتمناه يا مدام .

فصفت الصغيرة أيقون بيديها وطافت أركان الغرفة وهي

ترقص وتقول .

- سيصورنا بعد يومين . سيصورنا بعد يومين .

وعزفت الموسيقى فهب الجميع للرقص وكانت الانسة ماري من
نصيب حسن فلما اخصرها قالت له في أذنه (ما أجمل عينيك) فأدهشته تلك
الجملة فنظر اليها نظرة الحائر ولم يجب بحرف واحد فسكتت أيضاً ولكنها
كانت تبسم له كلما وقع بصره على عينيها . ثم انتهت تلك الرقصة
وتفرقوا في أنحاء الغرفة ليستريحوا ومكثوا هنيهة وعم لا ينطقون بينت
شفة وطال سكوتهم فهم البولندي كرنسكى من مكانه واقترح عليهم
أن يلعبوا لعبة تكون ختام الحفلة فأقر الجميع لعبة تشبه لعبة (استغماية)
التي يلعبها الاطفال في مصر وانخبوا من بينهم ملكا جلس على كرسى
وكان الانتخاب من نصيب روسبيسكى أما كرنسكى فكان من
نصيبه أن يجاس بين يدي الملك وهو مغض العينين ثم يمده يده فيصاخه
الجميع فيسأله الملك (ماذا تريد أن تفعل بمن صاخك) فيجيب بما يرتأيه
دون أن يعرف الشخص الذى صاخه . فلما صاخته مدام ماريون سأله
الملك سؤاله فأجاب (يقبل هذا الشخص جدران الغرفة) وما زال

— لا تقل يا سيدى إنى أحب آداب اللغة الافرنسية بل قل إنى أحب منها ما يسير أهوائى . لقد كنت أقرأ أنديانا منذ حين ولقد قرأتها قبل ذلك كثيراً ولقد وجدت فيها ما طوعت لى النفس قراءته وفى ذلك ما يعنى على تلاوتها مراراً .

— وأنا أيضاً أحب تلك الرواية حباً جماً . لقد قرأتها منذ شهرين ولا أخفى عليك انى معجب بأخلاق أنديانة .

— معذرة إذا خالفت رأيك لأنى لا أعجب إلا بأخلاق السير رالف وكنت أود أن تسمى جورج صاند روايتها (السير رالف)
وإذا بالمدم وازيل مارى قد أقبلت عليهما وهى تقول :

— أنبأتنى جيزيل يا مسيو حسن أنك تملك آلة فوتوغرافية ذات عدسة من نوع (زيس) فهل هذا صحيح .

— هذا صحيح يا مدم وازيل .

فصفت بيديها فرحا وقالت لأختها :

— ما رأيك يا مرجريت . ما رأيك فى ذلك ؟

فابتسمت مرجريت ولم تجب ونادت مارى أمها قائلة .

— ماما . ماما . إنى أقترح عليك شيئاً . المسيو حسن يملك آلة

فوتوغرافية فهل يجوز علينا زيارته غداً أو بعد غد ليصورنا .

فأجابها أمها .

— يا حبذا لو صحت عزيمته على ذلك . اليوم يوم الاحد وغداً

أركان الغرفة واذبه يرى مدموازيل مرجريت في ركن آخر اتقلب بين يديها صفحات كتاب صغير فنظر اليها طويلا وود أن يغادر مكانه ليدانها ويحادثها ويعلم تلك الجاذبية التي كانت تدومه لتلك الفتاة .
رآها تقرأ ثم تطيل التفكير فعلم أنها لم تمسك بالكتاب في يدها إلا لتفكر أو لتعمد للسكون والوحدة حتى لا يعكر صفاءها من يود الرقص معها وكان الجميع يتهافتون على ذلك . أما حسن فقد احترم إرادتها وظل ساكنا في مكانه ينظر اليها وقد اكتفى بنظراته الطويلة وود من صميم فؤاده أن يطول جلوسها اليمتع عينيه بجملها الطاهر وتلك الصورة الحديثة التي رسمتها يد الألم على وجهها الجميل وإذا بدمام ماريون قد اقتربت منه وقالت .

- يالك من كسلان . ألا ترى الجميع يرقصون .

ثم التفتت الى مرجريت وقالت لها :

(وأنت أيضا ما هذا الكتاب الذي تقرأين) وانزعت الكتاب من يدها وهي تضحك ثم خاطبت الاثنين قائلة (الى الرقص . الى الرقص . حالا) فقام حسن وقامت مرجريت ومشى اليها وهو يتمتر في مشيته ورقص معها رقصة (الفالس) . ثم جلس بجوارها وتحادثا سويا فقال لها .

- يظهر لي أن المدموازيل تحب آداب اللغة الافرنسية . لقد

شاهدتها منذ حين تقرأ رواية أنديانا للكاتبة الشهيرة جورج صاند .

على كل وسيلة تنالها غايتها وعدم الاكترت بالشرف والطهارة ، وابتها
الكبرى ماري وهي أشبه الناس بأهها وجهاً وأخلاقاً ، وابتها الوسطى
مارجريت وهي فتاة نحيفة القوام طويلة القامة سوداء الشعر ذات وجه
تقرأ فيه آيات الجمال والألم وعينين جميلتين يفعل سحرهما بالقلب ما
تفعله الكهرباء بالأجسام ، تراها كثيرة التفكير تنفر من الناس إذا دنا منها
أحد فكأنها قصيدة من الشعر الوجداني وصورة للجمال الطاهر رسمتها
يد الحزن والآلام ، وابتها الثالثة ايفون كانت دون الحلم ترقص مع
الراقصين وتضحك مع الضاحكين وهي لا تعرف شيئاً بعد من أسرار
المجتمع الانساني أما صديقتهم مدام لوشيا فامرأة في الاربعين من عمرها
تمشى على آثار صديقتها مدام همري في كل ما تفعل وتحذو حذوها سرراً
وعلانية . أما الرجال فثلاثة من بولندا ، الاول مسيو روسيسكي نزيل
مدام ماريون والاثنان الآخران مسيو كرينسكي ومسيو يفلوفسكي
صديقه .

ما أجل هذه الحفلة التي لا يزيد عدد رجالها ونسائها عن اثني عشر ،
حفلة عائلية يتأخى فيها الرجال والنساء وترفع الكلفة وأمثال هذه
الحفلات كثير في باريس تكاد لا تخلو منها دار أو نزل .

جلس حسن مع الجالسين وضحك مع الضاحكين ورقص مع
الراقصين ثم جلس ليسترى قليلاً وكان قد رقص مع المدموازيل جيزيل
والمدموازيل ماري والمدموازيل ايفون وأوقعه سوء حظه بين يدي مدام
همري ومدام لوشيا فرقص معهما ثم نال منه التعب فجلس في ركن من

هو وهى

— ٢ —

دخل الصالون مع صاحبه فقابلتهما مدام ماريون وواخوهما ولدها
ماكس وأقبلت ترحب بهما ابنتها جيزيل . أما الام فامرأة فى الخمسين
من عمرها قصيرة القامة ذات وجه كثرات فيه التجاعيد وشعر دب فيه
الشيب وعينين براقتين ينبئان عن نشاط وذكاء . وأما الابن فشاب فى
السابعة والعشرين من عمره جميل الوجه قصير القامة كثير الحركات
خفيف الروح فهو المثل الحى لما يسمونه (الباريزيانزم) وأما الابنة ففتاة
أطول من أخيها قامة ولكنها أفل منه جمالا كثيرة الحركات والكلام اذا
أصغى لها السامع ساعة يناله منها ما يصدع الرأس . ثم أمسكت مدام
ماريون بيده وقدمته للحاضر بين قائلة (أقدم لكم شاباً . صرياً وفد إلى
باريس منذ خمسة أشهر طالباً للعلم ، شاباً زكى الفؤاد كريم الأخلاق . . .)
فقطع عليها حديثها شاكراً وقدمت اليه الحاضرين وكانوا ثمانية : مدام
همرى وهى امرأة تناهز الخامسة والاربعين طويلا القامة بدينة الجسم
بيضاء الوجه اذا تفرست فى وجهها نطقت بمارفه بما اتصفت به هذه
السيدة من الخصال كشرارة الخلق وعدم المبالاة بالتأنيخ الوخيمة والاقدام

لقد قرأت شيئاً عن هذا الشارع في رواية الفرسان الثلاثة
لديماس الكبير .

— إنى أكره هذا الرجل وأربأ بك أن تقرأ رواياته فاست من
السوقة أيها الصديق لتنزل بنفسك الى دركهم .

— إنى أرتأى رأيك يا البير ولم أقرأ هذه الرواية إلا لأعرف
شيئاً عن شخصية الكاتب فأنا اليوم من شيعة من يضرب بروايته
عرض الحائط وعلى الاخص بعد أن قرأت شيئاً من روايات ابنه
اسكندر ديماس الصغير .

— الفرق كبير بين الوالد وابنه فالاول يشوه التاريخ أما الثانى
فيحمل خبايا النفوس وينتصر فيما يكتب لنظريات إجتماعية يرى فيها
الصراط المستقيم لاصلاح ما فسد من الاسرة .

— ولكنى أبرر عمل الاول لفقره وضيق ذات يده . وكانا قد وصلا
لدار مدام ماريون فوقفاً أمام الباب ودق البير الجرس ففتحه البواب
وصعدا سلم الدار الى أن وصلا الى الطابق الرابع فدقا الجرس أيضاً
وأحس حسن بخفقان قلبه ولم يعلم لذلك سبباً ثم انفتح الباب وسارا فى
الدهليز قاصدين غرفة الاستقبال .

(١٥ مايو ١٩١٩)

— بل نسير على الاقدام وعلام نعهد للكسل والمسافة بيننا
ويدهم قصيرة .

وسارا في شارع راسين على مهل فقال حسن :

— إني لا أعرف غير مدام ماريون وابنها وابنتها وأنت تعلم اني
كثير الخجل لهذا أخشى أن أكون عبئاً ثقيلاً على من لا يعرفني .

فققه البير وقال — أتخشى لقاء النساء ؟ لقد عهدتلك قوى القاب
ثابت القدم فعلام هذا الحياء . لم تدع مدام ماريون غير أسرة (هوري)
وما تلك الاسرة إلا مجموعة من النساء الام وبناتها الثلاث وصديقة لهن
جاوزت الأربعين فالحفلة عائلية وستكون فيها بين قوم قليلي العدد
يجلونك ويحترمونك فلا تخش بأسا . اليك يا صديقي نصيحة غالية الثمن
إذا اتبعتمها كان لك بين النساء شأن عظيم . لا تركز للنساء كثيراً ، داول
لهن بين اللين والشدة وأمزج لهن بين الرأفة والقوة ولا تنس الاعتناء
بشاربك فهو من الرجولة وله في قلوب النساء حظ كبير وقسط وافر
وابحث عن مجموعة من الجمل العذبة والنكات المستمادة تجعلها بضاعة لك
تبيعهما للنساء لتقبض الثمن غالياً والثمن في هذا السوق لا يخرج عن حد
القبلات العذبة والعناق الطويل الخ . . .

فضحك حسن وعلم أن صديقه يمزح معه وكانا قد وصلا الى
تياترو الاديون فوقها هنيهة ينظران للناس تصعد سلم هذه الدار زرافات
ووحدا نأتم أتما سيرهما في شارع فوجيرار فقال حسن :

ولقد كان هذا شأنه في ذلك اليوم . فلما ألقى بكتاب مبادئ القانون المدنى على الخوان لبث هنيهة يفكر ثم حدث نفسه قائلاً (نسيت انى على موعد مع صديقى البير ديباس لنذهب سويا الى دار مدام ماريون حيث تقام حفلة راقصة) وهب الى خزانة ملابسه وأخرج منها بدلة سوداء و قميصا أبيض اللون وحذاء أسود لامعا وبعد أن ارتدى هذه الملابس سمع دقا على باب غرفته فأذن للطارق بالدخول واذا به يرى خادمة المنزل تقول له

— لقد أعد طعام العشاء يا مولاي

— ها أنا قادم

وخرج من غرفته قاصداً غرفة الطعام والتقى فيها برفقائه النزلاء وجلسوا جميعا حول المائدة يأكلون ويتسامرون فلما فرغوا من تناول الطعام أشعلوا نقافات التبغ وقامت المدموازيل مارى الى البيانو وعزفت عليه دوراً ليتموهين فصفق الجميع اعجابا ببراعتها ونبوغها ودق باب المنزل ففتحه الخادم واذا بشاب وضاء الطامة نحيف القوام طويل القامة أبيض اللون تدل حركاته وسكناته على طيبة قلبه قد دخل عليهم وهو ييسم وحييا الجميع تحية جميلة ثم التفت لصديقه المصرى وقال .

— لقد أن الوقت يا حسن . هيا بنا

— هيا بنا يا البير

وخرجا من الغرفة فلما وصلا الى الشارع قال البير :

— أتركب عربة أم تسير على الاقدام ؟

هو وهى

جاس بجوار النافذة ونظر الى السماء القائمة كأنه يرى فيها صورة نفسه ثم أطلق زفرة من بين جوانحه وقام يتمشى فى الغرفة ذهابا وإياباً ثم أمسك بكتاب قرأ على صفحته الأولى هذا العنوان (مبادئ القانون المدنى) وما لبث أن ألقى به على الخوان وهو يقول ساخرأ (مبادئ القانون المدنى . مبادئ القانون المدنى) . وكان قد وفد الى باريس منذ أشهر عديدة وسكن فى الطابق الثالث من دار شاهقة فى شارع السربون واقتنع بغرفته الصغيرة وتلك النافذة التى كان يرى منها مههد السربون تفد اليه الطلاب فى كل صباح ، وبينهم الغايات ذوات العيون الناعسة والقنود الممشوقة . جاء الى باريس ليدرس الحقوق وما كان بنفسه ميل لعلوم الشرائع ولكن والده لم يسمح له بمغادرة القاهرة إلا ليلقى بنفسه فى أحضان تلك العلوم . فسافر وفى قلبه غصة ولكنه وطد النفس على الدأب والعمل جامعاً بين علوم الحقوق التى كانت تجشم نفسه مالا تستطيع احتماله وبين علوم الآداب التى يرى فيها مسكة الأمل وقررة العين . وأحب الأسرة التى كان يعيش معها حباً جماً وامتزج بهم إمتزاج الماء بالراح بعد أن وجد فيهم قرماً من أكرم أرومة ولكنه كان اذا فكر فى علوم الحقوق يريد وجهه وتحتاج أعضاؤه ويهيم فى سماء التفكير

مبصبصاً بذنبه وهاله مصاب صديقه فأخرج لسانه ومسح به دموع
خرطوش ولكن خرطوش أمتته شفقة صديقه الضعيف فهجم عليه
وصرعه على الارض ، وما زال يدق عنقه الى أن قضى عليه وعبثاً حاولنا
فصله عن سكر .

لقد مات سكر . مات شهيد طبيته ووداعته . مات شهيد غدر
صاحبه القوى . ذهب ضحية القوة والحق للقوة في كل زمان ومكان .

وإذا بي أرى ربة الدار تمسح بيدها تلك الجثة الهامدة وهي تبكي
وتقول « لقد كان سكر طيب القاب من فاتحة أمره الى خاتمة عمره »
وفي الصباح دفنا سكر في الحديقة تحت شجرة كبيرة كان من عادته أن
ينفياً ظالها في الظهيرة ونقشنا على ساق الشجرة هذه الكلمات .

« هنا يرقد سكر الكلب الطيب شهيد المروءة والاخلاص »

لقد كنا نكره سكر في حياته فاذا بنا نحبه ونجله بعد مماته . لقد
كنا نتغافل عن وداعته وطيبته ونهزأ بذله وضعفه ونقول ليس هذا
الكلب من فضيلة معروفة فهو عديم الاصل وأكثنا نعتقد اليوم بعد
أن قضى ذاك الشهيد أن الاصل لا دخل له في الطيبة وأن مخلوقات الله
سواء . ويا ليت شعري اليس الحال كذلك بين الناس .

فعلام يكون الحق للقوة وعلام تكون الطيبة والوداعة ضحية الظلم
ومتى ينقشع عن العالم الانساني ذلك السحاب الاسود .

(١٠ أبريل ١٩١٩)

مستسامون للراحة والسكون لا نسمع غير موسيقى الطيور ولا نرى غير جمال الطبيعة ففي ذات يوم رأيت صديقي المصرى مكفهر الوجه فسألته عن السبب فقال .

— أين خرطوش . ألم تره اليوم ؟

— كلا يا صديقي .

— أف لهذا الكلب الشقى . إنه حقاً أظلم من حية لا أدرى

أين ذهب ؟

— لعله يجوب فى طرق الغابة .

— وإذا ضل الطريق ؟

فقممت معه الى الباب وسرنا فى طريق الغابة نبحث عن خرطوش حتى كدنا المطاف وتملكنا الانضاء فرجعنا أدرأجنا الى المنزل وجلسنا أسفين وإذا بخرطوش قد عاد الينا فقام صديقى اليه وهوى عليه بسوط كان فى يده وهوى يقول — « وإياك وترك المنزل أيها الكلب الشقى ألا تخشى أن يسرقك سارق ؟ »

وانتهت هذه الحادثة وقضينا بقية اليوم كالعادة فلما روق الليل البهيم جلسنا فى الحديقة نتسامر فاذا بخرطوش قد هبَّ الى ناحية الباب يريد الهروب الى الغابة فقام صاحبي وراءه ولحق به فى الطريق وتبعته صاحبي فرأيته يهوى بسوطه على جسد الكلب وهوى يقول « تريد إعادة السكرة يا خرطوش ؟ هاك عقابك » وإذا بسكر قد جاء على مهل يرى ما حدث فلما بصر بصديقه خرطوش يئن تحت السوط اقترب منه

وكان لربة الدار كلب أطلقت عليه اسم (سكر) ، كلب قبيح الشكل
مقيت الطلعة لا أعلم لماذا تحبه وتعطف عليه . كنت كلما نظرت اليه
كرهت أن أعيد نظري لوجهه ولم أر فيه تلك الشهامة التي يدفع بها عن
صاحبه أذى اللصوص ولم يكن من فصيلة معروفة من فصائل الكلاب
إذ للكلاب فصائل عديدة يعرفها الخبيرون فسبحان ربي لماذا تحبه مدام
بار ؟ ربما كان ذلك لوداعته . أما كلبنا خرطوش فكان جميلاً وشجاعاً
وقد أجمع الخبيرون على أنه من فصيلة (البيتر) Pointer وتلك الفصيلة
مشهورة بما تأتي به من المدهشات في الصيد والقنص .

وكم من مرة استهوانا السمير فكنا نجاس في الحديقة بعد العشاء
تحدث عن أشياء شتى فإذا سقنا حديثنا الى أنواع الكلاب هزئنا
(بسكر) وضحكنا ضحكة تجسم فيها السخرية فكانت تجمينا ربة الدار .

— علام تضحكون ؟ سكر هذا كلب أمين طيب الاخلاق لم
نسمع عنه أنه أذى طفلاً أو تعدى على كلب آخر . إذا رأى أحداً منكم
أقبل عليه يبصص بذيبه ويمسح رأسه في يده . تكفيه منكم إشارة الرضى
ليأتى بنفسه على الارض فرحاً مسروراً ، أما خرطوش هذا الذي تحبونه
فهو أقرب للشر منه للخير . أنا لا أنكر شجاعته ولكني لأحب شرارته
التي تسول له ايداء كل كلب ضعيف يلقاه في طريقه . حرام عليكم
ياساداتي أن تغضوا أنظاركم عن الكلب الوديع ذى القلب النقي وتقبلوا
بكليةكم على الكلب القوى المدغل . فكنا نسمع أقوالها ونحن نبتم
ومرت الايام في هذه الدار الصغيرة ونحن عائشون في عيش خصل

خرطوش وسكر

هناك على شاطئ نهر المارن ، فوق تلك البقعة الخضراء التي تفصلها عن باريس غابة فنسين أقاموا ضيعة أطلقوا عليها اسم (توجان سيرمارن) وفي هذه الضيعة الجميلة التي يحجبها ملتف الغياض ويحفها ذلك النهر الهادى قضيت شهرين من حياتى الباريسية ، شهرين كاملين مرا كما يمر الحلم العذب برأس النائم ، شهرين كدت أنسى فيهما نفسى وأكذب حسى ، شهرين عاشرت فيهما الطبيعة الساكنة المنعشة بعيداً عن ضوضاء باريس ولباريس الشناء واضواحيها الصيف ، ما أجمل تلك الايام العذبة وما أجمل تلك الغابة التي كنت أرتاد خلالها مع صديقى المصرى يتبعنا كلبه (خرطوش) . وما أجمل ذلك القضاء الشاسع وتلك الحقول الخضراء والزهور الياضعة والسماء الصافية وما أجمل المنزل الصغير الذى كنا نسكنه ونرى من نافذته نهر المارن تحف شاطئيه تلك الأشجار الباسقة والربى المختلة .

كنا نخرج من المنزل بعد الفطور ونسير على غير هدى ثم نعود لتناول الغذاء وفي العصر نعيد الكرة ثم نعود لدارنا الصغيرة وقد دجا جنح الظلام فنجلس فى غرفة الاستقبال مع ربة الدار وربها تتجاذب أطراف الحديث فاذا دنا وقت العشاء أكلنا ثم نأوى الى غرفة النوم .

— أجل . ومن أجل هذا أغادر باريس اليوم . فهل لك أن

تساعدني في إعداد حقائبي ؟

— تغادر باريس من أجل فتاة !

— بل من أجل الواجب يا صديقي ، فالآنسة ا . ب تحبني حباً

طاهراً وأنا أيضاً أحمل لها في قلبي مثل ذلك الحب ولكن أريد

الاحتفاظ بعهدى .

— وماذا تقصد بذلك ؟

— لقد عاهدت والدتي أن لا أتزوج إلا فتاة من بنات جنسى

والرجل لا ينقض عهده .

فرجوته أن يؤخر سفره عدة أيام فقال .

— لقد أصبحت ثمرة الحب رطباً جنيماً . هل لك أن تساعدني في

إعداد حقائبي .

فنزلت معه الى غرفته وبعد أن انتهينا من إعداد الحقائب ذهب

سويا الى المحطة وودعته مودعاً معه الاخلاص والشهامة والاقدام

— هؤلاء من القاهرة .

فألمتني جملته وقتلت له وأنا أحرق الأرم .

— بل هؤلاء من بوستون .

فأدرك لساعته انى غضبت فأخذنى الى ركن من أركان النصالون

وقال لى .

— انه من الواجب أن يعترف المخطئ بخطئه . لقد أخطأت وإنى

أعتمد لك عما بدر منى فهل لك أن تصفح . فأعجبني اعترافه بخطئه

وهزرت يده علامة الصفح ،

...

ثم تطاوات المدة ودبت الأيام ودرجت الليالى فرأيت صديقى

ه . و . يميل للوحدة والانفراد والتفكير فلم أهتد لسر ذلك وخشيت

أن أسأله مخافة أن يغضبه سؤالى ثم رأيت ي يطيل النظر الى الآسنة ا . ب

ساعة تناولنا الطعام فى النزى فقات لقد بدأت العاصفة تهب . سترى ما

سيكون من أمر غرام الاميركى . ومكثت مدة وأنا اتعافى عن حبه

وهيامه فاذا بى أراه فى صبيحة يوم من الايام يقرع باب غرفتى ففتحت

له الباب فبادرنى بقوله

— لى معك حديث يا صديقى .

— وما هو ؟

— إبنى أحب .

— محب محبوب ؟؟

— وما تقصد بذلك ؟

— سمعت وأنا عائد من دار التمثيل أن الطلبة يقيمون في هذه الليلة حفلة في قهوة بلزار احتفالاً بنجاة أخ لهم من الانتحار . فلم أشأ أن أستأثر بهذه الحفلة دونك . لهذا قرعت بابك وأيقظتك راجياً أن ترتدى ملابسك وتنزل معي .

حاولت الاعتذار فاذا به قد حمل ملابسى وأتاني بها لأرتديها فأطعته وغادرنا الفندق سوياً لنشاهد حفلة النجاة من الانتحار . اليس هذا من غرائب الاخلاق الامريكية .

...

وفي صبيحة يوم من الايام قرعت بابه ليرافقنى الى النزل فاذا به لم يرتد ملابسيه بعد فقال لى .

— انتظرنى خمس دقائق فقط .

— وإذا لم تنته من إرتداء ملابسك بعد خمس دقائق .

— تذهب للنزل وحيداً .

وغادرته على هذا الوعد ووقفت أمام الفندق انتظر والساعة فى يدي فلما مرت الدقائق الخمس فتح ه . و . نافذة غرفته وأشار الى يديه قائلاً .
— لقد أبطأت . إذهب يا صديقى فالوقت من ذهب .

...

ورأيتهم يوماً فى النزل يحمل فى يده صورة (كارت بوسيتال) عن زنوج أفريقيا فقال لى مازحا :

فأما دخلنا الصالون قلت له — لماذا لم تحدث الآنسة ديخنسكى أخشى
أن يكون قد ألمها ذلك .

— ولماذا ؟

— لأن النساء يؤلمهن أن تغض عنهن أنظارنا .

— لم أغض عنها نظري يا صديقي واتقد بحثت عن موضوع يخلق
بي وبها أن تحدث فيه فلم أجد . فاحيلتي إذاً .

— الموضوعات كثيرة يا صديقي . حادتها عن الطقس . عن جمال

باريس . عن . . .

— أتريد أن أجيل عن الجدل إلى السفسطة ؟ إنى أفضل السكوت

في مثل هذا الحال .

وتحدثنا في شيء آخر بعد أن تلقيت عنه درساً جديداً .

. . .

وفي ذات ليلة كنت عائداً معه من النزول إلى الفندق فقال لي :

— هل لك أن تذهب معي إلى الكوميدي فرانسيز .

— معذرة يا صديقي فأنا تعب هذه الليلة .

فودعني وذهب منفرداً وصعدت إلى غرفتي وآويت إلى فراشي

ونمت نوماً هادئاً لا ترعجه الاحلام وإذا بي أسمع في الساعة الواحدة

بعد منتصف الليل دقاً عنيفاً على الباب فقممت من الفراش مذعوراً فأريت

المستر ه . و . يقول

— ما كان يخطر ببالى أنك من محبي النوم .

فقلت له وقد أدهشتني صراحتة -- حباً وكرامة لو شاء السيد أن يرافقتي الساعة الى نزل مدام ميلون أكون له من الشاكرين .
فنظر الى نظرة تعبر عن شكره وقال — أشكرك يا سيدى .
وسرنا جنباً الى جنب الى نزل مدام ميلون وتحادثنا فى الطريق بعد أن تعارفنا وسره كثيراً أن يصادق مصرىً من أبناء النيل وأعجبه طعام النزل فتردد عليه كل يوم وأصبحنا صديقين نساكن فندقاً واحداً وأنا كل فى نزل واحد .

...

المستر ه . . . و . أخلاق اختص بها هو ومن يسكن أمريسكا اخلاق تجمع بين الاخلاص والصراحة والاقدام والمحافظة على الوقت والتفانى فى فعل الغرائب والعجائب . ذهبت معه مرة الى النزل وجلسنا حول المائدة وإذا بربة الدار تقدم لنا رجلاً زويجياً فوقفنا وأحنينا رؤوسنا وأكرمنا وفادة القادم الجديد وجلس الرجل أمام صديقتى ه . . . و . فتغير نظام الجالسين وتحول المستر ه . . . عن طرف المائدة وأخذ له مكاناً بينى وبين الأتسة ديجنسكى الفتاة الرومانية ذات الوجه الجميل والقد المشوق . وتناولنا طعامنا وتحادثنا فى شؤون مختلفة وكنت أنظر المستر ه . . . و . راجياً أن تلفته نظرتى الى الأتسة ديجنسكى ليحادثها ولكنه ظل ساكناً لا يفوه ببنت شفة فقلت له دون أن يسمعنا أحد — هل لك أن تحادث جارتك .

فالتفت الى وابتسم وظل ساكناً الى أن فرغنا من الطعام .

صديق من أمريكا

اليوم أكتب للقارئ ما وقع مع صديقي ه ذلك الطالب الأمريكي الذي وفد الى باريس ليدرس الطب .

رأيتة لأول مرة في بلغاردسان ، ميشيل يجد في سيره ثم عرج يسرة الى باب فندق (السلكت) بجوار السربون وكنت أسكن ذلك الفندق ثم ركبنا المصعد (أسنسير) سويا وتفردت في معارف وجهه فرأيتها تنطق بما يكفه ضميره من صراحة وشهامة واقدام . ونزل المستر ه في الطابق الثاني وصعدت الى الطابق الثالث دون أن تحدث . ثم أصاحت من شأنى فى غرفتى ونزلت الى الصالون فى الطابق الاول لاستريح قليلا قبل الذهاب الى النزل الذى كنت أتناول فيه طعام الغداء والعشاء فاذا به يدخل سيجارة وقد جالس على متكأ بجوار النافذة فلما رآنى همّ واقفاً وجاء الىّ وهو يقول :

- معذرة يا سيدى إذا حدثتك قبل أن أشرف بمعرفتك . أنا طالب جئت من بوستون لباريس لادرس الطب وفد قضيت فى هذا البلد شهراً من الزمن دون أن أعتز على نزل يجيدون فيه الطهى . فهل لك أن ترشدنى الى نزل يجمع بين النظافة وجودة الطعام .

تتجسم أمام عيني في دار الاديون والتي أود من صميم فؤادي أن تنتشر
في مصر بلادنا المحبوبة .

هذا يا محمود وصف ممتضب لدار الاديون لليلة التي قضيتها فيه ،
كتبته لك لتقف على بعض من أمور التمثيل في باريس .

(٦ مارس ١٩١٩)

في عينها آيات الظهر والحب ودلائل الوفاء . ثم دق الجرس فرجعنا جميعاً الى كراسينا دون أن نسمع لنا جلبة أو صراخ .

وشاهدنا الفصل الثاني والثالث ولكني لا أكتفم عنك اني شعرت عندما ألقى ممثل دور رودريج مونولوجه في الفصل الثالث بفقدان شيء لم أحرم منه في مصر الا وهو سماع هذا المنولوج يغنيه الشيخ سلامة حجازي ولعل هذا أثر العادة في النفوس ، ثم ظهر لنا ديجاردان وعم بالقاء قصيدة تيوفيل جوتييه التي ألقى فيها باللائمة على لويس الرابع عشر لانحرافه عن كورنيل في أخريات أيام الشاعر . صور لنا جوتييه كورنيل يسير في الطريق وفي قدمه حذاء ممزق ايس في مقدوره أن يستبدله بأخر لضيق ذات يده . وفي ختامها يقول الشاعر (لقد كبر اسم كورنيل وتضاءل اسم لويس) فلما بدأ ديجاردان بالقاء القصيدة صرخ رجل من أصحاب المقاصير (البنوارات) يالك من ممثل مقير . ولكن الممثل لم يلتفت اليه وأتم القاء القصيدة فدوى هتاف الجمهور وتهليله في الدار كأنه الرعد القاصف . ثم قامت الفتنة ورأيت الناس قد هبوا من مكانهم وصرخوا (فيطررد . فيطررد . فيطررد الملكي) ففقت من مكاني ودانيت الرجل فرأيتهم ممتقع اللون وسمعتهم يقول (لا أريد أن أشتم أب الفنون وما كانت صرختي إلا فتنة غضب) ولكني رأيت الجمهور قد ازداد صراخه وفي ذلك ما لا تحمد معه المغبة وأجبر الرجل على مغادرة الدار وفي صدره غصصة . وعاد الجمهور لسكونه وانتهى التمثيل وعدت الى داري وأنا أفكر في هذه الروح الديمقراطية التي شاهدها

بلادنا فقد عزم الله لنا أن نسير الى الامام ولنتنظر مايفعله جورج أبيض
عن قريب فى دار الاوبرا المصرية فربما بدّل من حال التمثيل فينقلب
العسر يسراً . أما المكان فهو قرة العين ومسكة النفس يجمع بين الجمال
والنظام . نرى جماعة المدرج يرون المسرح كما يراه صاحب المقصورة
(البنوار) ويسمعون كلمات الممثل كما يسمعهما . به الصور الجميلة التى
تزين السقف والجدران .

ثم دق رئيس المسرح دقاته الثلاثة وارتفع الستار ومثل الفصل الاول .
شاهدت يا محمود من دقة التمثيل ما أعجز عن كتابته اما المناظر فقد أراد
أنطوان « مدير الاديون » أن يخرجها للناس كما كانت عليه فى القرن
السابع عشر ليعيد للباريسيين صورة من صور التمثيل فى ذلك العهد
صورة تاريخية جليلة واضحة فانظر الى أى سماء ارتقى الفن فى هذا
البلد الامين .

أسدلت الستار فى ختام الفصل الاول فسرت من مكافئ الى صالون
الاستراحة حيث تمشى النساء وقد تأبطن أذرع الرجال . فى هذه
الغرفة التى زينت جدرانها بصور كبار المؤلفين والممثلين جلست على
كرسى ونظرت الى جماعات النساء والرجال وقات متى أرى روح التسامح
تدب فى قلوب المصريين فترى الرجال مخاطب النساء فى دار واحدة
دون أن تهتم بنفوسهم نزعات الصبوة أو قنن الهوى . هنا نرى الزوج
يخاطب زوجة صديقه والخطيب يخاطب خطيبته ويتسم لها وهو يقرأ

القدم وللقدم كما تعلم جمال يؤثر في كل نفس خيالية ، وما الاديون إلا مدرسة يؤمها خريجو مدرسة التمثيل في باريس مع غيرهم من الممثلين فاذا قضوا فيها حيناً من الدهر وظهرت مواهبهم انتقلوا الى دار الكوميدي فرانسيز وخطوا فيها رحالهم . ألم يأتك خبر بول مونييه والبرت لمبرت فيس وساره برنارد وما نالوه من الشهرة بين مواطنيهم هؤلاء قد أنفقوا جزءاً من عمرهم في دار الأديون لاجتياز ساحتها فلبوا دعوتها طائعين . ومن مزايا الاديون تلك المكتبة التي سمح لبعضهم باقامتها على جوانبه من الخارج فاذا مرت بتلك الدار وأنت سائر في طريقك وفت هنيئة تغلب نظرك في صفحات الكتب تشتري منها ما يروق لناظرك ، فما أجمل هذه الدار التي تجمع بين الكتب والتمثيل .

دخات دار الأديون في تلك الليلة وصعدت على ساهه الكبير ثم وصات الى كرسي وجاست أنظر تارة للناس وتوراً للمكان . فاذا بالناس لا تسمع منهم ذلك اللغظ الذي يصمى أذاننا في دار التمثيل العربي ورأيت جماعة المدرج (أعلا التياترو) لا ينطقون بيئت شفاه كأن على رؤوسهم الطير أو كأنهم في حضرة ملك من الملوك . فأين قزقة اللب واين دخان السجائر المصرية وأين صهيل جماعة المدرج في دار التمثيل العربي . كل هذا لا أثر له في دار الاديون . ترى الرجال قد ارتدوا ملبسهم السوداء أو ما يقرب منها لوناً وترى النساء في حال بهيجة اللون جميلة الشكل . هذا لعمرى مظهر من مظاهر المدنية والجمال لانراه في مصر . بيد أني لا أود تحطيم آمالك بسرد هذه الوقائع فلا يكبرن عليك أمر التمثيل في

فيها أمام من كنا نجمعهم من رفقاءنا الصغار . تلك أيام عذبة جميلة .
أجل ما أجل أيام طفولتنا التي تعبت بها اليوم أيام شباننا ولكن ذكرها
حياة لا يغض منها توالى السنين والايام .

قلت إنى تناولت خطابك صباح أمس ثم ارتديت ملابسى بعد
تلاوته وشربت فذجانا من اللبن ممزوجاً بالقهوة وخرجت الى الطريق
أخذاً سمى الى حديقة الكسسمبورج ودعوت الله أن لا تمطر السماء
وكان الله أجاب دعائى فانقشمت ديم السحاب الاسود ولكن الشمس
ظلت محتجبة تحت سحاب آخر أقل سواداً فلما وصلت الى الحديقة
وجدت نفسى أمام دار الاديون فقرأت اعلانه الكبير فاذا بهم يمثلون
فى الليل رواية (السيد) لبير كورنيل التى يمثلها الشيخ سلامه حجازى
فى مصر ويمزجها بألحانه الجميلة وقرأت فى ذيل الاعلان سطرأً ينبي أن
الممثل الكبير ما كس ديجاردان سياقى بين الفصل الثالث والرابع قصيدة
تيوفيل جوتاييه عن لويس الرابع عشر وبيير كورنيل مؤلف الرواية
فاشترت تذكرة ثم ركبت سيارة الى الجراندى بلفارد .

أنت فى غنى عن أن أسرد لك ما حدث لى منذ اشترت التذكرة
الى أن دخلت دار لتمثيل ولا يهمك إلا أن أرسم لك صورة تتلجج فى
نفسى عن تلك الدار التمثيلية وعما حدث فيها تلك الليلة .

ليست دار الاديون يا محمود بدار نخيمة كدار الاوبرا أو كدار
الكوميدى فرانسيز ولكنها جميلة لما تراه العين على جدرانها من آثار

ليلة في الاديون

صورة خطاب أرسلته لأخي الصغير عام ١٩١٢ .

أخي محمود:

وصاني خطابك صباح الأمس بعد أن أقض على مضجعي طول الليل . فقممت من فراشي في الصباح ونظرت من النافذة راجياً أن يتكشف عني ذلك الهم القاتل الذي كنت أحس به يدب في قلبي ديباً فاذا بالسماء سوداء اللون وإذا بالغيوم تتكاثف في الجوفخشيت أن تسيل المعصرات وتسقي أرض باريس ماءً ثجاجاً وما كان أحوجني في تلك الساعة الى شيء جميل يطلق عن وثاقي ويدخل السرور الى قلبي وإذا بي أسمع الخادمة تدق على الباب ففتحته وتناوات خطابك من يدها وقرأته عشراً ووضعته صدرأً وكأني عثرت فيه على من يسكن قلبي ويغسل فؤادي مما علق به من الهم والألم . تسألني في خطابك عن التمثيل في باريس فيها أنا مجيبك لعلمي بحبك لهذا الفن ولست أنسى أيام كنا نتخذ من سريرنا مسرحاً ومن كاتمه ستائرأً ومن غرفة نومنا داراً تمثيلية تمثل

أجد في حركاتهن وسكناتهن ذلك الدلال النسائي ولا تلك الرقة وذلك اللطف . رأيتهن قد ساوين الرجال عزماً وقوة وبرهاناً ثم علت كفتهم في ميزان البحث والمناقشة وما أجل انتصارهن بعد أن جاهدن جهاد المستميت . فنظرت الى صديقتي البولونى وقلت له :

— لقد انتصر حزب النساء .

فالتفت الى وقال :

— آد لو كانت شقيقتى هنا تسمع هذه المناقشة .

فقلت : وما آراؤها ؟

— تدافع عن حرية المرأة وتسعى جهدها في بث الآراء الديمقراطية

في بنات جنسها . ستراها بعد ثلاثة أيام لتتحكم عليها بنفسك

فقلت له وقد زاد إعجابى بنساء اوربا .

— سأتشرف بمعرفة شقيقتك يا صديقتى .

وتفرقت جماعة النزلاء فدخات الى غرفتى وجلست أمام مكتبي

وأطلقت لنفسى العنان في التفكير . قارنت بين نسائنا ونساءهم أستغفر

الله بل بين رجالنا ونساءهم فرأيت الفرق كبيراً والبون شاسعاً .

نساء أوربا يناقشن الرجال في الادب والسياسة والفاصفة ورجال

مصر يتناقشون في أنواع الاوتومبيلات وجمال الملابس وإذا التقت بهم

الصدفة أمام موضع جدى مزجوه بالنكات المصرية المستملحة التي تطير

الموضوع في جوف الفضاء أما نساؤنا ؟ ؟

فبراير سنة ١٩١٩

فقال المسيو جارديه : هذا عجيب .

فأجابته المدمو ازيل لبنا وقد آلمتها جملته :

— والاعجب منه يا سيدي انتصارك لنظريات بورجيه .

فأخني المسيو جارديه رأسه وقال :

— عفواً يا مدمو ازيل عفواً .

وكنا قد فرغنا من تناول الغذاء فقمنا الى الصالون وأشعلنا سيجارنا وجلسنا نتحدث وما أجل المحادثة بين قوم غرباء لا تجمعهم صلة الوطن ولا القومية .

الغريب في مصر نحن للغريب والافرنسي نحن للغريب والنزل الذي آوانا جميعاً جمع بين الروسي والانكليزي والافرنسي والبولوني والصيني وكانت المناقشات تجدد فيه كل يوم حول المائدة ويمد الفراغ من الطعام ثم يذهب كل الى غرفه أو يغادر النزل لعمل عمله . وكنت أجد في هذه المناقشات عالماً جديداً لم تره عيني في مصر .

قلت أننا دخلنا الصالون وأخذنا مقاعدنا ثم ابتدأت المناقشة من جديد بين المدمو ازيل لبنا والمدمو ازيل جان والمسيو جارديه والمسيو كازنوف والمسيو يوان الصيني عن سياسة الاوربيين في الشرق الاقصى أما البولوني فقد ظل ساكناً ينظر الى سماء الغرفة كأنه يبحث عن أهل له . ثم تغير الحديث من السياسة الى الفلسفة فتناقشوا في فلسفة شونهورر ورأيت جماعة الرجال تحميد الفيلسوف وتشد أزره وطائفة النساء تحمي عليه باللائمة . رأيتهم يدافعون عن آرائهم وحررتهم كما تدافع المرأة عن صغارها . لم

- أنت من أنصار بول بورجيه .

- أجل يا مدموازيل أنا من أنصاره ويا حبذا لو اقتدى بي جميع

الافرنسيين .

- لو فعلوا ذلك قل على الحرية السلام .

- بل لو فعلوا ذلك لما تفشت بينهم تلك الامراض الاجتماعية

التي تسترها عن عيونهم كلمة حرية .

- عيشاً أحاول اقتناعك يا صديقي فنحن على طرفي نقيض .

والفنت المدموازيل جان الى فتاة روسية كانت تدرس معها الآداب

في السربون وقالت :

- وما رأي المدموازيل لنا ؟

فأجابها قائلة :

- رأيي ! أخشى أن يدهشكم رأيي . بل أحب الكاثوليك من

صميم في قصرخ المسبو كاروف من طرف المائدة .

- تحبير الكاثوليك ! أجمعين بين الماء والنار ؟

فندت له الفتاة الروسية .

- علام هذا التعجب يا سيدي ؟ أحب بيير اشاعريته وإن كان لم

ينظم الشعر بعد وأحب بورجيه لدقته في تحليل خفايا النفوس . الاول

شاعر بليص خياله في تزه وشملي بحاجة لا يخطئ في بحثه . بيد اني أرى

كتب الاول خالصة من كل رأي اجماي أو فلسفي وأرى نظريات

التي لا تنفق مع روح التقدم .

حول المرأة

— كلا يا صديقي كلا . إني لا أساير أهواءك فيبرلوتي كاتب ماهر
يصور لك ما تراه عينه وما تشعر به نفسه أمام تلك الصور العجيبة التي
رأها في الشرق .

فأجابها المسيو جارديه وهو يتسهم

— أجل يا مدم، وازيل جان ولكنه يسير على وتيرة واحدة في كل
ما يكتب وفي ذلك ما يدعو للمل والسأم .

فامسكت المدم وازيل جان بخصلة من شعرها الأسود كانت قد
انحدرت على جبينها الجميل وأعادتها الى مكانها ثم قالت :

— يسير على وتيرة واحدة ! وما ضره لو فعل ذلك . أتتسى سهولة
ألفاظه ورقة أسلوبه وسمو خياله ؟ أترى بين كتابنا من يدانيه في ذلك ؟
فقال لها المسيو جارديه بعد أن شرب كوبة من الماء :

— نحن لا نتفق يا مدم وازيل . بيبرلوتي كاتب شهير طبقت
شهرته الخافقين وتحدث الناس باسمه في أوروبا وأمريكا ولكني أفضل
عليه الكثير من كتابنا . . .

فقاطعت المدم وازيل جان وهي تمضغ قطعة من اللحم قائلة :

رجعت من المحطة الى الفندق وأنا شاردا للرب ، رأيت نفسى غربقا
فى بحر يموج بالناس فدخلت الى غرفتى ونظرت من النافذة ومرت
بمخيلتى صور مصرية عديدة . تذكرت سريرى الذى لا يحلو النوم اعينى
فى غيره وتذكرت دارنا التى فيها نشأت وشارعنا الذى كنت ألعب فيه
مع الاطفال وأنا طفل صغير . وتذكرت أهلى واخوانى وما حدث لى
فى مصر من الحوادث صغيرة كانت أو كبيرة . كل هذا رأيت به بعين
الخيال وأنا أنظر من نافذة الفندق الى تلك السماء السوداء وذلك الخضم
المائج بالناس والمركبات والسيارات . ثم أطلقت زفرة من بين الجوانح
وأرسلت دمعة خلت على الخد ما فى القلب من هم وألم . ولكنى نشطت
من عقالى دفعة واحدة وقات لنفسى (علام هذا الضعف . لقد جئت
لهذا البلد لأتعلم فى هذا البلد تثبت أقدامى) ثم نظرت الى ساعتى
فرايت أنى قضيت فى باريس أربعاً وعشرين ساعة فقلت (لقد مضى
اليوم الأول دون أن أفعل شيئاً يذكر) وغادرت الفندق لأبحث لى عن
أسرة أعيش معها من

(١٣ فبراير سنة ١٩١٩)

جبل المقطم بمنظر معظم ولكنى لا أكنى لا أكنى القارىء أنى بعد أن وقفت على جمال باريس الحقيقى وعرفت كيف تقضى الحياة فيها أحببت تلك البلدة كثيراً وعرفت ما بينها وبين بلادنا الشرقية من الفرق الكبير . لهذا أنصح لكل سائح أن لا يند الى باريس فى الصباح فى ساعة تسيل فيها دموع السماء .

سارت بنا السيارة الى أن وصلنا الى الفندق ثم صعدنا الى غرفتنا وأخذنا فى اصلاح شؤوننا ثم نزلنا بعد ذلك الى غرفة الطعام لتناول غذائنا ونحن لا بسون طرايدشنا فكنا موضع أنظار الآكلين . وفى عصر ذلك اليوم خرجنا للتنزه فى غاب بولونيا فركبنا سيارة أخرى وجلس خادمنا المصرى بجوار السائق ثم ما لبثنا قليلا حتى تحادنا وطال حديثهما فأخذنا العجب كل ما أخذ سائق باريسى لا يعرف العربية يحدث خادما مصرىا يجهل الافرنسية ؟ ألا يدعو ذلك للدهشة والعجب ؟ وعند عودتنا سألتنا الخادم عن حقيقة الامر فقال لنا إن السائق قضى فى مصر عدة سنوات وإنه يتقن المصرية فقلت لى نفسى وقد أخذتني هزة الطرب (بلادنا يومها الباريزيون أيضا) ولكنى ما لبثت أن انقلب سرورى الى حزن وعم بعد أن أدركت أن من يؤم بلادنا ليشاهد جمال آثارها ويتمتع بصفاء سمائها أقل عدداً ممن يفسد اليها سعيًا وراء الرزق ليزاحم أهلها فيما هو حق لهم . ثم تناولنا عشاءنا وصعدنا لغرفتنا ونمنا ملاً جفوننا وفى الصباح استيقظنا مبكرين وأخذنا وجهنا الى محطة ليون وهناك ودعنى والدى وركب القطار الى مرسلية وتركنى فى باريس وحيداً فريداً .

نذكر العهد القديم أيام كانت فرنسا مقر الأرستقراطية ومهبط الملكية .
ثم أمطرتنا السماء مدراراً فرأينا باريس من بعيد كأنها تستقبلنا وكم
استقبلت باريس الغرباء من قبل ، ثم وصل بنا القطار الى محطة الشمال
فزلنا منه بعد أن نادينا جمالاً أتاناً وهو يترنح في مشيته غير عابئ بنا ثم
قال لنا وهو ينظر اليينا نظرة الند الى نده .

(أى فندق تقصدون) فقلنا (فندق الكونتينتال شارع جراند
بلفراد) فهز رأسه وابتسم ابتسامة الساخر وقال (ليس فندق -
الكونتينتال فى شارع جراند بلفراد يا صديقى) وحمل أمتعتنا فسرنا
خافه الى أن وصلنا الى سيارة وضعنا فيها أحمالنا وركبناها الى فندق
الكونتينتال .

جال بخاطرى وأنا جالس فى السيارة مع والدى خواطر ثلاث :
الاول إنى رأيت فى الباريسيين وجوها ليست بالغريبة عن وجوه الشعوب
اللاتينية التى يعيش كثير من أفرادها تحت سماء بلادنا . والثانى إنى
شعرت بالفرق الهائل بين الشعب الالمانى والفرنسى فالاول شعب
أرستقراطى والثانى شعب ديموقراطى فى المانيا ترى الخدم يلبون إشارة
السيد طائعين كالعبيد وفى فرنسا تجد الالمانيين ياملونك بمعاملة النظير
وما أجهل أن يشعر جميع أفراد الشعب بكرامة أنفسهم . والثالث إنى
لم أجد باريس تستهوى الافئدة وتأسر القلوب فأين جمالها الذى كانت
تتوق نفسى لرؤيته . لقد كنت أظنها بلدة أديمها من فضة وحجارتها من
ذهب فاذا بها بلدة من البلاد بل هى كالقاهرة إذا نظرت إليها من فوق

مذكراتي عن باريس

أكتب اليوم مذكراتي عن باريس . أكتبها كما تملئها على نفسي ، لا أريد تمييق العبارة ولا المغالاة في الوصف شأن فطاحل الكتاب والشعراء ولكني أريد كتابة ما شعرت به نفسي وتصوير ما رأته عيني في غضون عدة سنوات قضيتها في بلد العواطف والجمال والعلم والعرفان والحقيقة والخيال .

(١)

اليوم الاول

ركبنا القطار من براين ظهراً قاصدين باريس فوصلناها صبيحة اليوم التالي . قضينا الليل في تلك الغرفة الخشبية وحاوانا النوم مراراً فلم نفلح فمكثنا نتجاذب أطراف الحديث الى أن لاح الصباح وما أجل إنبثاق النور على تلك الاراضي الخضراء . أما السماء فكانت متلبدة بالغيوم ثم بكت عين السماء قليلا فشعرنا بوحشة وانقباض ولبثنا واجهين لا ننطق بينت شفة ننظر لتلك القصور القديمة التي كنا نراها من نافذة القطار ، قصور شاهقة قائمة فوق تلال خضراء عليها مسحة من القدم دعنا لأن

الكتاب السادس

مذكرات تاج الدين

خواطر

- ١ لا يهدم المشروع الكبير غير الحياء .
- ٢ الجبن هو سر تأخر الشرقيين لأنهم لا يخاطرون بكل ما عندهم في سبيل نجاحهم .
- ٣ الرأي الجديد يؤلم لأنه يفاجئ الانسان قبل أن يأخذله عذته .
- ٤ لا خوف على الأمة من الرأي الجديد لأنه يفيد إن كان صائباً ويموت إن كان واهناً .
- ٥ الرجل ذو الإرادة القوية إذا كان سيئ النية يكون أقل خطراً على الأمة من الرجل ذي الإرادة الضعيفة إن كان خالص النية .
- ٦ يستحيل على من وُلد فقيراً ثم إعتنى في سبيل الصدفة والخداع أن يصبح يوماً صديقاً يعول عليه .
- ٧ من الناس قوم يستحيل عليهم أن لا يخالطوا الجسد بالهزل . هؤلاء والبهائم في مستوا واحد .
- ٨ الصداقة كالحب تحمل في نفسها مهدها ولحدها .
- ٩ ليست التعاسة في أن تحب وأن لا تكون محبوباً ولكن التعاسة في أن تكون محباً محبوباً وتجبرك الظروف على مغادرة من تحب .
- ١٠ الحب يحمل تحت ابطه رداء الفضيلة ليرتديه كل انسان وضيعاً كان أو رفيعاً .

(١٩١٨)

يباغ الثانية عشر من عمره ، يمسك بكتاب في يده مكتوب عليه هذا
العنوان (مبادئ علم الفلسفة) ولبثا يتناقشان مع عمتهما ثم قنسا سويا
للعشاء ومكثنا تتسامر بعد ذلك ثم دخل كل الى غرفته لينام .

سبحان ربي لقد كنت أباغ التاسعة عشرة بل كنت على أبواب
العشرين وكنت من حملة الشهادة الثانوية ولكني كنت جاهلا بعلم طبقات
الارض ومبادئ الفلسفة .

أما الطفل الافرنسي البالغ من العمر ثمان سنوات أو اثنتي عشرة
سنة فهو خبير بعلم طبقات الارض وبعلم الحيوان والنبات والمنطق وعلم
النفوس . لقد كنت أمام هذا الطفل الصغير كالتلميذ الجاهل أمام
الاستاذ المتعلم .

يحمل الشاب منا الشهادة الثانوية فإن كان من القسم العلمي جهل
علمي التاريخ والجغرافيا وإن كان من القسم الادبي جهل الرياضيات
والكيمياء والطبيعة . أما علم طبقات الارض والحيوان والنبات والفلسفة
فلم تقرر بعد في برنامج المدارس الثانوية ولا ندرى السبب في ذلك .
نكتب هذا لوزارة المعارف ونحن نأمل أن تصالح في الغد ما
أهمته بالامس .

(٣١ اكتوبر ١٩١٨)

هنا وهناك

ما أجمل جبل السنسير بضواحي ليون ، جبل أخضر اللون تكتنفه
تلال تكسوها الأشجار ومروج تقطعها الطرق ، وعلى قمته بنتٌ يد ناسك
متهشف بيتاً صغيراً يقضى فيه حياته تحوطه حديقة غرس أشجارها بيده .
هناك تشرق عليه الشمس وهناك يعم الظلام بيته وهناك اعتزل العالم
وهناك سيموت . وبين هذه الجبال نزلت منذ ثمان سنوات في أسرة
افرنسية لأقضى بينهم ثلاثة أشهر أدرس فيها اللغة الافرنسية ، وكان
يتهم غير بعيد عن الجبل وكنت أشرف منه على مدينة ليون فتراءى
لى في ظلام الليل بمصايحها اللامعة . أيام جميلة تعيدها الذكرى لنفسى
وما أجمل الذكرى والانسان بعيد عن هذه البلاد التى قضى فيها جزءاً
من عمره لاقى فيه السعادة والصفاء . قلت إنى كنت نزيل أسرة
إفرنسية مكونة من رجل وزوجته وشقيقته وولدين له يذهبان صباحاً
إلى المدرسة ويعودان منها قبيل الغروب فيلعبان ويمرحان فى الحديقة الى
أن يدنو الليل فيدخلان غرفة المطالعة ويقضيان مع عمتهن ساعة من
الزمن قبل العشاء يعيدان فيها درس اليوم ويدرسان درس الغد . وأبيح
لى أن أشهد هذه الدروس لتعتاد أذنى سماع النغمة الافرنسية ، ففي ذات
ليلة رأيت فى يد الطفل الصغير ، وكان لا يباغ من العمر إلا ثمان سنوات ،
قطعا من الحجارة يدرس أسماءها مع عمته ورأيت الطفل الكبير ، وكان

قد وضع حملهُ أمام بيت دخل فيه يساوم بعض الخدم على شراء ثوب عتيق فأخذت من بين بضاعته الثوب الذي دفعت ثمنه وما دفعني لذلك غير الانتقام وإذا بالرجل خرج من البيت وجرى ورائي وأمسك بي ثم أخذ الثوب مني وما زلت بين يديه يصفعني تارة ويهزني طوراً إلى أن سامعوني ليد البوليس وحكم على بشهرين قضيتهما بين جدران السجن . ثم تبسم الشيخ احمد وقال ولكني لا أ كذب القول لقد كنت على أحسن حال في سجنى فما شكوت ضيقاً ولا جوعاً . وغادرني الشيخ احمد وهو يبسم حاملاً الواح الثلج كما دته فقلت في نفسي حرام أن يعاقب الأبرياء أما المجرمون فما زالوا يعمشون في الأرض فساداً ثم القيت نظرة أخرى على الشيخ احمد وهو يتوارى عن نظري فرأيت فيه صورة البأس الذي يخرجهُ المجتمع الانساني من حيز الأبرياء إلى حيز المجرمين وكيف لا يكون الامر كذلك والشيخ احمد لم يشك في سجنه ضيقاً ولا جوعاً .

(٣ اكتوبر ١٩١٨)

وجدرانها وكل شيء فيها سلامه ويبيها أشواقه ولو كان للارض والجدران
لسان يتكلم لسمعنا حديث الشوق وتحيات اللقاء بعد الفراق . ناديته
فأبى نادئى ووافانى يتعثر فى مشيئته فسألته عن سر غيبته فقال :

— كنت رهين السجن ياسيدى .

— الشيخ احمد يزج فى أعماق السجون ؟

— إبنى والله برىء .

— وكيف كان ذلك ؟

— سيدى لا يعرف الرجل الذى يشتري الملابس الرثة ثم يبيعها فى

الطرق بعد اصلاحها .

— أعرفه يا شيخ احمد وأسمع صوته كل يوم فما هو إلا حانوت متمقل

— بورك فيك يا سيدى فقد عرفت الرجل . لقد سألته يوماً شراء

ثوب كان فى يده وساوتمته على الثمن فأبى أن يبيع الثوب بعشرة قروش

وغادرنى وسار فى طريقه ولكنه التفت الى بعد حين ونادانى قائلاً هات

الثمن وخذ الثوب فاعطيته ما كان فى جيبى وكنت لا أملك سوى عشرة

قروش فوضع الدراهم فى جيبه وسار فى طريقه فجريت وراءه لا آخذ

الثوب ولكنه نهرنى ثم ضرب بنى وريح الصفقة منى فالتفت يمنة ويسرة لعلى

أجد فى الطريق رجلاً ذا شهامة ومروءة يرد الىّ مالى فلم تقع عيني على

غير آكام الرمل فعدت أدراجى صفر اليدين لا أملك أبيض ولا أسود

ولكنى أقسمت أن أنتقم من ذلك الوحش بل من ذلك الجبان الذى

وجد ضعفى وبؤسى وسيلة يبرر بها جريمته . وقابلته بعد أيام ثلاثة وكان

سارق وسارق

الشيخ احمد يافع أصفر الوجه نحيل الجسم إذا مشى سار الهويننا لضعفه وانحلال قواه وإذا نظر اليك إنيمث من عينه بريق يهز أوتار قلبك ويبعث فيه الشفقة والحنان . تراه في صبيحة كل يوم يحمل على ظهره المقوس الواح الثلج يسير بها في شوارع الرمل أيودعها في البيوت والقصور وما ساقته لذلك غير الحاجة ولا قاداته غير البلوى فهو من الفقراء البائسين الذين لا حول لهم ولا طول . ولقد أطلق عليه أطفال الرمل اسم الشيخ احمد لسذاجة طبعه وضعف قوته فهو في نظرم العوبة يقتلون به الوقت والوقت في نظر الاطفال لا قيمة له . بيد أن اسم الشيخ احمد التصق بشخصية ذلك العامل المسكين فرده الكبير والصغير والغنى والفقير والشريف والحقير وأصبح حامل الثلج لا يعرف في حى الرمل بغير ذلك الاسم .

اعتدنا أن نرى وجه ذلك المسكين في كل رصيف عند مجيئنا للاسكندرية وكأننا نرى برؤيته جزءاً من رمال الرمل وغياضها وبحرها الهائج غير أننا في هذا العام حرماناً رؤيته وجهه البائس شهراً من الزمن شعرنا باختفاء شيء اعتدنا رؤيته كل صيف . ثم ظهر الشيخ احمد في ربوع الرمل يحمل على ظهره الواح الثلج ورأيناه في صبيحة يوم من الايام يطرق بابنا ويدخل فناءنا وهو يتسم كأنه يقرئ أرض الدار

- شكرا لك يا سيدى لانك بطبع هذا الكتاب تخدم الشرق أجمع
— بل إنى أشكركم بالتمام الى بطبعه .
— إنك تظهر ما أثر العرب وتنشر علومهم الدفينة .
— أجل ولكنى أيضا أظهر للعالم الانساني كيف كان حال الطب
في ذلك العهد ولهذا أخدم تاريخ هذا العلم ولعلمى أوفق لذلك .
وودعنا الرجل وانصرف حاملا الكتاب وأتانا به بمد أشهر معدودة
مطبوعا متقنا جميلا .
لعلى بكتابة هذه الخاطرة أشرح لابناء وطنى سرا من أسرار
تأخر المصريين .

(١٩ سبتمبر ١٩١٨)

— أرى سيدي الفاضل يجلس كل يوم مع جارنا لتلاوة
أحاديث النبي .

— نعم يا ولدي وعلى بركة الله .

-- قراءة أحاديث النبي ذات فوائد عظيمة لعالمكم وجدتم فيها شيئا
يعزز بعض آراء النحويين .

— نحن نقرأها يا ولدي على بركة الله .

— ألم تجدوا في معاني أحاديثه نظريات تتفق أو تدحض بعض
نظريات علم الاجتماع .

— نحن نقرأها يا ولدي على بركة الله .

— ألم تجدوا فيها شيئا من سياسة الامم .

فنظر الرجل نظرة حيرة واستغراب وأمسك باحيمته وتردد قليلا
ثم قال .

— نحن نقرأها يا ولدي على بركة الله .

ثم ودعنا وانصرف .

وانقضى شهر رمضان وكادت أن أنسى ذلك اللقاء الى أن سافت
الظروف لدارنا مستشرقاً من مستشركي أوروبا شيخاً أشيب وقوراً حليم
الطبع لأمع الصنعة . قدم الى مصر للبحث عن كتاب عربي قديم في
أمراض العيون بحث عنه في جميع مكاتب العالم فلم يجده في غير مكتبتنا
جلست مع الرجل وحادثته ملياً وقلت له :

س من أسرار تأخر المصيبين

يسكن بجوار منزلنا رجل أشيب معمم ذو ثروة كبيرة ، إذا مشى في طريقه ينبعث من وجهه جلال ووقار ، وإذا نظر اليك نظرة اختبار واستفسار قرأت في عينيه الطيبة ولا أعلى إذا قلت السذاجة . هذا هو جارنا الجديد المحبوب صاحب المال والبنين والبنات والثروة والجاه والفضل الكبير .

مضى عليه في الحى الذى نسكن فيه أربعة أشهر ثم جاء شهر رمضان فاذا بي أراه من نافذة غرفتي يجلس مع أولاده في غرفة من غرف داره ليقرا البخارى وإذا بي أرى شيخاً آخر من الذين يطرقون بيوت الناس كل يوم جالساً بجواره يسمع أحاديث النبي ويهز رأسه استحساناً حتى إذا تعب صاحب الدار من القراءة أمسك شيخنا الجديد بالكتاب وابتدأ في تلاوة الاحاديث .

جميل ذلك المنظر ، منظر الشيخين والاولاد الصغار يتلون ويرددون أحاديث النبي وفي ذلك عبرة لمن يعتبر وذكر لمن يتذكر . ثم زارنا الشيخ الآخر ذلك الذى اعتاد الدخول فى بيوت الناس كل يوم فجلست معه ساعة من الزمن وسقت معه الحديث فى مواضع شتى الى أن تكلمنا عن قراءة البخارى فقلت له .

عينه ثم سار في طريقه مع ابنه وكأنه تفاعل شرآ مما حدث فعاد من حيث أتى .

لم ألبث في طريقي قليلا حتى رأيت طفلين من أطفال شوارع الاسكندرية يتسابقان لمكان الحادثة وكانا لا بسين من الملابس ما لا يحجب من جسديهما إلا القليل، عاربي الرأس حافبي الاقدام تتراكم على جبهتهما واملبسهما القاذورات والاوساخ - تسابقا لمكان الحادثة ولما وصلا اليه ركعا على الأرض ولبثا يا احسان الابن وكان لبنا بالتراب لا بالقهوة .

يا لله أترفض نفسى في هذا الصباح فنجان ابن بقهوة وترضى نفسا هذين الفقيرين لبنا ممزوجا بالتراب
(٢٥ يوليو سنة ١٩١٨)

لبن بقهوة ولبن بالتراب

صباح اليوم ، بعد أن صحوت من نومي وابست ملابسى ، أتتني الخادمة بالفطور لآكل ثم أخرج . أقيت نظرى على الطعام فوجدته مختلف الالوان من جبن وزيتون وبيض وابن وقهوة وكانت لى شهية لآكل فأكلت من الجبن والزيتون والبيض حتى شبعت ثم نظرت لللبن والقهوة وقلت لنفسى (إني أشرب اللبن مع القهوة صباح كل يوم ولقد شبعت من غيره اليوم وليس فى مقدورى أن أضيف الى ما فى معدتى من اللبن شيئاً) وقت لآرتدى ملابسى وإذا بى أرى كلبى يبصص لى بذنبه فأفرغت ما كان فى فنجانى من اللبن فى وعاء المكاب وتركته والوعاء .

ركبت ركاب الرمل حتى الاسكندرية وقضيت بعض حوائجى ثم أردت الرجوع فانتظرت فى المحطة قليلا متوقفا وصول القطر الذى يقلىنى حتى المحطة التى أسكن فيها وإذا بى أرى رجلا يباغ الحسنين يسير وراءه طفل ماشككت فى أنه ولده يحمل معه قدراً مملوئاً بسائل لا أعرفه وحاولا ركوب قطار كان قد غادر المحطة وابتعد عنها قليلا وإذا بالولد يهوى على الارض والاب يهوى فوقه ولحسن حظهما لم يصابا بسوء ولكن القدر انكسر وسال ما فيه على الارض وكان لبنا ناصع البياض فنظر اليه الرجل نظرة ملؤها الاسف وكادت الدموع تسيل من

وضعتها أقدامى بالامس فاذا بي أرى رجل الأمس يقترب منى وكانت تسير بجواره عادة ما شككت فى أنها زوجته . وشعرت خلفى أيضاً بالرجل الثانى يسير مع سيدة ما شككت أيضاً فى أنها زوجته . ولما تلاقى الجمعان انفصل كل من الرجلين عن زوجته ووقفنا من بعيد ينظران للارض دون أن يحسرا أحدهما على رؤية الآخر . أما الزوجتان فقد كانتا على ضد ذلك . وقفت كل واحدة منهما تحدث الاخرى وهى لأمعة الصفحة باسمه الفم ثم انفصلتا عن بعضهما وسارت كل واحدة بجانب زوجها متخذة وجهتها لمنزلها .

ياللهجب . بالامس وقف الرجلان يعتب الواحد منهما على الآخر لطول غيبته ثم سارا جنباً لجنب يتحدثان ويضحكان واليوم وقف كل واحد منهما بعيداً كالصنم لا يتكلم ولا يتحرك كأنه لم يكن بين الاول والثانى ود وصداقة . كل هذا لا نفعله احتراماً للنسائنا بل احتراماً لتلك الخرقه التى نضعها على وجوههن ، التى نسميها بالبرقع . حرام أن يكلم الصديق صديقه إذا قابله مع زوجته ظناً منه أن فى ذلك ما يحط من قدر الزوجية إذ للرجال علماً منفصلاً عن النساء . ألم يكن أحسن من ذلك وأولى أن يقف الاربعة ليتحدوا معا ويتزهاوا معا وعلى الأخص إذا كان الرجل صديق الرجل والزوجة صديقة الزوجة . أى حائل يحول بينهم والى متى تبقى تلك الحال السيئة ونحن فى غنى عنها .

ولكن المرأة لم تخاف لهذا الهناء فى مصر

(٤ يوليو سنة ١٩١٨)

ولكن المرأة لم تخلق لهذا الهناء في مصر

ما أجمل الصيف في رمل الاسكندرية وما أجمل رمل الاسكندرية في عين المصطاف . الأرض صفراء والحدايق خضراء ومياه البحر زرقاء والامواج زئير تألفه النفوس كأنه موسيقى الصيف والقمر في منتصف كل شهر أشعته زاهرة تنعكس على وجه الماء فتبدو للعين فضية اللون . والاستحمام في ماء البحر كل صباح يعيد للنفس نشاطها وللقلب طمأنينته وراحته . كل هذا جميل وأجمل منه أن تخرج من منزلك عصر كل يوم للتنزه فتصادف في طريقك صديقاً تأنس حديثه فتسيران الهويناء معا تنظران لجمال الطبيعة وتناجيان قدرة الخالق وعظمته تبدو في صغار الاموز وكبارها فوق هذه الرمال

أخرج في العصر للتنزه ساعة ثم أعود لمنزلي قبيل المغرب . ففي ذات يوم خرجت للتروض كعادتي وبينما أنا سائر في طريقي لمحت رجلاً يقرب مني من بعيد وشعرت برجل آخر يسير خلفي ثم اقترب الرجلان وسالما على بعض وهما يتسلمان ووقفاه هنيهة يتحادثان ثم سارا معا أمامي وهما يعتبران على بعضهما لطول غيبة الواحد عن الثاني فما شككت في أنهما صديقان التقيا في هذا الطريق بعد فراق طويل . ثم دلفت لمنزلي وتركتهما معا ولم أعلم عن أمرهما شيئاً إلا عصر اليوم التالي .

خرجت في اليوم التالي للتنزه كالعادة وسرت في الطريق التي

الناس بمظهر الصائم حتى إذا جاع دخل القهوة سراً ودخل في ركن من أركانها يشرب البيرة ويأكل الفول . هذا هو منظر الرجل الصائم جهازاً والفاطر سراً .

والمنظر الثالث ، منظر الرجل الفقير الضعيف المريض الذي أتى القهوة ليستنشق هواء حديقة الازبكية ويشرب فنجان قهوة وكوبه ماء وكل هذا بقرش تعريفه فقط .

هذا الرجل أجبرته ظروف الحياة على الافطار فلم يخش الناس وشرب القهوة والماء أماءهم وهو يقول لنفسه (الله يعلم اني مفطر فتعلم أيضاً الناس لانني لم أفعل ما يعضب الله) .

والمنظر الرابع ، منظر شاب مصري لا يتكلم إلا الافرنسية أو الانكليزية مملوءة بالاغلاط المضحكة ولا يلبس إلا اللباس الجميل ولا يمشي إلا مشية الاعجاب والتبخطر وإن ضحك كانت ضحكته نسائية تستلفت أنظار الرجال قبل النساء وإن تكلم سالت من فيه الرقة وادعى أنه ممن تتفانى النساء في محبتهم . يجلس هذا الشاب على قهوة ماتاتيا وارضعاً رجله اليمنى على رجله اليسرى خالماً طربوشه وممسكاً بيمنه كأس الوسكى أو الكونياك يحتسيه جرعة جرعة . هذا هو منظر من لا يخشى الله ولا اللبس منظر المتترنج ، منظر العضو الأشل في جسم الامة المصرية

بل ما أجمل النغمات الموسيقية في قهوة ماتاتيا نغمات (أحجار الطاولة) ممتزجة بصوات بأعلى أوراق اليانصيب . ما أجمل قهوة ماتاتيا إذا جلست فيها وأتاك أحد السماسرة يعرض عليك شراء منزل أو بيع قطعة من الأرض الخ . بل ما أجمها أيضاً وقد جالس فيها كتاب المحامين يناقشون أصحاب الدعاوى وصغار المهثمين يتحدثون في شتم اخوانهم ورؤسائهم . والاجمل من كل ذلك أن ترى قهوة ماتاتيا وهي تنظر بعين الغطرسة والعجرفة للخيم الصغيرة والكراسي المهشمة التي أعدها كاتبو العرضحالات لانفسهم ولزبائنهم على رصيف المحكمة المختلطة . كل هذا جميل . هذه مناظر من مناظر الحياة تسترعى نظر الكاتب الذي يكره الجلوس في سولت وجروبي والكوكتيننتال والذي يجب أن يرى بعينه من غرائب الحياة ما يجري في أمثال قهوة ماتاتيا . كل هذه المناظر الحيوية يراها الرائي كل يوم ولا يعبأ بها ولكنه إذا مر على القهوة في شهر رمضان رأى مناظر أخرى تستوقف نظره : أربعة مناظر جديدة من مناظر التمثيل ليست أجمل من المناظر الاولى ولكنها أكثر منها غرابة .

المنظر الاول منظر رجل من لابسى الجبة والقفطان ناعس الجفون جهم الحيا ممسكا بمسبحة طويلة عريضة يقتل بها الوقت ، هذا هو منظر الشيخ الصائم الذي ضاق في عينه منزله فأتى ليقضى وقته في القهوة بلا أجر ولا ثمن .

والمنظر الثالث منظر رجل مثله أقل منه عبوسة ونوماً يظهر أمام

رمضان في قهوة ماتاتيا

خلف المحكمة المختلطة وأمام بنك الكريدى وفي كتف دكان
مذكور وقفت قهوة ماتاتيا وقفة الرجل الديمقراطي متهلة الوجه باسمه
القم تجمع من الناس الغنى والفقير والرفيع والوضيع والمتكبر والوديع :
ما أجمل قهوة ماتاتيا وهي تنظر لحديقة الازبكية نظارة الهازى
تقول لها وهي تبسم « أنت شاسعة الارعاء كثيرة الاشجار طويلة
الطرق والدروب وأنا صغيرة وحقيرة وإن شئت فأنا أيضا غير نظيفة
ولكنى أضمر تحت لوأى عددا من الناس لم يظأ أرضك بعد ربعة ولا خمسة
فأنا أكبر منك مكانة وأرفع مقاما

ما أجمل قهوة ماتاتيا وقد وقف على كل باب من أبوابها رجل
اسرائيلى أمام خوانه الصغير بعد أن وضع عليه قدرة الفول المدمس يحف
بها البصل والخيار والقوضه الحمراء والفجل والسكرات .

ما أجمل قهوة ماتاتيا وقد جالس فيها الشاب ذو الوجه الجميل
والشعور المسدلة والقند النحيف واللباس النظيف ينظر مرور الناس
ليسرق من جيوبهم باسم (حرفة) الادب والشعر أو باسم (اللاحرفة)
الدرهم التي أعدها للفقراء والمساكين . بل ما أجمل قهوة ماتاتيا وقد
جلس فيها أيضا الصحفي صاحب الجريدة الأسبوعية الشهيرة التي تصدر
لسبب الناس وانتقادهم بلا ذنب ولا جريرة .

وافقت ليالى العرس . كان الباشا يضحك وكان الحوذى يبكى . كان الباشا يعد معدات العرس ويصرف من أجل ذلك عن سعة وكان الحوذى يبيع أثاث بيته ليشتري الدواء لابنه المسكين . كانت النفقات تظن في آذان الباشا فينشرح لها صدره وتبسط نفسه وكانت أنفاس الابن تقم في قلب الوالد فتقطع البقية الباقية منه .
وفي صبيحة اليوم الواحد والاربعين زاد على أهل القصر الكبير شخص وهو زوجة الابن الاكبر ونقص من أهل البيت الحفير شخص هو ابن الحوذى البأس .

أصبح الزوج ينعم مع زوجته بما لذ وطاب وأصبح الشاب الفقير جثة هامدة تبللها دموع أبيه المسكين
ذهب الحوذى لقصر الباشا باكي العين كاسف البال خاوى الوطاب وسأله أن يعطيه ما ينفقه في سبيل دفن ولده فامتنع الباشا معتذراً بأنه أنفق المال الكثير أربعين ليلة متوالية لزواج ولده .
إن ذلك شديد هائل على كل نفس حرة أبية .

(٦ يونيو سنة ١٩١٨)

عرس وماتم

شارع (ال . .) شارع قديم جداً أنشأ في عهد أمير مصر سعيد باشا وبقي على حاله الأول الى يومنا هذا ولعل السر في ذلك وجوده في حي قديم بعيد عن الاحياء الاوربية . وهو كالشوارع القديمة مجمع بين القصور الكبيرة تحوطها الاسوار العالية والبيوت الصغيرة الخفية التي لا تأوى تحت سقفها إلا المساكين . في هذا الشارع قصر كبير لأحد بشوات مصر المعروفين بالجاه والحسب والثروة ولهذا الباشا أربعة من الاولاد الذكور واثنان من الاناث يعيشون عيشة هادئة مرضية وينعمون بلذات الحياة ومسررتها

أراد الباشا أن يزوج ابنه الأكبر فخطب له ابنة تساويه مقاماً ومالا وأقام الأفراح في قصره أربعين ليلة متواليه حتى ملت النفوس سماع النغمات ورؤية التعاليق والانوار

عرس يجمع أربعين عرساً !!! تلك امرى مسألة عريضة طويلة حوت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . شيء كانت له ضجة هائلة في ذلك الحى بل كان حديث الناس في كل مكان

وفي ذلك الشارع أيضاً بيت حقير لحوذى من أصحاب العربات الكارولة ولد مريض أربى على الثامنة عشر لازم القراش أربعين ليلة

وأمر بحل وثاقه وأخذه على ناحية وهمس في أذنه وهو يتلمظ وقد
سال اللعاب من فيه .

— ما الذى معك . حلاوة . هيه حلاوة .

— نعم حلاوة .

— هات حتة

فأعطاه الطفل الحلاوة والتمهها العريف وهو يتسم وعاد الطفل
لمكانه . وخرجت من المكتاب بعد أن شاهدت فيه درساً من أخلاق
السوقة لا أظن انى أراه فى مكان آخر

٢٣ مايو سنة ١٩١٨

كرسيه وصرخ في الاطفال صرخة أراد بها اظهار مقامه بينهم ولكني
لا أنكر اني ارتعدت عند سماعها كما يرتعد العصفور أمام الباشق . ثم
التفت يميناً وشمالاً فرأيت طفلاً ينسل من مكانه لركن الغرفة وهو يخفي
في يده شيئاً وإذا بالعزيز يصيح .

— إلى أين؟ وكيف تجرأ على مخالفة النظام؟ تمال هنا
فأتى الطفل وهو يتعثر في مشيته وصاح العزيز مرة ثانية .
— على (بالفاقة) .

فأتاه بها أكبر الاطفال سنّاً وشدوا وثاق الطفل وأقسم العزيز
بأغاظ الأيمان أنه سيضرب الطفل ضرباً مبرحاً لانه خالف النظام
والاوامر الجديدة وهم بضربه وهو يقول .

— أقسم بالله والنبي والرسل والصحابة والاولياء والاتقياء الاحياء
منهم والاموات إنك لا تنفك من يدي . سوف ترى . سأحل بك
أشد عقاب رأته العيون وسمعت عنه الآذان من عهد آدم ونوح .
ما الذي تخفيه في يدك؟ تكلم . ماذا غادرت مكانك خفية . ما الذي بيدك؟
فصاح الطفل وقد رأى العزيز يهم بأن يهوى بمصاه على
جسده الناعم .

— حلاوة . حلاوة . والنبي ياسيدنا حلاوة .

فابتسم العزيز وقال

— صفحت عنك لأنك قلت الحقيقة .

درس في كتاب

يطلق سكان باب الخلق والحزاي والسكة الجديدة على حارة
درب سعادة اسم (شارع) ولا أدري لماذا يفعلون ذلك وحارة درب
سعادة ضيقة تكاد تلتطم العربات بمجردانها إذا مرت فيها وهي مملأى
بالقاذورات والاحال صيفاً وشتاء. وقد عززت الحكومة رأى السكان
فلم تضن عليهم بلوحة مكتوب عليها بخط جميل (شارع درب سعادة)
وان كانت ضنت عليهم بمصاييح الانارة. وفي هذه الحارة، أستعقر الله
بل في هذا الشارع، جامع يقصده عباد الله للصلاة ويجوار هذا الجامع
كتاب صغير يطاق عليه كتاب (سينو اغا). كنت أسكن هذه الناحية
وأنا صغير بل في هذه الناحية ولدت وفيها ربيت ولم أتركها إلا وأنا يافع
بعد أن بعنا دارنا الكبيرة التي لم يبق منها إلا دمن تبعث الذكري في
القلوب، ذكرى الطفولة العذبة الجميلة. أذكر اني وددت وأنا صغير أن
أزور الكتاب لأقارن بينه وبين المدرسة التي كنت أذهب اليها كل
يوم فدخلت مع خادمي وصعدت للطابق الاعلى ورأيت الاطفال جلوساً
كلاً أمام قطره وهم يرددون آيات القرآن الكريم بنغمة حلوة شجية
وكان (الفقي) غائباً ذلك اليوم أما (العريف) فكان واقفاً في وسط
الغرفة وييده عصا (جريدة) تنظر اليها الاطفال نظرات ينبعث من
بريقها الخوف والوجل. رأني العريف وحياني أجمل تحية وأجلسني على

وقفاً يخطب في المجمع ويصيح بلء فيه (الطب أيها السادة هو النبع
الفياض الذي يستقى منه الفقير بلا أجر ولا ثمن ، الطب هو الدار التي
يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك فيخرج منها صحيحاً مغانى ،
بل الطب في نظري أيها السادة كبيوت الله تجمع بين الفقير والغنى
والبائس والسعيد في مستو واحد . بل ربما كان الطب أوسع صدراً للفقراء
وأحنى قلباً على الضعفاء والبائسين ، الطب . . .)

٤ ابريل سنة ١٩٢٨

مخالب الموت) فقام الرجل دون أن يفوه ببنت شفاه واتخذ وجهة الباب وخرج للشارع ليأتي بالطبيب ومشى الرجل في الشارع وهو يترنح كالشارب التمثل الى أن وصل لباب الطبيب ودقه ثلاثا فخرج خادم أسود وهو يهيمم ويزمجر وقال له (ماذا تريد ؟)

— ابنتي تموت . أريد أن أحادث الدكتور .

— الدكتور مشغول جداً وقد نبه على أن لا أجيب سائلا .

— ولكن ابنتي تموت .

فأقبل الخادم الباب ورجع الفقير من حيث أتى وهو خافق القلب ولكنه وقف هنيهة قبل أن يصل لمنزله وقال لنفسه (أجل سأفعل ذلك وماضرنى لو فعلته) واذا به يرى رجلا يسير الهويناء في الطريق فمد له يده وقال (حسنة يا سيدي) فانتهره الرجل وسار في طريقه . ومر رجل ثان وثالث ورابع وكان نصيب الفقير الخيبة في كل مرة . وإذا بالشرطي يقول له : (ما هذا الفعل يا رجل ؟ متسول في الطريق . هيا الى القسم) ولم يكن مع الفقير ما يسد به فم ذلك الشرطي فقال له : (لم أعود التسول يا سيدي ولكن ابنتي تموت فأردت أن أجمع أجره الطبيب فلم أجد غير هذه الوسيلة) ولكن الشرطي قاده للقسم وهناك قضى ليلته .

وفي الصباح عاد الفقير لمنزله بعد أن أطلق سراحه وكانت الساعة تدق العاشرة واذا به يسمع صراخا وولولة فهزول لداره فوجد زوجته تبكي وتصرخ وابنته قد فارقت الحياة فانكب عليها وقد فقد الرشده . وفي هذه الساعة . الساعة العاشرة كان الطبيب « الدكتور... بك »

وكان الدكتور يسكن حياً وطنياً يضم في أحشائه جماعة ممن يبيتون على الخسف ويشربون على غير ثميلة ، قوم فقراء أضربهم المرض وشفهم الحزن . وعلق الدكتور على باب داره لوحة كبيرة كتب عليها بالثلث « للفقراء مجاناً » . ما أجمل هاتين الكلمتين (للفقراء مجاناً) إذا مر الفقير وقرأهما دخل دار الدكتور وهو يقول : (سأدخل مريضاً وأخرج صحيحاً دون أن أدفع للدكتور ثمن عشاء الاطفال في البيت) أجل إذا قرأها الفقير تهلل وجهه وبرقت أسرته وابتسم ابتسامة تعبر عما في قلبه من الشكر والرضى وما رضى الفقير إلا حسنة من حسنات الله على بنى الانسان .

قلنا أن الساعة كانت تدق الثانية عشرة وأن الدكتور كان يكتب ونسينا أن أحد الفقراء في تلك الساعة كان جالساً القرفصاء بجوار فرش ابنته الحامل التي كانت تصرخ من الألم وهي ترتعد من البرد وقد اصطكت أسنانها وتقلصت شفتاها وسالت دموعها على خدها تكتب سطور البؤس والألم . ابنة في الثامنة عشرة من عمرها مات زوجها بعد أن تركها حاملاً وهي الليلة تلد وقد تعسرت ولادتها فأصبحت على قيد شبرين من الموت . جلس الرجل الفقير القرفصاء واضعاً رأسه بين يديه وهو كاسف البال غائر العينين لا يعرف ماذا يفعل ولا يهتدى لوسيلة يخفف بها آلام ابنته . وإذا بزوجته العمياء التي كانت تبكي وتضرب رأسها في الحائط تقول له : (أنسيت أن الدكتور بك يعالج الفقراء مجاناً . إذهب إليه واطرق بابه فربما رق قلبه وانقذ ابنتنا من

للفقراء عجانا

بينما كان الظلام . لقميا رداءه الأسود على المدينة والسكون ضارباً خياله والناس رقوداً في منازلهم كان الدكتور (. . . بك) جالسا أمام مكتبه يخطط بيده الكريمة ما يلبه عليه وجدانه الحى . وكيف لا يكتب الدكتور في تلك الساعة وغداً ستقام حفلة كبرى لأول مجمع طبي مصرى يخطب فيها الدكتور خطبة شائقة تمتلك على الناس نفوسهم وتستهوى أفئدتهم . أجل يكتب الدكتور ثم يفكر ثم يكتب وهو ممسك بالقلم في يده كأنه رمز الجد والعمل والحنو والشفقة ، وما لبث الدكتور في مكانه قليلا حتى سمع صوت الساعة تدق الثانية عشرة فوضع يده على رأسه وقال (حان ميعاد النوم ولكن الخطبة لم تتم بعد) وأمسك بيده القلم مرة ثانية وكتب الجملة الآتية : (الطب أيها السادة هو النبع الفياض الذى يستقى منه الفقير بلا أجر ولا ثمن ، الطب هو الدار التى يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك فيخرج منها صحيحا معافى ، بل الطب فى نظرى أيها السادة كبيوت الله تجمع بين الفقير والغنى والبائس والمسعيد فى مستوا واحد ، بل ربما كان الطب أوسع صدراً للفقراء وأحنى قلبا على الضعفاء البائسين ، الطب . .) ثم تمهل الطبيب قليلا وفكر كثيرا وهو جالس أمام مكتبه يمنه عن النوم والراحة ضميره الطاهر ذلك الباعث القوى باعث الخير والاحسان والشفقة على الفقراء من بنى جنسه .

وهو يلهث من النعب وقد عجز عن الكلام خملناه الى الدار ليستريح
ويأكل ويشرب .

سبحان ربى ، الفرق كبير بين الاثنين . الاول شاب اتخذ الكسل
حرفة والادب ذريعة . والكسل سبيل التدهور الى الدنيا التى تموت فيها
العواطف أو بالحرى الى الموت الأبدى . والثانى شيخ أقعدته الكبر ونال
منه الضعف ولكنه أبى أن يرجع القهقرى فى المعركة الكبيرة معركة
الحياة وعزَّ عاميه أن يمد يده للسؤال فعمد للعمل مفضلاً الموت على الجبن .
والعمل سبيل الارتقاء الى الدنيا التى يسود فيها الانسان لذروة الشرف
أو يموت فيها ميتة الابطال مـ

(مايو سنة ١٩١٨)

— البيك يعرف ما يلقاه الأديب من الضيم في مصر، والبيك يعرف
كساد سوق الأدب في مصر، والبيك يهيمه أمر الأدباء في مصر، والبيك
يساعد الأدباء في مصر .

فأجهته بابتسامة صفراء قاتلا .

— والبيك ليس في جيبه إلا من تذكرة الترام .

فضحك الشاب وقال .

— أنا أطلب مبالغاً لا يزيد عن شان ولا ينقص عن نصف فرناك

والبيك كريم .

فأخرجت من جيبى قرشين أعطيتهماله وسرت في طريقى

لأركب الترام .

...

نزات من الترام عند باب الحامية واتخذت وجهة دارى وأنا أسير
الهوينا وعند وصولى للمنزل وجدت شيخاً يبلغ الستين ضخم الجثة محنى
الظهر له لحية بيضاء تتدلى على صدره يدفع بيده عربة صغيرة عليها جمل
يبيعه للناس . يسير هنيهة ويستريح أخرى ويصرخ من أعماق قلبه
(ريان يا جمل) والناس تسير بجواره دون أن تهز قلوبهم الشفقة فيجودون
له بثمان كأس من الجمعة اعتادوا شربه كل مساء .

سار الرجل فى طريقه الى أن وصل الى نهاية الشارع وحانت منى
التفاته له فوجدته يصرخ (ريان يا جمل) ثم وقف هنيهة ليستريح وإذابه
يهوى على الارض فأسرعت مع الخدم اليه فوجدناه ملقى على الترى

ريان يا فجل

قضيت صباح أمس ساعة في قهوة ميدان الاوبرا قرأت فيها الجرائد
وشربت فنجانا من القهوة ثم هممت واقفا وعزمت على العودة لداري
للغذاء فقصدت ميدان العتبة الخضراء لاركب الترام . وبينما كنت ماراً
أمام دار البريد استوقفني شاب أسمر الوجه وضاح الطامة قوى العضلات
رشيق الحركات يدل بريق عينيه على ما في قلبه من عزم ونشاط : وكان
لابسا معطفاً جديداً يخفي بدلة ماشككت في أنها من عمل دلياً أورييو .
استوقفني الشاب بقوله :

— صباح الخير

فرددت السلام ونظرت اليه نظرة عبرت له عن استغرابي وحيرتي
وقلت لنفسى « ماذا يريد الشاب مني وايس لى به معرفة ولم أصادفه في
طريقى قبل اليوم . اعله صديق أحد أصدقائى يود محادثتى فى أمر يخص
ذلك الصديق أو لعل له قصد آخر » وهشى الشاب بجانبى وهو يتسم
ويقول :

— البك بلا شك على موعد لأنه يسرع فى سيره .

— كلا يا سيدى أنا عائد لدارى .

— أيسمح لى البك بخمس دقائق .

— بلا شك .

الكتاب الخامس

خطوط الحياة

قطعة مصرية ضمنها ملامظانه عن الحياة

- ١٢ يتعود الذهاب متأخراً لدار الفاروق ويبدأ أن يهمل أعماله
١٣ يذهب الى إحدى الحانات ليلا فيقضى فيها ليلته للصباح
ثم يقصد دار الفاروق ثملاً مترمحا
١٤ يطرد نهائياً من دار الفاروق
١٥ أصبح حسن محرراً صعلوكاً يعيش عيشة الأدياء الساقطين .

تم

ملحوظات ختامية^(١)

(يُعرف منها موضوع الرواية الختامية)

- ١ حسن يرسل حبييته خطاباً باسم صاحبة لها مُدرّسة
- ٢ امتحان البكالوريا — سقوط حسن
- ٣ خطاب من حبييته
- ٤ مشاجرة مع أمه . لا يريد دخول الامتحان مرة أخرى .
أول مرة أهان أمه فيها
- ٥ يرد على خطاب حبييته ويعتذر اليها
- ٦ دخوله الفاروق كمحرر
- ٧ أصبح محرراً وأصبحت حياته كما أتى : يقضى عصر يومه
في القهاوى وإيله في محال الخمر
- ٨ يتعرف بشبان أغنياء يغرونه على القمار
- ٩ أصبح حسن مقامراً
- ١٠ مشاجرة مع والدته من أجل القمار .
أنه في احتياج شديد للدراهم . تقرضه والدته
- ١١ الوالدة تباع حليها

(١) كتب المؤلف هذه الملحوظات الختامية ليستعين بها على اتّمام فصول
الرواية فنشرناها ليعرف القارئ منها موضوع الرواية الختامية باختصار

عبد اللطيف بك الجرس وأعطى المقالة للخادم آمراً إياه أن يدفع بها
لتنشر . فقال لعبد اللطيف بك .

— كنت أود أن يقرأ البك المقالة ليصححها .

— نحن لا نصحح ما تجود به قرائح رصفائنا . ولكن قل لي متى

ينتهي امتحانك ؟

— بعد خمسة عشر يوماً .

— أود أن تمر على بعد انتهاءك منه لأحدثك في مسألة هامة .

— إني رهن إشارتك .

وهم المحامى وافقاً واستأذن في الخروج وهو يقول لحسن .

— أعيد عليك جملة السالفة (الأحلام يا ولدى تتحقق إذا ارتكن

الإنسان على نفسه) .

ثم خرج بعد أن صافح صديقيه .

وحسن لا يعوزه في الدنيا إلا ارتكابه على نفسه فهل يفلح في مسعاه .

ثم جالس صاحب الجريدة ليفاوض حسناً في اشتغاله بالفاروق

رئيساً لقلم الترجمة .

(ملحوظة : الى هنا ينتهى ما كتبه المؤلف من رواية الشباب الضائع)

فأجاب المحامى .

— ما شاء الله .

وقال صاحب الجريدة .

— ولم يمنعه اشتغاله بالعلم من مساعدة جريدة كجريدة الفاروق

— هذه خصلة حميدة تثبت لنا تعلقك الشديد بالصحافة وكلافك بها

فأجاب حسن وهو يتردد فى القول .

— هذا من حسن أفضالكم وجميل سجايالكم .

فقال المحامى .

— وأى المواضيع يطرقها حسن افندى ؟

— أكتب فى مواضيع خيالية وأحب المقالات الاخلاقية ولى

كلف بترجمة ما يكتب فى الجرائد الانكليزية .

— شىء جميل . انى أبشرك بمستقبل عظيم . ستغدو يوماً ما

صاحب جريدة .

— هذا حلم جميل .

— الاحلام تتحقق يا صديقى إذا ارتكن الانسان على نفسه .

فقال صاحب الفاروق مخاطباً حسناً .

— وهل أتيتنا بشىء جديد ؟

— بالمقال الاول من مقالات خواطر .

وأخرج من جيبه رزمة أوراق دفعها لصاحب الجريدة . فذق

— وهل هو عليم به ؟

— كلا . سأعلمه به بعد اتفاق مع من سأستعيض به عنه .

— وهل وفقت لشاب حسن السيرة والسريرة ؟

— نعم . ولا ينقصني إلا الاتفاق معه .

ودخل عليهما في هذه الساعة حسن أمين وهو باسم الثغر فالتفت
عبد اللطيف بك لصاحبه المحامي وأسره هذه الجملة (افتكرنا القط جانا
ينط) . وصافح حسن أمين المحامي بعد أن قدمه له صاحب الفاروق
وجلس الثلاثة يتجاذبون أطراف الحديث . فقال المحامي .

— لقد حدثني عبد اللطيف بك عن حضر تكم كثيراً ومدح لي
غير تكم على تقدم الصحافة .

فاحمر وجه حسن وقال بصوت متهدج .

— إني لا أستحق كل هذا المدح .

— إنك لا تحب أن تذكر الناس حسناتك وهذا شأن كل

نابعة عظيم .

— حاشا لله أن أكون نابعة لاني . ما زلت تلميذاً أتلق العلم في

المدارس الثانوية .

— وفي أي مدرسة أنت ؟

فأجاب صاحب الجريدة .

— في السنة الرابعة بالمدرسة الخديوية .

— أتيت لأحادثك بشأن المقالة التي تعرضت لك فيها احدى
جرائد أمس . أتسكت عن هذه الوقاحة ؟
— السكوت خير وأولى .

— ليست هذه الجريدة من الجرائد الساقطة التي تبيع شرفها في
سبيل المال وليست المقالة مقالة مدح ولا ذم والسكوت يسىء من سمعة
الفاروق فأولى لك أن تكتب ردًا يكبح جماح أعدائك ويرد كيدهم
في نحرهم

— أتستصوب ذلك ؟

— بلا شك . ان الفاروق هو الجريدة الاسلامية الوحيدة المنتشرة
في جميع أنحاء العالم الاسلامي نخذ لنفسك الحيلة يا صديقي واعمل أن الله
مع العاملين .

مكث صاحب الفاروق هنيهة يفكر ثم نظر لصديقه نظرة
طويلة وقال :

— ستظهر المقالة غدا .

— بل اليوم .

— محال لقد أزف الوقت وليس عندي متسع للكتابة .

— إذا فلنرجعها للغد . وما الذي أنت عازم على فعله مع المحرر

السورى ؟

— قررت فصله .

وكان البك من العمدة الذين لم يتعموا القراءة ولا الكتابة . وانصرف محمود افندي حاملاً في يده الدراهم بعد أن أعطى لابي شفق الوصل ممضى عليه .

وتحدث صاحب الجريدة مع البك عن أحوال بلديته وعن الامن العام فيها وعن رأيه في النفي الادارى وأبدى له الزائر آراءً لولا كرم الضيافة لقمقه لسماعها صاحب الجريدة هازئاً ساخرأ . وانصرف البك بعد أن شرب القهوة وهو يتعثر بأذيال جبته وقفطانه ويصيح بملء فيه « السلام عليكم » .

ولما خلا صاحب الجريدة بنفسه قرع الجرس ودفع للخادم بالمقالة الافتتاحية ليذهب بها للتشر . ومكث هنيهة يضرب أخماساً في أسداس . ثم دخل عليه الخادم ليعلمن قدوم زائر جديد .

دخل الزائر فلم يقم له عبد اللطيف بك لما بينهما من الود والاخاء فصافحه الزائر ثم جاس بعد أن سأل صاحب الجريدة أن يعطيه سيجارة اعطاها له عن طيب خاطر وهو يبتسم . وابتدأ الحديث قائلاً .

— كيف حالك اليوم ؟

— على ما يرام . لقد أتيت مبكراً . أليس في عزمك الذهاب للمحكمة .

— ليس عندي من القضايا ما يبعثني على زيارة المحكمة اليوم

وعندي من المحامين كما تعلم من يقوم بأداء الواجب بالنيابة عني .

— حسناً فعلت .

— أدخله .

ودخل البك الجديد مهرولا يتمر في أذبال جبته وقفظانه وصاح

بملء فيه .

— السلام عليكم

— وعليكم السلام ورحمة الله .

وهم البك واقفاً وصافح زائرہ بيده وأجاسه في صدر المكان وقدم

له سيجارة بعد أن أمر الخادم أن يأتيه بفنجان قهوة وابتدأ يخادته وهو

يبتسم .

— لقد تكرم البك بزيارة الفاروق فرحى له وأهلاً وسهلاً به .

— لقد تشرفت بهذه الزيارة التي كانت تطمح اليها نفسى منذ عام .

إني مشترك بالفاروق وأقرأه كل يوم ويلذلى مطالعته كثيراً ولولا

إقامتى في الريف لكنت أول من يكثر التردد على صاحبه . فعندراً

يامسدى عنراً والكريم من يقبل العذر .

— إن عذر سىدى البك مقبول على العين والرأس أما زيارته

لادارة الفاروق ففى منة كبرى لا أنساها أبد الدهر .

— ولقد أتيت بالاشتراك فأرجو قبوله .

فأظهر صاحب الجريدة امتعاضاً ولكنه قرع الجرس وأمر الخادم

أن يناديه بأحد رجال الادارة وما غاب الخادم دقيقة حتى عاد ومعه محمود

افندى المنوفى محصل الاشتراكات واليه دفع البك قيمة الاشتراك فلما

قدم اليه الوصل لمضيه اعتذر البك لألم في يده وسأله أن يمضيه عنه .

— إذا كان ما نكتبه في جرائدنا من نوع مقالاتك . وامثالك
كما نعلم جميعاً قليلون في هذا البلد الامين .
— إنك تطرينى يا شيخ عبد الله .
— أنا لا أقول إلا الصدق فان ظننت فيه الاطراء ففسأناك
وما تظن .

— أشكرك . ولو انى أظننى أقل كفاءة من ذلك .

وهم واقفاً فقال له بحرى .

— وإلى أين ؟

— أود أن أرى البك .

وخرج مسرعاً لا يلوى على أحد .

...

كان محمود بك عبد اللطيف صاحب الفاروق ورئيس تحريره جالساً
أمام مكتبه يحرر المقالة الافتتاحية . وكانت الغرفة التى كان جالساً بها
مزدانة بأفخر الرياش وبها لوحة كبيرة مكتوب عليها بالثلث (بسم الله
الرحمن الرحيم . إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) وصورة متقنة للبك مرسومة
بالزيت صنعها له أحد ماهرى الرسامين بمصر .

جلس البك جلسة الكاتب المفكر ينظر للنافذة تارة ليستجمع
أفكاره وللورقة تارة أخرى ليخط ما يمليه عليه قلبه . فلما انتهى من
مقالته سمع خادمه الخصوصى يقول له :

— احمد بك أبو شنق ينتظر فى غرفة الاستقبال .

— خبر استقالة مدير مصاحفة البريد . أصحیح ذلك ؟
— الفاروق لا ينشر غير الاخبار الصادقة وإن نشرها قبل
أن تتحقق .

— لله درك .

وإذا بأحد الخدم داخلاً وفي يديه ورقتان دفع بهما للشيخ عبد الله
وهو يقول

— بريد زفتی ومیت غمر یرجو البیک أن تصاح ما به من خطأ .
فتناول الأستاذ الورقتين وهو يقول (الأولى بك أن تقول البك
یرجوك فی كتابته من جدید) وخرج الخادم وكأنه لم یسمع ما قاله
الأستاذ .

فالتفت حسن لشيخنا المسكين وقال :

— أیسرك اصلاح بريد الاقليم ؟

— مرة فی كل شهر

— بل قل مرة فی كل عام . وهل عزم الفاروق علی زیادة صفحاته

الی اثنتی عشر

— هذا ما لا علم لی به ولا اظن مذبح هذا الخبر صادقاً

— ولم ؟

— یصعب علینا ان نملأ ثمانی صفحات طويلة عریضة فأنی انا ان

نحرق اثنتی عشر صفحة . ومن من المصريين یقدم علی مطالعتها .

— المصريون متشوقون للمطالعة .

(وكان البيك صاحب الجريدة) .

— سأطاعه عليها بعد حين .

— جرى هذا الحديث الصغير وبحرى افندى مشغول بالترجمة

كأنه في واد والآخرون في واد آخر . فالتفت حسن له وقال :

— وما رأى بحرى افندى ؟

— وعن أى شىء يريد سيدى الكريم أن أبدي رأى ؟

— عن الخواطر .

— المقالات التى وعدت الفاروق بها ؟

— نعم .

— إني أرحب بها كما أرحب بك الآن .

— شكرا لك . وهل فى عزمك ترجمة مقالات الفيجارو عن

المراة المصرية ؟

— ربما صح منى العزم .

— يا حبذا لو أقدمت على ذلك وأخرجت تلك المقالات ذات

التخيل اللطيف والمنهج الواضح .

— أخشى أن تذهب الترجمة بحسنها الرائع .

— هذا تواضع أجل صاحبه عنه

ثم التفت حسن للشيخ عبد الله وقال :

— وما ذاك الخبر الذى نشرته أمس ؟

— أى خبر ؟

الديباجة المليحة واللفظ الشائق ويغفلون عن تلك الروح العالية التي اذا
قرأها القارئ جرت في نفسه مجرى الماء المثلوج في صدر الضامى
وسكت عن الكلام مشتغلاً بالكتابة . فنظر له الأستاذ نظرة
عتاب واستهجان وأمسك بقلمه ليكتب وخط على الورقة في السطر الأول
(داس قطار المطرية مساء أمس بجوار محطة منشية الصدر غلاماً يبلغ
العاشرة فأسال دماءه وهشم عظامه ونحن نستلفت انظار اصحاب . .)
وإذا به يسمع من النافذة صوتاً رقيقاً يناديه قائلاً

— عم صباحاً يا شيخ عبد الله

فرفع رأسه لاتجاه الصوت ولما عرف صاحبه ابتسم وقال

صباح الخير يا حسن افندى . تفضل .

وإذا بصاحب الصوت يقرئ السلام بحرى افندى فرده بما هو

أحسن منه ودخل حسن امين عابيهما وجاس على كرسي بعد ان صاحبهما

ثم التفت يمنة ويسرة ورفع رأسه للسقف ثم قال

— انى أتيتكم اليوم بالمتال الأول من مقالات (خواطر)

فقال الأستاذ .

— وكم عدد هذه المقالات الشائقة ؟

— ربما أربت على العشرين .

— ما شاء الله .

— وأود أن تظهر المقالة الاولى في التاروق اليوم

— وهل اطلع عليها البيك ؟

— وهل تظن أن خربوشاً محروم من مواهب الفن؟

— من مواهب الابتكار فقط والابتكار أساس الكتابة

— وهل قرأت قصيدة على بدر. لقد دفع الى بهارئيسنا لتنشر في

صدر الجريدة

— أظنها لا تخلو من المدح

— كعادته

— أف لشعرائنا الكرام. فقد قل من يعتنى منهم بالخيال والمعنى

— وما تقصد بذلك .

— أقصد أن الشعر لا يستعذبه القارئ إلا اذا كان لشاعره وحى

من السماء

— الشعر يا صاحبي هو اللفظ الحسن والديباجة الأنيقة .

سكت الافندي هنيهة وهو مطرق للارض ثم رفع رأسه وحدث

في وجه الاستاذ وقال (ربما) وذهب تواء الى مكتبته وهم بالترجمة فاذا

بالاستاذ يقول له

— لعل لك رأى آخر؟

فابتدأ الافندي في الكتابة وقال وهو ينظر في الجريدة (ربما)

فعر على شيخنا ذلك فقال

— أهزأ يا مجرى أفندي بالكلام المنسجم واللفظ الأنيق

— حاشا أن أكون ذلك الرجل ولكني أكبر على شعرائنا

المفلقين أن يصرفوا همهم للغزل والمدح والرثاء والهجو وينتقون لذلك

جلس الاستاذ أمام مكتبه وخلع عمامته ثم وضعها فوق كتاب المصباح المنير وابتدأ يداعبها بيده اليسرى ويشرب لفافة تبغ بيده اليمنى بعد أن انتهى من شرب فنجان القهوة . أما الاقلام والاوراق فكانت ملقاة فوق المكتب بعضها فوق بعض . ووقف الافندى أمامه واضعاً يسهام على كرسي من الخيزران وممسكاً بيمنه جريدة المانان . يقرأ فيها فصولها الهامة . فابتدر الاستاذ صاحبه قائلاً .

— تفضل سيجاره .

— أشكرك . لقد انتهيت من أختها منذ قليل .

واستمر الافندى في المطالعة والاستاذ في أفكاره الخيالية حتى أعياه التفكير فنظر لصاحبه فوجده قد طوى جريدته وهم بالذهاب لمكتبه فاستوقفه قائلاً .

— هل من جديد ؟

— أكاد لأجد شيئاً يستوقف النظر اللهم إلا مقالة عن الزواج

في أمريكا ربما اشتغلت بعد حين بترجمتها

— وما قولك في مقال أمين خربوش

— أحسده على سمو خياله ورقة اسلوبه وأسف لفقير مادته

— صدقت . لو كان مثلك له دراية باللغات الافرنكية لبهزيجو

وشكسبير

— يا صديقي اللغات تفتح للاعين طريقاً مغلقة ولكن لانكساب

النفس مواهب جديدة

القسم الثاني

الفصل الأول

بعد عامين

رجلان قطعا من الحياة نصف مرحلتها. الاول معمم والثاني مطربش. الاول له حمية كثة وأنف كبير وعينان لهما أطار أحمر وضعته يد الحمر والسهر وجبة سوداء يصح لنا أن نطلق عليها كلمة نظيفة ولو أنها لا تخلو من بعض بقع لا تظهر إلا لعين الفاحص المدقق. والثاني حايق ذو أنف أفتس وعينان براقتان يلمع فيهما نور الذكاء وبدلة كالح لونها وعذره في ذلك أنها بدلة عمل. الأول مصرى مسلم والثاني سورى مسيحي. هذا يشتغل في الفاروق ليحرر باب الاخبار ويصحح ما يكتبه كتاب الاقاليم، وذلك ليترجم النبذ السياسية عن الجرائد الفرنسية. والغرفة التي كانا بها مساحتها أربعة أمتار في خمسة وليس بها إلا مكتبان وعدة كراسي من الخيزران ولوحة معلقة فوق مكتب الاستاذ ومكتوب عليها بالثلث « الفاروق ».

— كان في عزمهم السفر غداً كما تعلم ولكنهم سافروا فجأة صباح اليوم .

لم يجب حسن على كلام أمه ودخل غرفته ليقف هنيهة أمام النافذة ينسب الهوى ويبكى الفراق . لقد انقضت أحلامه المذيبة . تحطم سراج حبه الوهاج وغداً يسكن بيت حبيبتة قوم لا صلة بينه وبينهم . لقد كتب له القضاء البؤس حتى في يوم سعادته ففارقته حبيبتة يوم نشرت مقالته فلم يتيسر لها أن تشاركه هذا الفرح العظيم .
والقضاء أحكام تحار فيها العقول .

جلس حسن على كرسي كان بجوار النافذة وأرسل دمة تحدث على خديه تخط عليهما ما قدرته له الأيام .

وفرحاً وقد أنسته مقالته العالم أجمع . نسي أمه الحنون ، وحبيبته الوفية ،
وبيته وكتبه ، وكل من يعرف من الاصحاب ولم يفكر الا في مقالته التي
نشرها الفاروق والفاروق شيخ الجرائد في مصر . لقد نال حسن ما كانت
تصبو اليه نفسه ولقد أثبتت له مقالته الجديدة أن البلاغة أنزلت على
فؤاده وأن الالفاظ الساسة سخرت لقلمه وأنه غدا بين الكتاب سيدهم
وأمرهم بعد أن يتس من الفوز في مضارهم ، وقف حسن في وسط
الطريق ينظر للسماء رافعاً يديه يشكر الله على هذه النعمة ويسأله أن
يديمها عليه ثم سار في طريقه ينتحى جهة منزله . فلما وصل صعد السلم
وهو يجري الى أن لاقى أمه في ردهة البيت فألقى بنفسه في أحضانها
يسكب دموع الفرح والهناء وقال لها وقد تهدهج صوته .

— لقد نشرت مقالتي يا أماه . انى سعيد الحظ .

— أنشرت الحقائق مقالتك ؟

— لقد نشرها الفاروق .

— وهل أرسلت له مقالة جديدة ؟

— كتبتها ليلة أول أمس وأرسلتها له صباح أمس فنشرها اليوم .

فقبلته أمه وهى محزونة الصدر فسأه ذلك لأنه لم يعهد منها الا الفرح
لفرحه والحزن لحزنه فنظر اليها نظرة العاتب كأنه يسألها الافصاح عن
حزنها وكدها . وحانت منه فى هذه اللحظة التفاتة الى نوافذ بيت خاله
فوجدتها مقفلة فالتفت لأمه وقال ،

— وهل سافروا صباح اليوم ؟

الفيظ والكمند وبعده أنهما سمع صوت ابراهيم يسرى يطن في آذانه ...

— أى مقال تقرأ يا عبد العزيز؟

— أقرأ مقال من مزقت مقالته ورويت بها على الارض .

— أيجراً حسن على الكتابة فى الفاروق؟

— خذ واقراً

أخذ ابراهيم الجريدة وقرأ المقالة الى النهاية . وضحك ضحكة

غير طبيعية ثم رد الجريدة لعبد العزيز وقال له :

— لقد كان هزأة القوم وأضحوكتهم فأصبح واسمه يكتب على

صفحات الجرائد الكبيرة .

— هذا ما يدهشنى يا أخى .

ومرأههما حسن فى هذه الساعة فالتفت لابراهيم وقال له :

— (سلام من رعمسيس الثانى الى ابراهيم يسرى سيد الكتاب

فى مصر) .

ومشى فى طريقه دوز أن يزيد حرفاً أو يسمع من ابراهيم كلمة

فالتفت ابراهيم لعبد العزيز وقال له :

— ما الذى يقصده من قوله؟

فلم يجب عبد العزيز ولكن نظراته كانت توحى لابراهيم ما معناه

(كما يدين الفتى يدان) .

اتتهى لعب الكرة فخرج حسن مع من خرجوا وهو يميد سروراً

— لقد نشر (الفاروق) مقالتي بعد أن مزقت (الحقائق) أختها ،
خذ واقرأ ثم أعط الجريدة لصاحبك ابراهيم لتقوم عنده قيامة الاحزان
وتضيفه الهموم والاشجان . اقرأ يا عبد العزيز وثق بعد ذلك بأخيك
حسن أمين فقد أضاء نجم سعده وأصبح ممن لا تُفْتَحُ العين على مثلهم في
الناس .

اصفر وجه عبد العزيز وارتجفت شفثاه لأنه كان ممن لا يريدون
الخير لاحد وتناول الجريدة من يد صاحبه وأجال نظره في مقالته وقد
أظلمت الدنيا في عينيه فتمسر عليه أن يفهم منها كلمة واحدة فأمسك
بالجريدة مدة وهو كالصنم لا يتحرك ولا يتكلم الى أن قال له حسن وهو
صاحك السن

— هيا بنا الى الملعب لنصله قبل ابتداء اللعب .

وسار الصديقان الى الملعب وفي صدر أحدهما جنة البشر والسرور
وفي صدر الثاني جحيم الحقد والبغضاء .
اشترى حسن نسخة أخرى من الفاروق ودخل بها الملعب وأراها
لكل من توسم فيه الصداقة والاخلاص فطاف بها الملعب خمس مرات
متواليات استوقفه فيها إخوانه كثيراً . وأخيراً وقف بجوار الكشك
يقرأ مقالته على فئة من إخوانه .

...

افترق عبد العزيز من حسن عند باب الملعب لأنه لم يشأ أن يطوف
معه الملعب ووقف في ركن من الاركان يقرأ المقالة وهو يعرض شفثيه من

الفصل السابع

كان اليوم الثلاثاء فهرعت طلبة المدرسة الخديوية الى ملعب
السكره لتشاهد فرقة مدرستها تلاعب فرقة انكليزية تفوقت على فرق
كثيرة . وكان حسن ممن يميلون لرؤية لعب السكره فرافق اخوانه الى
الملعب وفي عزمه أن يشتري الفاروق من ميدان الحلمية . فلما وصل
الى الميدان تناول الجريدة من يد أحد البائعين وأجال بصره في الصفحة
الأولى فوجد مقاله الثانية فقرأها مرتين وهو لم يبرح مكانه وقد
ارتعشت يداه واصططكت أسنانه وارتجف ساقاه . وبينما هو يقرأ مقاله
اذ به يرى عبد العزيز ماراً بجواره فاستوقفه بنظرة دلت عما يخالج قلبه
المسكين من السرور . فلما رآه عبد العزيز بارق الشكر لامع الصفحة
وقف يسأله السبب فقال

— لملك غير ما كان ...

والكن حسنا لم يمله ليم جهاته وقال له وهو يسحب أذيال الغبطة

ورمى بها على مكتبه ووقف يتمطى في الغرفة ثم هدّد الفضاء بيده
كأنه يكلم شخصاً خيالياً وقال بصوت خافت (ستنشر هذه المقالة في
الفاروق فيسعد المحسود ويشقى الحاسد) ودخل الى سريره وقد وثق
بنفسه واستغرق في نومه الى أن أشرقت الشمس .

— يهتم الانسان الكلب بالنجاسة لأنه يغار من وفائه .

ثم قام الى غرفته ليخلع ملابسه . ولما فارقها الى الفسحة وجد الطعام مهياً فجلس مع زوجته واخته وابن اخته يتناولون العشاء سوياً . أما ليديه فأكلت بعض ما تبقى منهم وكانت تشعر بالسعادة والحزن في ساعة واحدة . سعادة قرب حبيبها منها وحزن فراقها عنه بعد يومين . فرغ القوم من العشاء وودعت الأخت أخيها وخرجت مع ابنها الى منزلها ومكثت معه هنيهة يتجاذبان أطراف الحديث ثم قام حسن وقبل يدها وأغلق باب غرفته بعد أن أشعل مصباحه وجلس أمام مكتبه يفكر . ثم أخذ القلم في يده وغمسه في الدواة وكتب في وسط السطر (الحاسد والمحسود) ولبث بعدها عشر دقائق وهو بين عاملين يتجاذبان عامل الاقدام وعامل الاحجام الى أن تغلب العامل الأول على الثاني فابتدأ في الكتابة وهو ممتقع اللون خافق القلب وما زال يكتب سطرًا ويشطب آخر الى أن أتم مقاله ثم قرأها لنفسه مرتين وهو يمشى في غرفته بعد أن أعاد كتابتها على ورق جيد ثم طواها ووضعها في ظرف أعدء لذلك وكتب عليه بالثلث

ادارة جريدة الفاروق

بشارع خيرت مصر

حضرة رئيس التحرير

— سندسافر بعد با کر فهل أعددت كل شيء؟

فأجابته أخته قائلة

— كدنا أن تم كل شيء ولم يبق الى عدة حقائب سنجهزها غدا .

وأتت القطة (دلال) وتمسحت في أذيال سيدها فأخذها على

ركبتيه ولاعبها قليلا وقال .

— وكيف نأخذ دلال معنا؟ هل أعددت لها تفصا جميلا؟ أود ان

تضعو فيه قطعه من القماش حتى لا يؤلم جريد القفص عظام هذا الحيوان
الجميل .

فأجابته زوجته

— لقد هيأت لبيبة لها القفص قبل أن تهيبه حقائبنا فلا يشغل

بالك أمرها

— انى واثق من حب ابنتى لهذا الحيوان الصامت .

ثم التفت لابن أخته وقال

— كيف حال كلبك سحاب؟

— لقد وجدته اليوم فى ساحة محمد على ولا أدرى ماذا كان يصنع .

فرافقنى الى الدار ولقد تركته هناك .

— ان سحاب كلب أمين .

فقالت أخته

— ولكنه نجس .

— انى أسمع الناقوس يدق فهيمًا بنا تتناول الغذاء .
وسار الاثنان جنبًا لجنب الى غرفة الطعام

غادر حسن المدرسة قاصدا منزله فلما وصل سأل عن أمه فقيل له
أنها ذهبت لبيت أخيها لتعد مع زوجته معدات السفر فقصد منزل خاله
وفيه قابل والده وزوجة خاله وجلس معهما يتكلم فى شؤون السفر
ويتأسف على الفراق وكانت تسمعه لبيبة من وراء السجف وهى تبكى
لكلامه وتتوجع لآلامه . ودخل عليهم خاله فقام حسن من كرسيه
وقبل يده وقال له

— كيف حال خالى اليوم؟ عسى أن تكون فى خير وسلام
— لا يؤلمنى يا ولدى الا فراقكم ولقد حكم به القضاء فعبثا نحاول

دفعه .

— هل من حيلة لرد هذا القدر؟
— انى أجد فى السفر ما مننا يقينى شر رئيسى
— وهل ينوى لك الشر؟
— انه يعمل على التكاية بى لظنه أنى أرميه فى كل ناد بالرعونة
والطيش والجهل التام .

— ومن صاحب هذه الوشاية؟
— كميرون يا ولدى ولقد صفت عنهم ولله الأمر .
ثم التفت عبد الرؤوف أفندى لزوجته وقال لها :

اسمك بين الكتاب مكملا بزهور الفصاحة والبلاغة؟ واعلم أن نفسه لا تود لك الخير لأنه يخشى أن تكون كاتباً عظيماً .

— ولكن الوسيلة التي اتخذها المنعنى عن ذلك المقصد الشريف وسيلة تدل على دناءته وضعة نفسه وما كان عهدى به كذلك .

— انه عرّة قومه . وهل ظننته قبل اليوم من ذوى الشرف والحسب والنسب . أعود بالله من ذكر السوء عن الاخوان ولكنى مجبر على ذلك وما دعانى الى ذكر حقيقة هذا الشاب الاحي لك وشغفى بما يخطه بنانك .

— انى أشكرك يا عبد العزيز ،

— لى كلمة أخرى .

— تكلم

— أود أن تكتب مقالا آخر تنشره فى جريدة كبرى كالمؤيد أو الفاروق لتكيد به هذا الوعد .

سكت حسن ونظر للأرض هنيهة ثم للسماء وقال :

— لقد طلقت الانشاء ثلاثا وحاشا لمثلى أن ينغمر فى حمأة

الكتّاب بعد اليوم .

— ماذا تقول : أظن بك جنة يا عزيزى .

— أنا سليم العقل وأكره أن تناقشنى فى ذلك ولا يفضيك قولى

هذا

بالتخاصم إن هو فعل ذلك . فألقى رئيس التحرير مقالاتك على أديم الثرى
بعد أن مزقها .

— ألقى مقالاتي على الأرض ؟ مزق مقالاتي ؟ أتدوس المارة كلاما
تعبت في إنشائه ؟ يا للعار ! وما الذى دفع ابراهيم لفعل ذلك ؟ ولـكنى
نسيت أن ألومك على خطأ فعلته ساءنى فعله كثيراً .

— أنا ؟ وأى خطأ فعلت ؟

— لقد استحلقتك أن لا تذكر لأحد خبر كتابتي تلك المقالة
فلماذا أسررت له بخبرها ؟

— انى لم أفعل ذلك وأشهد الله والنبي والأخاء والود على ذلك .
ولكنى أعلم أن ابراهيم قابل رئيس التحرير عفواً فى العتبة الخضراء
فقرأ عليه مقالاتك ففعل ابراهيم بها ما ذكرته لك .

وكذب عبد العزيز على الله والنبي والأخاء والود لانه وإن
صدق فى مقابلة ابراهيم لرئيس التحرير فقد كذب فى تنصله من أخباره
بشأن مقالة حسن . وعبد العزيز هذا كما قلنا يجب الايقاع بين التلاميذ
لا لمال يكتسبه ولا لنصر يفوز به ولكن لمرض فى نفسه ابتلاه به
المجتمع الانسانى .

نظر حسن لعبد العزيز نظرة الحائر ثم قال له .

— أعيد عليك سؤالى هذا (ما الذى دفع ابراهيم لفعل ذلك ؟)

— انك ما زلت صبياً صغيراً لا تعرف من شؤون الناس شيئاً . ان

ابراهيم يخشاك كما يخشى الفأر القط . أجهل . أيجل باسمه لو ظهر

فاذا به يرى أمامه عبد العزيز فابتسم له ابتسامة الحزين وقال له والدمع يكاد ينطق بالآلامه

— أ كنت تشاركهم في ضحكهم يا عبد العزيز ؟

— بل كنت ألومهم على فعاتهم الشنعاء .

— أشكرك يا أخى على رقيق احساسك

وسكت الاثنان دفعة واحدة فلم يجد أحدهما سبيلا للتكلم والتفت

عبد العزيز بعد قليل الى يمينه ثم الى خلفه كأنه كان يخشى أن يسمع أحد ما أراد ذكره لحسن ثم قال له وهو يتلعثم .

— أود أن أسر اليك شيئاً وأريد أن تصدقه

— قل ماشئت

— عدنى أولاً أن تصدق ما أقوله لك .

— انى أثق بك أيها الأخ ثقة عمياء فحدثنى بما تريد .

— أنعلم السر فى ضرب رئيس التحرير بمقاتلك عرض الحائط ؟

— وأنى لى أن أعرف سر ذلك . أظن أنها لم ترق فى عينيه .

— حاشا أن يكون ذلك سر المسألة وانى أخالك أكبر من أن

تظن ذلك .

— وهل أنت واقف على الحقيقة ؟

— كان يقصها علينا ابراهيم يسرى بصوته الجهورى .

— وماذا قال لكم ؟

— قال لنا أنه قبَّح لرئيس التحرير أن ينشر مقاتلك بل وعده

فراق حبيبتيه تتبادلان إزعاج رأسه المسكين وأخيراً استسلم للنوم فنام
الى الصباح .

انقضت الحصّة الرابعة فنزل التلاميذ الى فناء المدرسة وملت كل
جماعة منهم بركن من أركان الفناء تتجاذب فيه أطراف الحديث . ومنهم
من آثر اللعب والجري ومنهم من ذهب الى فناء الكرة ليريض نفسه .
ولزمت جماعة ابراهيم يسرى المقعد المجاور لسلم الفناء وكان من بينهم عبد
العزبز ومحمود وقد ساف لنا ذكرهم وابتدأوا بذكر حسنات الأساتذة
وسميتهم ولا يلد للطابة الا التكلم في ذلك . ثم انتقلوا من ذلك الحديث
الى السخرية من بعض الطلبة الذين كانوا موضعاً لهزئهم وسخريتهم
ولذا ابراهيم يسرى أن يقص على جماعته خبر مقالة حسن أمين وأغرب
في الضحك لما حلّ بها وشاركه اخوانه في ذلك ولقبوا ذلك المسكين بلقب
« رعمسيس الثاني » ورأوه بعد آونة يسير الهويناء على السلم وهو مطرق
للأرض فنادوه بصوت واحد « يارعمسيس الثاني » فالتفت بالرغم منه
فراهم يضحكون ويسرون اليه بأصابعهم فسار في طريقه وقد عات
وجهه حمرة الخجل وود أن يصعق في ساعته وذهب بعد ذلك الى الحديقة
ليخفي نفسه خاف أشبارها السكّنة . وهناك جاس على مقعد خشبي
ينظر للتلاميذ ولا يراه أحد واستسلم لأشجانة فرت امام فكره صور
أحزانه تبعاً فكأنه كان يستعرض شريطاً من شرائط الصور
المتحركة وهم من مكانه ليتمشى في الحديقة راجياً أن يخفف من حزنه

ليكتب . أمسك في يده القلم وهياً الدواة والورقة قبل أن يهتدى
للموضوع ولكنه ما لبث قليلا على هذه الحالة المضحكة المبكية حتى
اعتراه اليأس فألقى بالقلم وكاد أن يهشم الدواة ومزق الورقة وألقى
بنفسه على الارض يلطم وجهه بكفيه . وتلك هي حال عصبي المزاج
إذا كان ضعيف الارادة لا يشكو همه إلا لنفسه ولا ينتقم إلا من نفسه
أيضاً .

سكن قليلا فقام الى سريره وارتمى عليه مستهزئاً بكل ما وافاه
بل بالعالم أجمع . فسكنت نائرة نفسه وحاول النوم متناسياً نكباته
الشديدة والنوم لا يزور من في قلبه كهد باطن وحزن دفين . وتذكر
فراق حبيبته في هذه الساعة التي أحس فيها بالراحة قليلا وجسم له
مزاجه العصبي وضعف ارادته أن هذا الفراق أبديا فهم من نومه جالسا
ونظر الى النافذة وكانت مقفلة كأنه يسألها جاية الخبر ثم قام إليها وفتحها
ونظر لبيت حبيبته وتناسى في تلك الساعة مقاتله وما جرته عليه من
الايصاب والكروب . ومد يديه للسماء وما أقسى قلب السماء على من
تخالجه الهموم . ولبث هنيهة ساكنا لا يتحرك وكان لابسا لباساً أبيض
اللون أصبح فيه كالتمثال في جوف الليل البهيم .

عَبثًا حاول نسيان أشجانه فأقفل النافذة ورجع الى سريره يميد به
شجوه وارتمى عليه لينام بعد أن يأس من كل شيء حتى من استرساله
في الهموم . وأقفل جفونه فكانت فكرة الكتابة في « الفاروق » وفكرة

أحضانها دموعه الحارة ، وما أحسن صدر الام على فؤاد الولد الحزين ،
ففي هذا الصدر ينشأ الرضيع ومنه يتغذى وفي هذا الصدر يلعب الطفل
هازئاً بالحياة وآلامها . وفي هذا الصدر تستدرف جفون الشاب الام
الخبية والياس . صدر الام هو الغرفة الدافئة الصغيرة التي بنتها يد الحب
والحنان فقيها ينلاق السرور بالسعادة وفيها يلتطم الاسبى بالمصائب .

حمت الام ابنها ووضعتة في سريره وجلست بجواره تلاعب
شعوره الجميلة وتقبله من آونة لاخرى وهي تحاول الصبر حابسة دمعها
وواضحة يدها على قلبها كأنها تود أن لا يخفق فيسمع منه ولدها صوت
الهم .

سألت الام ابنها عن سبب أشجانه فذكره لها . فأكبرت عليه أن
يبكى لأجل مقالة أخطأ رئيس التحرير في فهمها وسألته أن يهون عليه
وينسى ما مضى ويهيء للعهد ، قالاً آخر يرسله « للفاروق » وهو
أكبر جريدة مصرية كانت تظهر في ذلك العهد . وما رامت من كل
ذلك إلا إزالة الهم عن فلذة كبدها . ولقد فازت بأمنيتهما وسرعان
ما ينسى ضعيف الارادة الماضي إذا وجد من المستقبل بارقة أمل وإن
كانت خلافة . تسيطر ففكرة الكتابة في « الفاروق » في فكره وقام
يتبع أمه ليتناول العشاء . وأكل هنيئاً وشرب ، ريثما ورجع الى غرفته لينام
بمد أن أقسم لأمه أنه لا يعود للبكاء .

دخل غرفته وأوصد الباب وأشعل مصباحه وجلس أمام خوائمه

الفصل السادس

أظلم الليل وخيم السكون على أنحاء المدينة وحسن ملقني على مقبله
بيكي وينتحب وقد لذه البكاء ، والبكاء أكبر تعزية للأفقس الحزينة .
أنت أمه وطرفت الباب تدأله الخروج للمساء فأعالج من شأنه وفتح
اباب فقال لها وهو يتصنع الشبات في القول والعمل .

— است مجموعان يا أماه هذه الليلة وأود الخلوة لحفظ درس
التاريخ لآني أتوقع أن أكون غداً ضمن المستحقين .

— عبت تحاول يا ولدي اخفاء ما في نفسك . لأن شعور الأم يد لها
على خفيها قلب ولدها . إنك بلا شك حزين وتشهد بقايا دمعات يذالك ..
فما الذي أحزنك اليوم . أتساجرت مع أحد أقرانك ، أم خاصمك
أستاذك ، تكلم يا ولدي ونج لي بالحقيقة حتى أشاطرك ما في نفسك من
الأتجار .

— أنت واهمة يا أماه . . .

وأنم جهته والدموع تحفته ولزني على صدر أمه بسكب في

واقترق العاشقان بعد أن تساقطت نفسيهما غمماً وتقطعت أحشاؤهما
حزناً ولهفًا .

...

ورجع حسن الى مقعده وارتمى عليه وهو كاسف البال وقد أفتنس
بوحده وانفراده ليطلق لدمعه العنان وانكب على البكاء انكباب من
انقطرت مريته . وتساقطت دموعه على الارض فكان يلتقطها كلبه
الامين سحاب وكان سحاب في عرفة أوفى من الانسان .

على خده ثم أقفل باب الغرفة وأحكم إقفاله وخلع معطفه وارتدى على سريره ليبيكى وينتحب فنادته بصوت يسمع السامع منه رنة الحزن والأسى فهم واقفاً وذهب للنافذة وهو يبكى واندھش لما رأى حبيبته تبكى مثله .

ظننت لبيبة أن حسناً واقفاً على جلية الامر فقالت له

— سنسافر بعد أسبوع يا حسن

— تسافرين ! وإلى أين ؟

— إلى اسيوط

— وهل تحقق ذلك .

وكف عن البكاء لاندهاشه العظيم فوقف واجماً لا يعرف ما يقول .
فقالت له لبيبة

— ظننتك واقفاً على الحقيقة . لقد نقل أبى الى اسيوط وسأفارك

بالرغم منى . ولكن ما الذى كان يبكيك ؟

فأجهش حسن بالبكاء دفعة واحدة وقال بعد قليل

— تلك كبرى المصائب . لقد أراد الحظ الاسود أن لا تنشر مقالاتى

وأن تسافر حبيبتي فوداعاً أيتها الآمال الكاذبة ووداعاً يا أحاديث المنى فما

أنت إلا وسوس الاطماع وأضغاث الاحلام . واسترسل فى البكاء

واسترسلت معه حبيبته وظل العاشقان رداً من الوقت يتناجيان

ويشكوان مصيبة أظلتها على غير حسابان ولا انتظار .

على الأرض وداسها بقدمه فاعلا بها ما فعل رئيس التحرير بمقالته ومشي
الى بيته مستمسكا من الامل بخيط باطل .

..

في تلك الغرفة التي سمعت آذانها كل ماجرى بين حسن وليبية ،
وامام هذا الشباك الذى استقبل النسيم يحمل للماشقة قبلات حبيبا
جلست ليبية تبكى وهى تنظر للفضاء . وما ليبية الا فتاة وديعة هادئة
طيبة السيرة والسريرة لا تستحق من الحياة سهمها القاتل ولا من الوجود
سلاحه القاطع . لقد وقع على قلبها خبر السفر وقوع الصاعقة فوضعت
يدها على قلبها الخافق كأنها تبحث عنه بل كأنها تبحث عن آمالها فيه
وماهى آمال الفتاة السجينة فى الحياة بعد أن يتقلص ظل أمانها فيمن
تحب ، فيمن عاينه تعتمد وبه تسعد وبغيره لا تعرف غير الشقاء

تعيش الفتاة المصرية فى بيتها وهى لا تعرف عن الحياة إلا ما يقع
فى ذلك البيت ولا تسمع من الاصوات الا صوت أهلها ولا ترى من
الاشياء إلا جدران هذا البيت الضيق وإذا لاح لها برق آمالها فى
طلعة شاب تراه عفواً ويكون من أفر بأنها تحكم عليها الظروف بالابتعاد
عنه فلا تجد تعزية إلا فى الاستسلام للأسى والدموع .

تلك حال فماتنا ليبية وهى كما قلنا فتاة لا تستحق ذلك .

ذهبت للنافذة لتقص على حبيبها ذلك الخبر المؤلم فوجدته بعد
قليل داخل غرفته هو وكلبه ثم وقف هنيئة يسح دمعة تساقطت

الى أن دق ناقوس الانصراف في عصر ذلك اليوم نخرج مع من خرج من التلاميذ ومشى مسرعاً الى الترام وركب فيه وود أن يسوقه بنفسه فلما وصل الترام الى باب الخلق ازداد اضطراب قلبه وتعددت أنفاسه وظهر على وجهه القلق وهم واقفاً ثم جلس ثم وقف ثم جلس وأعاد ذلك مراراً وقفز منه دفعة واحدة وإذا به يسمع بائعي الجرائد يقولون (اللواء . اللواء . المؤيد والاهرام) فأخرج من كيسه قرشاً ومد يده لأحدهم صائحاً (الحقائق . على بالحقائق) فبحث البائع هنيهة في أعداد الجرائد التي كانت تحت أبطه وقال له (لم تظهر بعد) . فهم حسن بضرب البائع ولم يستوقفه إلا الترام الذي كان يسير بجواره الى العتبة الخضراء والعتبة الخضراء محط رحال كل الجرائد فقفز فيه كمن به جنّة .

وصل به الترام الى العتبة الخضراء واشترى حسن (الحقائق) وفتحها ليرى مقالته الشائقة فاستأنقت نظره لاول وهلة لفظة (أم) وكانت عنواناً لاحدى المقالات فظنها مقالته فشعر بالدم يعالو الى رأسه وتلعثم لسانه وغص ريقه واكنه قرأ العنوان بامعان فوجده (الأم العادلة) وكانت المقالة غير .مقالته . فشرع في البحث عنها في كل جزء من أجزاء الجريدة في باب الوفيات ، في باب الاعلانات ، في باب أخبار البورصة ، حتى وفي العنوان نفسه واكنه رجع بخفى حنين وكاد أن يصعق امام الناس فألقى بالجريدة على الأرض واكنه لم يلبث هنيهة حتى عاوده الامل فالتقطها مرة ثانية وابتدأ في مطالعة مقالة « الأم العادلة » ثم حول بصره مرة ثانية لكل كلمة في الجريدة وأخيراً انقطع رجاؤه منها فرمى بها

— أنا لا أهزأ بك يا صديقي ولا أرى داعياً يدعوك لاختفاء الحقيقة عنى .

— وأى حقيقة أخفيتها عنك ؟

— وما الذى يدعو عبد العزيز للكذب . إنك بلا شك ممن لا يحبون التغنى بما آثرهم .

— وأى مآثرة يحق لى أن أفتخر بها أيها الصديق

— ومن ذا الذى ينكر فضلك ؟

سكت حسن ولكن لم ينظر للأرض خجلاً كما دته بل نظر الى ابراهيم نظرة تجسست فيها الأنفة من هزوه والاحتقار لشخصه ولوى ظهره له وابتعد عنه وهو يسمع ابراهيم يناديه قائلاً لا تغضب يا (رعمسيس الثانى) فقال لنفسه (انه يعرف أيضاً انى كتبته تحت اسم مستعار فان لم تنشر المقالة اليوم صغرت فى عينه وهو ممن يتظلمون لذلك . فأف منك يا عبد العزيز لقد أخبرتك بأمر هذه المقالة ورجوتك كل الرجاء أن تخفى أمرها عن كل التلاميذ ولكنك أخبرت به القاصى والدانى فلاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

تجسست فى رأس حسن فكرة عدم نشر المقالة وكان خوفه من فضيحتة أمام ابراهيم يسرى أكبر من خوفه من عدم نشر المقالة وكل ذلك أتاه من حيائه وضعف ارادته

قضى حسن فى المدرسة يوماً عصيباً لم يفقه فيه لاقوال أساتذته

بها ساعتين وقف في الفناء مع اخوانه التلاميذ يتجاذب أطراف الحديث
واذا ابراهيم يسرى يقرئه السلام ويقول له

— مالك تفكر يا حسن . أحلت بك مصيبة ؟

— أينبك حالي بذلك ؟

— نعم .

— انك واهم يا عزيزي . لم تحل بي مصيبة كبرى ولكن حياة

الانسان لا تخلو من المكدرات

— صدقت . اقرأت أمس جريدة الحقائق ؟

— وهل « الحقائق » جريدة تستحق المطالعة ؟

— لقد أخبرني صديقي عبد العزيز أنك أرسلت لمديرها مقالة نفيسة .

ارتج على حسن في هذه الساعة ولم يعلم ما يقول واحمر وجهه خجلا

وسكت هنيهة وهو ينظر لأقدام من كان حوله ثم رفع صرعه لابراهيم

يسرى وقال له

— أخبرك عبد العزيز بذلك ؟

— وهل في ذلك بأس ؟

— لقد كذب عليك عبد العزيز يا صديقي لأنني لم أعتبر بعد بخدع

الآمال حتى أكتب بالجرائد

— أنت أبو الانشاء

— هذه نعمة من يهزأ بي يا ابراهيم فان كنت من هؤلاء فاتي

أسألك .

لم يسلك حسن سبيله الى المنزل لأنه كان سائراً على غير هدى
ولكنه كان يأمل الخير في الغد مع أن شواهد الحال كانت تنطق بغير
ذلك . لقد مرت على مقالته ثلاثة أيام والأقدام تدوسها في الشارع ولكنه
كان يجول ذلك فكان يقول لنفسه « إن لم تنشر . مقاتى في الغد فعلى آمالي
السلام » وباليته كان عالماً بما حل بها حتى لا يفاجأ في الغد بمالم به جس في
ضميره قبل ثلاثة أيام

ليس شيء أصعب على نفس الناشئ من حبوط أول أمل له ، كما
أن هذا الحبوط هو أكبر باعث له على إعادة الكرة لنيل أمنيته وتحقيق
غرضه . وتكبر صعوبة حبوط المسعى على الناشئ إذا كان من خلقه
الحياء وضعف الارادة وحسن أعظم . مثال لهذا النوع من الناشئين . ولذا
كان المه عظيم ، ولم يبعث في قلبه داعي التأسى إلا أمله في الغد وكان الغد
آخر موعد لنشر مقالته ، ففي الغد يفتح حسن صدره للبؤس أو للسعادة
مشى حسن من شارع الى شارع وهو لا يلوى على أحد الى أن
وصل الى منزله بعد الغروب فأبناه أمه فلم يجب عليها وانتظرت حبيته
لتقرؤه السلام كالمادة فذهب انتظارها سدى ولم يعزبه على مصابه في
ذلك اليوم إلا كلبه « سحاب » .

اشرقت الشمس في الصباح وخرجت الناس من منازلها والطيور
من أعشاشها وتكلمت السنة المدينة بعد ان سكنت طول الليل ومضى
حسن من بيته الى المدرسة وهو غير عابئ بما حوله ولما وصل إليها وفضى

الفصل الخامس

دخل حسن قهوة « النادى المصرى » وطاب جريدة الحقائق فأجابه الخادم قائلاً (اننا لا نشترى هذه الجريدة ياسيدى) فأخرج حسن من جيبيه قرشا وقال للخادم (اذهب واشترها لى) فصعد الخادم لأمره واتاه بها بعد حين

أمسك حسن جريدة الحقائق بيده وبحث فى الفهرست عن عنوان مقالته فلم يجده فكذب الفهرست وبحث فى جميع الصفحات فلم يجد من مقالته حرفا واحداً فأظلمت الدنيا فى عينيه وأقفل الجريدة وألقى بها على الخوان وعافت نفسه قراءة الجرائد الأخرى فأطلق لفكره العنان .

كثرت حينئذ يفكر فى أشياء كثيرة الى ان سئم التفكير فقام يتمشى وهو مطرق برأسه . ثم أطلق من بين جوانحه زفرة ألفت اليه انظار المارة ومشى غير عابئ بأحد .

— أنا لا أمزق كلام الناس يا صديق

— هاتها

وأخذها من يد ابراهيم ومزقها وألقى بها على الارض وهو لا يعلم
انه يمزق بذلك غشاء ذلك القلب المسكين قلب حسن أمين وقد دفعه على
ذلك ما كان قائماً في قلبه من الحقد على أعدائه وعلى الاغنياء والعظماء
وقام يتبعه ابراهيم وقد ارتسمت على شفقتي هذا الخبيث ابتسامة
الغلبة والظفر

— بل من صغارهم

وأخرج من جيبه خطاباً أعطاه لبراهيم وهو يقول له :

— هاك مقالة وصلتني أمس من كاتب مجهول يسألني فيها ان لا

اذكر اسمه الحقيقي

— وأنى اسم اختاره لنفسه ؟

— رعمسيس الثانى . خذ واقرا لتقف على المقالة

قرأ ابراهيم المقالة ثم ردها لصاحبه وقال :

— انى أعرف هذا الصرصور الصغير . انه معنا فى المدرسة

— فى السنة الرابعة معك

— فى السنة الاولى وله كاتف عظيم بالانشاء حتى لقبه الطلبة بأبى

الانشاء . أعازم أنت على نشر هذه السخافات ؟

— لم يقر رأى بعد على شىء

— انى اربأ بجريدتك الراقية ان تتلوث بهذه القاذورات النجسه

— اترأى فى مقال صاحبك ذلك ؟

— انى لا أعد هزوة المدرسة صاحبلى

— أهزأ الطلبة بهذا التاميد ؟

— هو . موضوع سخريتهم أجمعين

— انك اذا اعلى حق . مزق المقالة والقها على الارض لتدوسها المارة

وكفى جريدتنا . ما حل بها . من المصائب حتى ازيدها بكلام هذا التاميد

المهزأ مصيبة على مصيبة

غضب الله . قل صواعق السماء . قل قاذورة البلاد قل ماشئت فقد
أجأتنا الحاجة في هذه البلاد لنصير كالأثاب الجامعة تأكل بعضها بعضا
ولكن يظهر لي أنك لا تتقرأ « الحقائق » منذ مدة طويلة لأنك تجهل
ما يكتب فيها

وابتدا ابراهيم في خلق اعتذاراته وشرحها بما أتاه الله من فصاحة
اللسان وبلاغة الكلام حتى صرف ما في ذهن صاحب الحقائق نحوه .
وما صاحب الحقائق هذا إلا تلميذ حاز شهادة الكفاءة ثم الجأته الضرورة
لان يتخذ الصحافة مهنة فابتدا عمله شريفاً ثم ختمه بسب الناس وشتتهم
كما تفعل أصحاب الجرائد الأسبوعية التي لم تنشأ الا لهذا الغرض .
وهو صديق قديم لابراهيم يسرى و ابراهيم هذا كان من أكابر معضدى
الحقائق وعلى صفحاتها نشر مقالاته الاولى ولما وجدها تمدهور من هاوية
الى هاوية صدعها وابتدا بالكتابة في الجرائد الكبيرة الى أن حاز الشهرة
التي رفعته الى مقامه الكبير بين اخوانه الطلبة . ولقد اراد حسن امين
ان يقلده فيما يفعل اينال في الحياة حظاً اكبر من حظه واعظم فأرسل
مقالته الأولى لجريدة الحقائق

مكث ابراهيم يتجادث مع صاحب « الحقائق » مدة طويلة الى

أن قال له

- ومن ذا الذى يعاونك على التحرير ؟
- رأسى ويدي
- الا ترد إليك رسائل من كبار الكتاب ؟

العلم والأدب ولمت بعضهم على توانيه وتقاعدته عن خدمة رجال الصحافة
— وهل ذكرت أسماء الأشخاص؟

— لم أذكر أسماءهم ولكني وصفت صفات بعضهم وصفاً دقيقاً
يعرف به القارئ اسم الموصوف
— أفعلت ذلك؟

— وكيف لا أفعل ذلك وقد أصبحنا في هذا البلد الأمين كالمشردين
لا نجد لقمة بها

— وما الذي دفعك لارتكاب هذا الزل؟

— لا زال فيما فعلت أيها الصديق القديم . ذهبت عند أحد
البشوات لأسأله بدل الاشتراك فاعتذر بمرضه أولاً وبتغيبه عن قصره
ثانياً ثم بطردى من القصر ثلثاً ٠٠٠ وذهبت عند أحد البيكوات فقال
لى بسماحته المعروفة (لقد أخطأت يا صاح فى العنوان) وذهبت عند
أحد الكبراء فقفر فاه عند ملاقاتى وسبى امام خدمه ولولا ما أظهرته
من الشمم والاباء لضربنى بيده ورفضنى بقدمه فماذا تقول فى كل ذلك؟

— جنائيات فظيعة على رجال الصحافة

— أليس كذلك؟

— لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . لقد أصبحت الصحافة

محتقرة فى أعين العظماء والكبراء والاغنياء فمن يعولها فى كنانة الله
بعدهم؟

— كنانة الله ! أتسمى مصر بهذا الاسم ! قل جحيم الله . قل

— حاشا أن أفعل ذلك ولو قُطعت ارباً ارباً . وسأعمل الى النهاية
وان أقلت صحيفتى عطاءها ولم أنل منها الا النذر اليسير
— ألا تخاف الخراب ؟

— أنا واقع فيه يا صديقى من يوم أن فكرت فى انشاء الصحيفة .
أنسيت ان الصحافة لم تنعم على بشىء
— وبعد ؟

— سأجاهد حتى ألفظ النفس الأخير
— همّة شماء فلهه درك من رجل
— ألم تقرأ (برق) يوم الجمعة الماضى
— كلا

— لقد كانت (افتتاحيته) ملامى بالمطاعن
— ومن كان فريسة (البرق) فى الأسبوع الماضى ؟
— جريدة الحقائق
— جريدتك أنت

— نعم . وعلام العجب والبرق جريدة لم تنشأ الا لنهش
أعراض الناس

— وما الذى ذكره صاحبها فى مقاله هذه
— قال انى أسب الناس لاستدر أموالهم
— حاشا ان تكون ذلك الرجل
— لقد كتبت عدة مقالات أستحث بها اغنياءنا على مساعدة اهل

منه أن يأتي إبراهيم بفنجان قهوة أتى به الخادم بعد قليل .

— كنت منذحين مع بعض الاخوان وكنا نتحدث بشأن

جريدتك

— انى لأعجب لذلك بعد أن أغضيت الطرف عن جريدة لا أعدها

إلا من بذات فكرك

— لقد اعتذرت لك يا صديقى فلم تقبل عذرى وليس أمامى إلا شىء

واحد أصاح به خطأى . سأأكتب فى جريدتك من جديد حتى لا تقول

عنى انى أهمتها بعد ان كنت من العاملين على نجاحها

— أشكرك يا صديقى

— ولكن كيف حال جريدتك ؟ أفى عزمك أن تجعلها يومية؟

— لعن الله من يذوق لذة العلم فى بلد كمصر . انى أقرأ الجرائد

والمجلات الأوربية وأقتطف منها ما لذ وطاب وأنشره على صفحات

جريدتى ليستفيد منها المعمم والمطربش ولا يكون جزائى على كل ذلك

إلا الصبر والاعراض

— لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

— ولقد طرقت باب السياسة وباب الاجتماع وأردت أن أكتب

فى الفلك والرياضيات ولكن خاب فآلى وتلاشت كل آمالى وكرهت

الصحافة بعد ان كنت أتفانى فى الزود عن حياضها

— كل هذا يفت فى ساعد اهل الأدب ولولا انك ذو همة قصية

المرمى وعزيمة تفل الحديد لنصحت لك بايقاف جريدتك

— أنت ! أما دارم بخدي أن أراك اليوم . فيا حسن حظي . اقدس صدق

المثل العامي (افكرنا القط جانا ينط) واين كنت ؟

كنت جالساً على هذه القهوة (وأشار بيده لقهوة النيل) لأستريح
واذا بي أراك تقاب نظرك في أديم الأرض طوراً وفي صفحة السماء تارة
أخرى فقلت لنفسى والنفس كما تعلم تحب لقاء الأديب : هاك طلبتك التي
كنت تطمحين إليها منذ حين . فنأديتك وأنا أمل أن تشعاني بمطفاك
بعد أن رميتني بهجرتك وصدك

— لا صد ولا هجر فبإفغات أيها الأخ الكريم ولكن المدرسة ...

— لا تلجئني لأن أقول (العذر أقبح من الذنب)

— مغفرة وصفحاً لو كنت أذنبت وتسامحاً لو كانت الظروف
أذنبت .

— هذا كثير يا عزيزي . فلا تجعاني بالله عبد لطفك أبد الدهر

— لا يسع محدثك الا أن يقر لك بالتفوق في كل شيء

— هل لك أن تجالسني قليلاً ؟

— ذلك ما تصبو اليه نفسى . انى كنت أنظر لأديم الغبراء تارة

واصفحة السماء طورا لانى كنت أبحث عن أخ كريم . تلك يسمه منى من
فيه آيات السحر الحلال .

— بورك فيك يا عزيزي

وذهب الصديقان لقهوة النيل وجلسا أمام خوان صغير وابتدآ

فى الحديث بعد أن صفق صاحبا الجديد مرتين فها أناه خادم القهوة طلب

— ومتى أخبرك بذلك ؟

— صباح اليوم

— عنوان يأخذ بمجامع القلوب . انى أهنيء صاحبك يا صاح على

هذا الذكاء

— اما زلت تهزأ به ؟

— ان العنوان أطربني ولذا ترانى أترنح كالشارب التمل

ومشى وهو يترنح يمنة ويسرة بمقلداً شارب الخمر وضحك بعد

ذلك ضحكة عالية ثم التفقت الى صديقه وقال له

— بشر صاحبك بنجاحه فى مسعاه لأن صاحب « الحقائق »

فقير المادة فسوف يرى فى مقال أبى الانشاء عوناً له يستعين به

— أتهزأ بصاحب « الحقائق » وأنت أول من كتب فيها .

— ان للحقائق فضل على ولى عليها أيضاً فضل عظيم وأظنك

لا تنكر ذلك .

ووصل الصاحبان الى ميدان العتبة الخضراء فقال عبد العزيز لصاحبه

— كنت أود أن أتم حديثى معك وليكنى مجبر على مغادرتك

— وأين تقصد ؟

— شارع الموسيقى حيث أشتري (نصف دستة) من الشرابات .

وغادر عبد العزيز صاحبه فوقف ابراهيم هنيهة ينظر طوراً للغرباء

وطوراً للسماء وهم الى جهة دار البريد وإذا به يسمع صوتاً يناديه فالتفت

خلفه ليرى المنادى وعندها صاح بملء فيه

— ان نفسى اوراقه لقراءة هذا الكتاب
— غدا تبتمدى فى مطالعته فى حصه المطالعة الانجليزية لان
ستاذهما كما تعلم لا يهيمه كثيرًا ما تفعله التلاميذ
— إزه اذا دخل الفصل جلس على مقعده الى أن يدق الناقوس
— ولكن نتيجته حسنة دائماً . فما السر فى ذلك ؟
— سعادة حظه

عند ما قال عبد العزيز كلمة « سعادة حظه » ضرب بيده على رأسه
كأنه يأسف على نسيانه ذكر أمر كان بوده أن يقوله ليسرى . ثم قال له
— لقد نسيت أن أقول لك أن صديقك أبا الانشاء قد أرسل
مقالة جريده الحقائق

— لقد أخطأت يا صديقى فى إصداق لفظ الصداقة بصفاته وكان
الأولى أن تقول (حاسدك لا صديقك)
— انك ما زلت تضمر له الشر

— انى أمزح معك يا عبد العزيز ولا أخالك تعتقد فى غير ذلك
وما موضوع مقاله ؟

— البورصة

— وما عنوانها ؟

— الأم الشفيقة القتالة

— ومتى أرسلها ؟

— منذ يومين

— أساوى (عبد ربه) وهو من جهابذة أهل العلم أصحاب النقد
الصحيح والفكر الثاقب

— لكل منكم طريق لم يسلكه الآخر . أنت تكتب فى الخيال
وهو فى النقد

— وهل تظن أنى عاجز عن انتقاد الكتاب أجمعين ؟

— أنا لا أقول ذلك ويسرنى أن أرى فى نقدك ان شاء الله صواب
الفكر ودقة النظر .

— سوف تقرأ عن قريب فى احدى مجلاتنا الكبيرة عدة مقالات
فى معنى النقد وشروطه

— وأتشم أن تكون بتوقيعك

— ان شاء الله تعالى . ألا ترى ان الكتاب الذين يكتبون فى النقد
يحميدون كثيراً عن الصراط المستقيم ؟
— لا ارى ذلك .

— هذا لأنك لم تقرأ فى الانكليزية كتب النقد الصحيح وهى
كثيرة يا صديق وان شئت اقرضتك كتاباً منها لتقف على هذه الروح
العالية المفقودة عند كتابنا سامحهم الله

وانتهى عبد العزيز من مسح حذائه ونفخ ماسح الأحذية قرشاً
ومشى مع ابراهيم جنباً جنب وهو يقول له

— انى أشكرك يا عزيزى ومتى أحظى منك بهذه المنحة العظيمة

— غداً ان شئت ذلك

— أرى فيه ردًّا لمن يكتب تحت لقب (عبد ربه) على مقالات

احمد نديم

— لقد صار احمد نديم ذائع الصيت بين كبار الكتّاب

— انه يكتب منذ سنين عديدة

— ومن هذا الذى يكتب تحت اسم (عبد ربه) ؟

— يقولون إنه موظف باحدى النظارات وآخرون يقولون انه تلميذ

(بالمدرسة السعيدية) وآخرون يقولون انه من كبار قضائنا .

— أصدق أنه قاض أو موظف ولكنى لا أظن أنه طالب

— ولم لا ؟

— أكتب الطلاب كلاماً كهذا

— وهل تستكثر عليهم ذلك وأنت منهم ؟

— انى ما زلت من الكتّاب الحديثين

وابتسم ابتسامة تدل على اعتقاده عكس ما يقول ولا يستغرب

القارىء ذلك من ابراهيم يسرى بعد أن عرف كل اخوانه أنه ممن

يعتقدون فى أنفسهم الألوهية فى فن الكتابة وزد على ذلك أنه حىود

يكبره أن يرى تلميذاً مثله يجاريه فى مضمار القلم . أما عبد العزيز فهو من

التمامين الذين تدب عقاربهم بين القوم فتقطع بينهم جبال الود والاخاء

وممن يتبعون السيئة حتى يقضوا لبااتهم وينالوا غرضهم .

سمع عبد العزيز جملة ابراهيم وقال له :

— انى لا أعتقد ذلك

الفصل الرابع

أتى ناظر المدرسة الخديوية يمشى الهويننا الى أن وصل الى الدرج فوقف عليه ليحجي طلبته قبل انصرفهم . وكانت الطلبة قبل ظهور ناظرهم فى هرج ومرج فلما رأوه قادما اليهم لزموا السكون كأنهم كانوا متأهين له .

حيا الطلبة رئيسهم وحياتهم وانصرفوا الى الخارج والحرية نصب أعينهم ، وليس شئ أحب الى قلب الطالب من تلك الساعة الجميلة ساعة انتهائه من درسه واستنشاقه عبير حريته

مشى ابراهيم يسرى الهويننا الى أن وصل الى الباب الخارجى وهناك قابل عبد العزيز واقفا يمسح حذاه وهو يطالع جريدة اللواء فابتدعه بقوله

— هل من أخبار جديدة

— لا أرى شيئا يستحق العناية

— وباب المقالات ؟

أسمع إنسان في مصر فاذا بك تسألين الله أن أحظى بها عاجلاً فشكراً
لك ، اللهم شكراً لك .

ورفع حسن يديه للسماء شاكراً فابتسمت حبيبتة وقالت له

— ومتى تظهر مقاتلك ؟

— بعد ثلاثة أيام أو أربع لأنهم سيقدمون عليها مقالات كبار

الكتاب واني أعدك انك ستككونين أول من يسمع بظهورها

— يا لسعادة نفسي في ذلك اليوم

ونظر المحبان للسماء فوجدوا الظلام بدأ يضرب خيامه فافترقا وهما

يبتسمان . فلما أدار حسن وجهه لغرفته وجد نفسه فيها وحيداً ولم يطق

أن يستأثر بسعادته الكبرى فلم يدر ما يفعل فابتدأ بالقفز في غرفته فاذا

به يرى كلبه (سحاب) يقفز خلفه كأنه يشاطره هنائه وسعادته .

فقال لنفسه سأشرح لها شؤون الكتابة والكتاب اتقف عليها. فالتفت إليها فوجدتها تبتم كأنها تسأله الصفح والرضى فقال لها بصوت متهدج — انك بلا شك لا تعرفين ما يعاينه الكاتب عند كتابته مقالته — أود أن أعرف ذلك

وكان هذا الرضى مفتاح استرسال حسن في حديثه فقال — آه يا عزيزتى لو كنت تعرفين ذلك؟ إن الكتاب إذا جلس أمام مكتبه وأمسك بالقلم في يده استرسل للتفكير أولاً فإذا ما اختمرت الفكرة في رأسه أراد أن يكسو معانيها ألفاظاً أنيقة تلذ القارىء فإذا وفق لذلك خطها فلمه على الورق الأبيض بالمداد الأسود ويكون هذا شأنه في كل ما يكتب ولا تظنين أن الأفكار تترى في رأس الكاتب تباعاً ولا أن الألفاظ دائية القطوف. وإذا أراد الكاتب أن يكون بمسوط العبارة متناسب الفقر بعيداً فيما يكتب عن شوائب اللبس فانه لعمري يحاول المستحيل والدليل انا لا نجد في مصر عدداً كبيراً من الكتاب — وإذا وفق الكاتب الى كل ذلك ،

— إذا وفق . يدخل جنة الحياة يحمله اليها ملائكة البلاغة — ما أحلى وقع هذا الكلام في أذنى . أستحظى يا حسن بكل ذلك — إذا أراد الله لى الخير

— سأسأله فى كل لحظة أن ينيلك هذا المقام الرفيع — أنت إذا تشاطر يبنى فرحى ؟ انك لاتعاملين كم أنا سعيد بذلك . ظننتك لا تهتمين بما تصبو اليه نفسى ، بتلك الامنية التى أصبح اذا نلتها

— لقد أقدمت على عمل عظيم اليوم

— وما هو؟

— كتبت مقالة وأرسلتها لتشر في إحدى الجرائد

— ولأى جريدة أرسلتها؟

— لجريدة الحقائق . . .

ولم تبد لي بعبية اهتماماً كبيراً لما أخبرها به حسن التفكيرها بحجها ووزواجها
وسعادتها فمز على حسن بل ساءد كثيراً أن يرى من لبينة ذلك . فاحمر
وجهه قليلاً وغص بريقه عند ما حاول متابعة حديثه شأن كل حي يدفعه
الحياء الى ما يقرب من الجبن ثم نظر الى السماء كأنه يسأل الله خلاصه من
خيبته ثم نظر الى الارض هرباً من نظرات لبينة وكأنها شعرت بما يدور
في خلده فودت إصلاح خطأها فحادثته بصوت حنون تبرأ عند سماعه
القلوب الكليمة قائلة

— أوافق أنت من نشر مقالتي؟

— لا أعلم

وسكتت خوفاً من الكلام فابتسمت لبينة ابتسامة تعبر عن هزيمتها

وسكتت ناظرة للفضاء

ابت حسن هنيئة يفكر وكل فتى حي يحاول التفكير اذ فيه التعزية
الكبرى لخيبته وقد حدا به فكره الى مغادرة حبيبته ولكنه لم يستصوب
هذا الرأي مخافة أن يسيء لمن يهوى فزادت حيرته ولكنه اهتدى دفعة
واحدة لرأى ظنه صائباً وسرعان ما يهتدى الفتى الى الآراء الجديدة .

سكتت لبينة هنيهة لتفكر ثم قالت :

— لا أعلم

— انك اذا لا تحبيننى لأنك لا تفكرين فيما أفكر فيه

احمر وجه لبينة ووضعت كفها على وجهها لتخفى احمراره لأنها أدركت أن حسن لا يفكر الا بزواجه بها وهو ما تفكر فيه أيضاً . ثم قالت له بعد قليل .

— بأى شيء تفكر يا حسن ؟

— ألم تدركى بعد ، انى أفكر فى زواجنا . فهل تفكرين فيه أيضاً

فقالت وهى مطئة الرأس

— فى كل آونة

فابتسم وقد سره سماع هذا الاقرار من ذلك النعم الجميل ثم قال

لها وقد ارتسم السرور على وجهه

— انى سعيد يا لبينة اليوم لثلاث أمور ، أولها رؤيتك فى هذا

الثوب الجميل وثانيها اقرارك لى بأنك تفكرين فى زواجنا كل آونة .

وثالثها أمر آخر لم يتحقق بعد

— وما هو ؟

— أنت تعرفين انى أحب الانشاء كثيراً

— نعم

— وأود أن أصبح يوماً كاتباً عظيماً فى احدى الجرائد

— نعم

بينما كان عبد الرؤوف أفندي يحدث زوجته كانت ابنته ابية واقفة أمام الشباك وقد أسندت رأسها بذراعها واستسلمت لأحلام غرامها الى أن سمعت صوت ابن عمها يقول

— مساء الخير يا عزيزتى

احمر وجه لبية وقالت

— أسعدت مساء يا حسن . كيف حالك اليوم ؟

— كما يود لى كل حبيب . ما هذا الثوب الجميل ؟

— أتراه جميلاً ؟

— جداً . ولكنه أقل جمالا من لابسته

— أتظن ذلك

— بلا شك يا فاتنتى ، ان ثوبك جميل ويزيده جمالا قدك الأهيف

وشعرك الاسود ومعصمك الجميل وعيونك الساحرة

— لا تطل مديحك يا حسن

— أنت حورية من حور الجنان وأنا عبدك الواله المطيع . ألا

تعرفين يا لبية فيم أفكر كثيراً ؟

— فى نوالك الشهادة

— أنا لا أنكر انى أفكر فى ذلك ولكنى أفكر فى أمر آخر

تصبو اليه نفسى كثيراً . احذرى يا لبية . احذرى فانه يلذ لى أن تحذرى

ما يحول فى فكرى فى كل دقيقة بل فى كل ثانية

— أما من رجاء في صفحه ؟

— لقد فعلت المستحيل فلم أنجح فكلى الأمر لله

سكنت نعيمة وقد هالها ما سمعت ومكثت مدة وهي تفكر في أشياء كثيرة . عزَّ عليها أن تغادر هذه الدار التي تربت فيها ابنتها . عزَّ عليها أن تباعد عن المنزل الذي يسكن فيه أهل زوجها . عزَّ عليها أن تفارق القطعة التي ألفتها . وعزَّ عليها أن ترى الدمع يجول في عيني ابنتها لفراق من وهبته روحها الطاهرة . والأم وإن كانت تكره من ابنتها أن تميل لأحد الشبان فانها تكره أيضاً أن تراها تبكي وتلتحب لفراق من تميل إليه . وما زالت نعيمة هانم مسترسلة في أفكارها إلى أن قال لها زوجها .

— وما قولك في هذه المصيبة الجديدة ؟

— وماذا تريد أن أقول ؟

— كنت أظن أني سأنقل إلى بلدة قريبة كالجزيرة حتى لا أرغم

على مفارقة هذا المنزل المحبوب ولكني سمعت اليوم بل تأكدت إنا سنسافر إلى أسيوط أو إلى دمياط

— يا لله . سنحرم من لقاء أحببنا أعواماً عديدة

— ربما كان الأمر كذلك . تلك بلاد لا نعرف من أهلها أحداً

وسنعيش فيها كالغرباء حيناً من الدهر . عيشة الغرباء مؤلمة لا تحتملها النفس .

— تلك مشيئة الله يا عبد الرؤوف

ملابسه فلبت نداءه وبعد ان ايس لباس المنزل جالس على مقعد من الخيزران واشعل سجارة واسترسل في تأملاته . وجاست زوجته بجواره وهي تنظر الدخان المتصاعد من فم الى سقف الغرفة . ثم التفت اليها بعد قليل وقال !

— سنغادر هذا المنزل آخر الشهر

— ماذا تقول ؟

— أقول إنا سنغادر هذا المنزل آخر الشهر

— والى أين نذهب ؟

— الى حيث يسوقنا القدر

— أنغادر القاهرة ؟

— هذا ما لا ريب فيه

— وأى حادث حدث ؟

حدث ما لم يكن فى الحسبان . لقد خاضنى رئيسى فى الديوان فسمعت مراراً لعله على نسيان تلك الهفوة الصغيرة فأبت نفسه الصفع وقرر تقلى فى آخر الشهر . فاعنته الله على الدساسين الذين لا تهأأ نفوسهم الا اذا أوقعوا بين المرء وأخيه

— ومن هم هؤلاء الدساسين ؟

— قوم فى الديوان عادونى انشاطى واستقامتى وعز عليهم أن أكون

محبوباً من رئيسى فتقربوا اليه بجياهم الشيطانية وانتظروا هفوة صغيرة ارتكبتها . فلما حانت لهم الفرصة أغروه على تقلى فصادع لاغرائهم

الفصل الثالث

- ماذا تفعلين يا لبيبة ،
- ألبس ردائي الجديد يا أماء
- وعلام تلبسينه وأنت لاتغادرين الدار اليوم ؟
- وهل يسوؤك ذلك ؟
- كلا يا بنتي

لم تلبس لبيبة ردائها الجديد الا ليراه حسن . ونعيمة هانم أمها لانجهل ذلك واكبتها تتجاهله لأن الامهات يتغاضين عن هفوات بناتهن ويسعين سرأ في اصلاحها . ولذا سكتت نعيمة هانم ولم تناقش بعد ذلك فتاتها فيما فعلت

وظلت لبيبة تروح وتجي أمام المرأة وهي تصلح من شأنها الى أن حان ميعاد حبيبها فذهبت الى الغرفة التي تطل من شباكها لتقرأه السلام وتستقبل قبالاته الحارة يحملها اليها نسيم الغروب .

..

دخل عبد الرؤوف أفندي بيته ونادى زوجته لتساعده على خلع

التكرار فطواها ووضعها في ظرف أتاها به الخادم وكتب على الطرف
بخط واضح :

إدارة جريدة الحقائق بالقاهرة

حضرة الفاضل رئيس التحرير

مصر

وهم واقفا وهو يتسم ثم سار في شارع محمد علي موسعا الخطا ومر
على أربعة من صناديق البريد ولكنه فضل ان يلقى خطابه في (دار البريد
الكبرى) بالعتبة الخضراء ليكون آمنا عليه ولما وصل الى تلك الدار
ألقى في صندوقها الخطاب ثم أرسل زفرة طويلة تعبر عما يخالج قلبه
من ألم اليأس وحلاوة الأمل .

خرج حسن مع من خرجوا من التلاميذ ومر أمام البواب كما دته
فقال له البواب وقد رأه مسروراً

— أسعدت مساءً يا حسن بك

— أسعدت مساءً يا عم طه

وابتسم حسن للبواب وأخرج من كيسه قرشاً أعطاه له في يده
فشكره البواب ودعاه وسار حسن في شارع درب الجمايز الى أن وصل
الى قهوة (النادى المصرى) وجلس فى الركن الذى اختارته نفسه منذ
طرفت قدماه أرض هذا النادى المبارك وطلب من الخادم القهوة كالعادة
وورقة بيضاء وقلما وخبزاً . وما لبث فى مكانه هنيهة إلا وأتاه الخادم بما
طلب وزاد عليه الجرائد الأربعة وأتم حسن مقالته فى النادى وفيه انتهى
من تبويضها أيضاً . وجلس يقرأها للمرة الأخيرة واستوقفه عنوانها ثلاث
دقائق وكيف لا يستوقفه هذا العنوان هذه المدة الطويلة وهو عنوان
غريب وجميل (الأم الشفيقة القتالة) وماهى تلك الأم التى تشفق على
أبنائها ثم لا تلبث أن ترهق أرواحهم . هى بلا نزاع البورصة وانه حقا
اسم وافق مسماه . قرأ حسن العنوان للمرة الخامسة والعشرين بعد المائة
وهو يبتسم ويقول لنفسه (ليت شعرى أينشر صاحب الجريدة مقالتي
هذه ؟ ولم لا ينشرها ؟ وهل أنا أقل شأنًا ممن يكتبون فى جريدته . لقد
شهد لى القاصى والدانى فى المدرسة بمتانة الأسلوب وعلو الأفكار . انها
بلا شك ستنشر ولا نزاع فى ذلك)

وقرأ مقالته مرتين وأراد أن يقرأها للمرة الثالثة ولكنه سئم من

جالساً كأنه لم يعبأ بأستاذه وحسن حظه لم يانتفت إليه الأستاذ . ابتداء التلاميذ في المطالعة وكان أول القارئین فتي من أبناء ملوى له لهجة أبناء الصعيد وهي لهجة تستهجنها آذان أبناء مصر وإن كانت أقرب للعربية الفصحى من لهجتهم التي لا تنبو عن أسماعهم . قرأ التلميذ واسترسل في قراءته وفسر الالفاظ المغلقة وكان يعارضه الأستاذ في معانيها والاستاذ من الاساتذة الذين يتعمدون الكلام باللغة النصحي له . منظار لا يفارق عينيه الا ساعة نومه ويقال أن أول شيء تمتد إليه يده عند استيقاظه من نومه هو منظاره الكريم ولذا اعتاد أن يضعه تحت وسادته . وقيل أنه حل بالمنظار في احدى الليالي حدث جلال وكان الاستاذ مستغرقاً في النوم فلما استيقظ في الصباح بحث عن منظاره كماذته فوجد زجاجه مهشما فلم يفارق سريره طول يومه . كل هذا لا شأن له في قيمة الاستاذ لانه كان وديع الاخلاق لطيف السجيا محبوباً من التلاميذ لتساهله ورقته .

انتهى التلميذ الاول وابتدأ الثاني وحسن تائه في بيداء افكاره يكتب في ورقته جملة ويشطب أخرى ولا يسمع الا (قال دبشليم الملك ليبيدا الفيلسوف) تقطع عليه أحلامه الخيالية . وما مرت الساعة الا ومقالة حسن كادت أن تم الا قليلا . ودق الناقوس فهرعت التلاميذ للخروج وطوى حسن رسالته ووضعها في جيبه وحمل محفوظته تحت ابهامه ووضع يديه في جيبي (بنطالونه) ومشى يترنح يمنة ويسرة وقد أسكرته خمرة ما خطته يده .

ظنى فيك أقول لك ان الذى غمطك هو حسن أمين
— أبو الانشاء!!! ...

وضحك ابراهيم يسرى ضحكة طويلة وأردف ضحكه بقوله
— لقد قرأت له موضوعا انشائيا رفع فيه المفعول ونصب الفاعل
وكاد أن يسكن المبتدأ لولا أن تداركته رحمة من ربه . اذا كان هذا الفتى
استغفر الله بل (هذه الفتاة) يحسدنى على ما أنا فيه من نعمة وهناء فبشره
بخذلانه وانحداره لانه لا ينهض ولن ينهض من الهاوية التى رماه فيها
حياؤه النسائي .

— ان فى نفسه ميل للكتابة فى الجرائد

— يريد أن يجارىنى ؟

— بل يريد أن يظهر للناس بلاغته

— انه قلق المعانى مضطرب المباني وسيتقى كذلك الى ما شاء الله .

ودق الناقوس فأسرع الطلبة للدخول فى الفصول .

...

جاس حسن أمام مكتبه وأخرج من قطره كتاب كالملة ودمنة
وألقاه أمامه غير عابى به ثم مكث هنيهة يفكر كأنه يسائل نفسه الاقدام
على شىء ثم أخرج من درجه ورقة بيضاء ومن جيبه قلماً من الرصاص
وأسند رأسه بيده اليمنى واضعاً قامه بين يديه مستسماً لأمانيه العذبة
وأحلامه اللذيذة ودخل فى هذه الساعة استماد المطالعة (وكان غير
الصاعقة) فقامت له التلاميذ وقوفاً لتؤدى له التحية ومكث حسن

- ومن هم هؤلاء؟
- لم أحداث إلا فرداً منهم
- ومن هو؟
- انى لا أحب نقل الكلام من أفواه الحاسدين الى آذان

المحسودين

- أنت صديقى وأخى ولم أتعود منك اخفاء الحقيقة عنى
- اعذرنى يا صديقى اذ كتبت اسمه عنك
- وهل فى ذكر اسمه من بأس؟
- كلا ولكن علام كثرة الكلام فى مثل ذلك
- لقد عرفته فهو بلا شك أحمد عبد الله . انه نظيرى من يوم
- أن أمسكت أنامل القلم
- ان الله لا يحب الظالمين يا ابراهيم وحرام أن تظلم الأبرياء
- هو اذا على فؤاد . انه لا يقرلى بفضلى ويهزأ بمقالاتى
- ولا هذا أيضا . انك تحتال على لأصرح لك باسم ذلك الذى
- أخطأ فى غمطك لا فى حسدك .
- اذا كان هو ممن يغمطونى وليس ممن يحسدونى فلماذا
- لا تصرح باسمه .

- أخشى أن تكون قد كتبت له الضغينة
- لست خسيس النفس ولا غليظ الطبع لأفعل ذلك .
- حاشا أن تكون كذلك يا ابراهيم ولكى أرهن لك على حسن

— انك تمزح يا عبد العزيز

-- لم أعود المزح متى كنت جاداً. انى ألومك على كسلك وإهمالك
السير في الطريق التي اختطتها لك مواهبك ولكنى أحذر كحياءك فأنت
وان كنت أفصح التلاميذ عبارة فأنت أكثرهم حياءً وأشدهم خجلاً

— هذا حق لا مرية فيه وانى أشكو لنفسى حياءً نفسى

وسمع حسن تلميذا يناديه من بعيد فاعتذر لصاحبه وفارقه وهو
فرحان جذلاً . واتخذ بعد ذلك عبد العزيز وجهة الحديقة وفيها لاقى ابراهيم
يسرى فقابله وهو مهال الوجه وصاحفه وهو يقول له :

— لله درك لقد قرأت مقاتلتك ومازلت تملأ بخمرة بلاغتك الى الآن

— خمرة بلاغتي؟ إنك تغالى فى القول .

— أقسم لك بالله وبالشرف انى لا أقول الا الصدق

— وهل قرأت المقالة حتى آخرها؟

— واستعدتها ثلاث مرات متواليات وقرأتها للمرة الرابعة صباح

اليوم وأنا فى الترام

-- وما رأى اخوانى الطلبة فيها؟

— كلهم يحبذون عملاك ويقرون لك بالتفوق فى ضروب الانشاء

ومن بينهم من يحسدك

— من يحسدنى؟ وعلام هذا الحسد؟

— لأنهم يودون الصعود بلا تعب الى المكاة التي وصلت اليها

بجدك وعملاك

وقتهم للتريض ولكنى ألوم الذين لا يفعلون ذلك . ان المدرس يا حسن ساعة وللتريض ساعة .

— بلا شك . ولكن أتعلم كيف توصل ابراهيم يسرى للكتابة

في جريدة كبيرة ؟

— ابدأ بالكتابة في جريدة صغيرة وشجعه صاحبها على المثابرة

حتى ثبتت أقدامه في ميدان الكتابة وهو ميدان وعركا تعلم . ووجد في نفسه الكفاءة لأن يحرر في جريدة يقرأها سواد الناس في مصر

فكتب في المؤيد

— ولكن علام تسألنى يا أبا الانشاء هذا السؤال . أفى نفسك

ميل للكتابة في الجرائد ؟

منع الحياء حسن أن يصرح عما يجول في خاطره فأجاب صديقه قائلاً :

— أنا أكتب في الجرائد ؟ هذا أمل قل أن يتحقق

— ولم لا ؟ ان اسلوبك يا عزيزى انيق الديباجة مهذب اللفظ

ولا أعالى انك في مدرستنا منقطع القرين

وعند ما سمع حسن عبارات المدح من فم صديقه قال دفعة واحدة

وقد أنساه المدح حياؤه الطبيعى

— أظن ان اسلوبى أرق من اسلوب ابراهيم يسرى ؟

وعات وجهه بعد ذلك حمرة الخجل كأنه لم يكن ينتظر من نفسه

ان يتفوه امام احد اخوانه بكلام يشم منه رائحة للغيرة

— ابراهيم كاتب تستعيد الأسماع عبارته ولكنه دونك براجل

— لقب مضحك

والتفت يمينا فرأى حسن أمين يقترب منه فصاح به قائلا

— ألا ترى يا أبا الانشاء في لقب (ابن بطليموس) ما يدعو

للضحك !

— لقد قرأت مقالاته وأعجبتني فيها سمو خياله وجمال أسلوبه

اذ وصف الأهرام وأبا الهول وصفا دل على سلامة ذوقه ونصاعة بيانه .

ألا تشاطرنى رأيت هذا يا محمود ؟

— أنا لا أشاطر الناس افكارهم في شيء لم اقف عليه . واظن اخي

عبد العزيز يوافقني على ذلك وان كان ينكر على اهمال مطالعة الجرائد

فقال عبد العزيز وهو كاره

— ان اهوائى لا توافق اهواءك يا محمود فعبثا الكلام في ذلك .

— انى ذاهب لأرى من اميل الى مذهبه .

وترك محمود رفيقه وهشى يوسع الخطا مبتعدا عن لا يتكلمون الا فى

جودة الانشاء وطلاقة اللسان . ثم التفت عبد العزيز لحسن وقال له :

— وما رأيك انت . انك بلا شك ممن لا يعضبهم الكلام النافع

— وهل ظننت فى غير ذلك ؟

— كلا وحاشا ان اظن فيك الظنون . ولكنى أرى بين نابتة

اليوم قوما لا يعبأون بخدمة بلادهم ولا يعملون الا على خذلانها

بانصرافهم للهو والألعاب ولذا ترانى أرثى لحال محمود مع اعترافى له

بالتفوق فى لعب الكرة . أنا لا ألوم التلاميذ الذين يخصصون جزءا من

إذا دعتهما الحال لطاب المعونة، والحياة تدعو النساء كثيرًا لذلك .
وقف حسن بعد أن غادرته ابنة خاله قليلاً ينظر للسماء تارة ولنافذة
حبيبته تارة أخرى إلى أن سمع صوت أمه تناديه قائلة
— لقد أعددت الطعام يا حسن . هيا لتتناول عشاءك
— ها أنا ذا يا أماء

الفصل الثاني

— ألم تقرأ مقالة ابراهيم يسرى في مؤيد أمس ؟
— لم أطلع الجرائد أمس .
— أنا أعلم الناس بعاداتك يا محمود فأنت ممن يأنفون من مطالعة
الجرائد
— بل أنا يا عبد العزيز ممن لا يضيعون أوقاتهم في قراءتها
— بل ممن يضيعون أوقاتهم في لعب الكرة
— الكرة ديدني يا عزيزي واني لا أجد فيها ضياعاً للوقت كما تزعم .
وهل وقع ابراهيم مقالته باسمه ؟
— كتبها تحت اسمه المستعار كماداته
— انى لا أعرف لقبه الجديد
— لقد كتبها تحت اسم (ابن بطليموس)

— دع عنك هذا الفكر جانبا ولنفكر بأمر آخر

— لنفكر بحبنا فهو أحسن وقمّا على قاي

أمالت لبيبه بعطفها عند سماعها كلمة الحب المرة الثانية ونظرت

إليه نظرة المحبة الوفية الصادقة وقالت :

— وهل يبقى هذا الحب في قلوب الرجال طويلا ؟

— ما بقيت الأرض والسماء .

— ألم تستهو فؤادك اليوم نظرات الغيد في الطريق ؟

أسير في الطريق وصورتك في مخيلتي . أنت معي في كل مكان .

في البيت وفي المدرسة وفي الشارع وفي الحدائق حتى وفي الساعة التي

أجتهد فيها لفهم درس يصعب على سواد الطالبة فهمه . أنت الحياة . أنت

الوجود . أنت الدنيا وما فيها من نعيم . واني أقسم لك على الوفاء حلقة

عاشق صدوق المقال يبر بقسمه حتى آخر نسمة من نسيمات حياته .

واستمر المحب يغازل حبيبته و (سحاب) جالس عند أقدام صاحبه

كأنه الشاهد العدل على هذا الحب وعلى هذه الاقسام التي تترى على

أسنة الناس ولا تلبث أن تذرورها الرياح . وسمعت لبيبه أمها تناديها

فأسرعت للقائها بعد أن حمت النسيم قبلات عديدة وكاد أن يشعر حسن

بحرارتهما على خديه . وما لبيبه هذه الا ابنة تبلغ السابعة عشر تربت تربية

حسنة وتعامت تعالما يحسدهما عليه الكثيرات من أترابها . وأبوها عبد

الرؤوف افندى خال حسن رجل طيب السيرة والسريرة سكن أمام منزل

المرحوم مصطفى افندى بعد وفاته ليكون عوناً لأخته (والدة حسن)

سلامه بقبلة أرسلها على أطراف أنامله احمر لها وجه تلك الفتاة الخرد
(الكثيرة الحياء) فكسرت من طرفها ثم رفعته اليه وقد علت شفيتها
ابتسامة جمعت بين آية الجمال والهيام . وابتدأ حسن في محادثتها فكانت
تسمع كلامه كأنها كانت معه في غرفته اذ لم يكن بين بيته وبينها غير
ثلاثة أمتار لا يعرفها الا من عاش في امثال ناحية الحمازوى
قال لها حسن

— انى سعيد باقائك يا ابنة خالي ولقد فكرت فيك طول اليوم
وأنا مثلوج الفؤاد وكنت كلما استرجعت فى مخيالى صورتك المحبوبة
أشعر بالفرح يهز عظمى وبالسرور يتمشى فى جوانحى . كيف حالك اليوم ؟
— كما ترومه أنت . وكيف حالك ؟

— المحب المحبوب لا يشعر بحزن ولا يتفجع لمكروه
— وهل حل بك مكروه ؟

— لقد خاصنى أستاذ النحو اليوم وعاقبنى أمام اخوانى الطلبة حتى
ندى وجهى عرقاً .

— أعد يا عزيزى خصام الأستاذ . صيبة تفتت الكبد وتمزق
الاحشاء .

— خصام كل أستاذ سهل على أفئدة الطلبة ولكن خصام
(الصاعقة)

— أما زلت تسمى أستاذ النحو (بالصاعقة) ؟

— اسم وافق مسماه يا عزيزتى

..

دخل حسن غرفته بعد أن ترك والدته في ردهة البيت ووقف فيها هنيهة كأنه يُقرئ السلام كل ما في الغرفة من كتب وفراش إذ للجهاد في قلوب أهل الخيال مكانة لا تقل عن مكانة بنى الانسان . وقف حسن هنيهة ثم أرسل زفرة أطلقها جوائحه لم يسمعها غير كلبه الأمين (سحاب) الذى أتاه يبصبص بذبذبه كأنه يسأله الصفح عن تأخره . جالس حسن على كرسى ونظر لـكلبه نظرة العاتب ثم ناداه بصوت حنون رقص له الكلب طرباً وقفز ليجلس على ركبتي سيده فأمسك به حسن وداعبه قليلاً قائلاً له (أين كنت يا سحاب ، والى متى تهمل سيدك وهو الذى أحسن اليك وآواك الى منزله ليلة كنت ترعد برداً امام الباب وقد نبذك أصحابك كما ينبذ الطفل النواة . أهذا جزاء الاحسان ؟) وتمادى حسن فى عتابه واستمر الكلب فى اظهار ولائه وكان الوقت كما قلنا وقت الغروب وقد اختفت الشمس ولم يبق فى الأفق الا احمرار الشفق وحانت فى تلك الساعة التفاتة من حسن للنافذة فاذا به يرى فى البيت الذى يقابل لبيده فتاة تطل من نافذتها لتمتع بصرها بجمال الطبيعة وتنظر نظرة المعجب لتورد خدود السماء . نظر حسن للفتاة نظرة لم تعرها التفاتاً كأنها أتت للنافذة وفى قصدها غير لقاءه اذ الحياء كما نعلم من خلق النساء . ناداها حسن بصوت يسمع السامع منه رنين الحب والخوف فالتفتت اليه جافلة كما يجفل الريم وقد سمع خطوات الصياد . ثم اطمانت له بعد أن عرفته وأشار اليها بالسلام فردته بأحسن منه وتلى

سبيله الى أن تجسمت في مخيلته تلك الفكرة وأصبح تحقيقها أميته الوحيدة. وبحث مصطفى أفندي عن تلك الفتاة كثيراً الى أن وفق لعائلة ربتها شركسية توفي زوجها المصري تاركا لها ابنة وولدا. نخطب مصطفى أفندي الابنة وكانت تبلغ الثامنة والعشرين وقات الأم وهي مهتلة الوجه لا تصرف شبان الناحية عن ابنتها. ولم يهتم مصطفى أفندي بجمال زوجته إذ لم يكن جمالها غاية الشيخ المريض الذي لا يرجو من امرأته الا عفتها واعتناءها به. وتزوج بها وعاشت معه ثلاث سنوات، ماتت في السنة الأولى منها أمها، ثم ولدت له ولدا سماه حسن فرح به فرحا كاد أن يقتله وما زال يرتع الولد في أحضان أبيه وأمه الى أن توفي مصطفى أفندي بالغا الثامنة والستين تاركا ولده بالغاً من العمر عشر سنين.

نشأ حسن ضعيف الإرادة - وابن الشيخ المريض لا ينشأ الا على هذه الحالة، لا يقدم على عمل الا بعد أن يتردد فيه كثيراً وإذا أقدم عليه ودأن يتركه، ولكنه كان يميل للتفكير والخيال وكان به شغف بالكتابة عظيم استحق به في المدارس الابتدائية لقب «أبا الانشاء» ذلك اللقب الجميل الذي لم يفارقه يوم دخوله المدارس الثانوية.

عاشت عزيزة بالسبع دناير التي كانت تتقاضاها من أجره البيتين ولكنها وجدتها غير كافية لقضاء حاجياتها وحاجيات ابنها البالغ السادسة عشر ولذا وطدت العزم على العمل فاشتغلت بالخياطة والأحجار ببيع الأقمشة في بيوت الأغنياء والعطاء فكانت تربح من وراء ذلك ما تسد به نفقاتها ونفقات تعليم ابنها.

إستبدلها بمعاشه ، كان يسكن الطبقة العليا من أكبرها ويتقاضى سبعة جنيهاً أجره الثلاث طبقات الباقيات .

مصطفى أفندي رجل لا يعرف عنه إلا أنه ، صرى الأرومة طويل القامة بدين الجسم إذا غضب استرسل في غضبه دفعة واحدة وتناساه دفعة واحدة ، وكان أ كولا له في أنواع الأطعمة وألوانها آراء جرت بين أهل ناحيته مجرى المثل ولكنه كان محبوباً من جيرانه يعظمونه ويذكرونه بالحنى ويقفون له إذا مرّ أمامهم كأنه سيدهم وعميدهم

لا يذق مصطفى أفندي في حياته الحب ولم يستوجف فؤاده ذلك الشيطان الرجيم ولكنه كان ممن إذا مرت أمامهم سيدة تمدوا بجملها الفتان وحسنها الرائع . تزوج مصطفى أفندي في شبابه سيدة لم تضرب في الجمال بسهم وافر ولكنها كانت عفيفة سلسة القياد تقصد في بيتها وتكره التعالى في الزينة والتبهرج . عاشرت تلك السيدة دهر أطويلاً أذقته فيه حلاوة العيش ثم ماتت ولم تترك في أحضانها ولداً ولا بنتاً .

أسف مصطفى أفندي على زوجته أسفاً كبيراً وبكها آباء ليله وأطراف نهاره حتى أصيب بمرض أورثه الضعف والهزال وكان قد بلغ الخامسة والخمسين فأشار عليه بعض أصدقائه أن يتزوج فتاة حسنة تزيد ألحظها الساحرة عن قلبه نار آلامه المستعرة . ضحك مصطفى أفندي لهذه الفكرة وظنها كالحلم العذب اللذيذ الذي يمر ببال النائم في ظلام الليل ولا يلبث أن يزول إذا ظهر في الفضاء شمع الشمس . ولكنه راود فكره كثيراً ورأى في نفسه الحاجة لتلك الزوجة وما زال يجادل نفسه ويزيل العقبات من

ثم علت شفثيه ابتسامة تشف عما في قلبه من فرح وقال (يا حبذا لو
تحققت تلك الأحلام . أأغدو يوماً ما كاتباً؟ من يدري؟) ثم قرع باب
منزله ثلاثاً ففتح له الباب وصعد السلم فرأى والدته تنتظره في ردهة
البيت فقبل يدها وقبلته في خديه وقالت له :

— لقد تأخرت يا حسن فأين كنت ؟

— كنت أقرأ الجرائد يا أماه

— قراءة الجرائد يا ولدى أكبر مدعاة لاهمال الدروس فيخل

عنك قراءتها واشتغل بما ينفعل

— انك يا أماه تجهلين ما يجري خارج المنزل ولذا تقين القول

جزافاً

— أنا لا أنكر يا ولدى أنى جاهلة ولكن شعورى يوحى الى

بما ينفعل

— لقد أنبنى أستاذى اليوم لانى تبعت ما يوحيه الى شعورى

فوالله لا أدري أأصغى لنصائح الأم أم لنصائح الأستاذ

وترك أمه ودخل الى غرفته

حسن أمين هو ابن المرحوم مصطفى افندى أمين الذى كان

كاتباً بنظارة المعارف العمومية فى عهد توفيق باشا والذى أحيل على

المعاش قبل وفاته بستين . توفى مصطفى افندى فى سنة وفاة عزيز مصر

تاركا ولده حسن وزوجته عزيزه وبيتين صغيرين فى شارع الحمزاوى

خرج حسن أمين (أبو الانشاء) مع من خرجوا من التلاميذ وهو يتعثر بأثواب خجله وخيبته وما زال يفكر فيما سمعه من أستاذه أمام اخوانه الى ان وصل الى باب المدرسة الخارجى فابتدعه البواب قائلاً :

— ما الذى يشغل بالك يا حسن بك ؟

— لا شئ يا عم طه

وسار حسن فى شارع درب الجماميز وهو مطأطأ الرأس الى أن وصل الى ساحة باب الخلق وهناك عرج على قهوة وطنية معاقبة عليها لوحة مكتوب عليها بالثلاث (النادى المصرى) . وجلس فى ركن من أركانها يفكر كالشاعر الذى يمنعه خياله عن رؤية ما حوله ثم وافاه خادم القهوة حاملاً تحت أبطه جريدتين وضعهما أمامه وهو يقول هاك اللواء والمؤيد يا سيدى وسأتيك بالاهرام والمقطم بعد ان أعد لك القهوة وتركه ليجيب طلب معمم من لابسى الجلايب الزرقاء .

أمسك حسن «باللواء» فى يده وقرأ كل ما فيه مستثنياً الاعلانات وهم بقراءة المؤيد واذا به يرى الخادم يضع أمامه فنجان القهوة يحف به المقطم والاهرام فأعطاه حسن قرش صاغ وشكره الخادم وانصرف . وقرأ حسن الجرائد الأربع ثم هم واقفاً وحمل محفظته تحت أبطه وسار الهوينا لمنزله وكان يسكن الحزاوى . وصل حسن منزله عند الغروب بعد ان قال لنفسه فى الطريق (لقد امتاكت تلك المقالة نفسى وأسرت لى فله در كاتبها فهو أفضل من كتب) وتاه فى بيداء أفكاره قليلا

الطرف ثم قال له بالهجة الهازية - (ما رأى أبى الانشاء فى درس اليوم ؟) فلم يجب التلميذ ببنت شفة فأردف الأستاذ جملة بجملة أخرى أغضى لها التلميذ حياءً وكاد يجول لدمع فى عينيه اذ كان من خلقه الحياء الشديد ، حياءً يقرب من الجبن .

قال له الأستاذ . (أتولى عطفك أنفة وتصغر خديك استكباراً ؟) وألقى عليه سؤالاً فى درس اليوم وطلب منه الاجابة فلأزم التلميذ الصمت لتشتت فكره فقال الأستاذ وهو يحرق الأرم (لقد أهملت النحو وانصرفت نفسك الانشاء ولذا تأتى باخطأ الفادح فى جملة المنمة ولو تبعت نصيحى وخصصت جزءاً من وقتك لدراسة النحو اسكان لك فى فن الانشاء شأن عظيم اذ لا ينكر احد جمال أسلوبك وانكى البشرك بمخمول الذكر ما دمت لا تسمع إلا ما نوحيه اليك نفسك) . وتمشى الأستاذ يمنة ويسرة وهو غير ملتفت للتلميذ ثم ادار اليه وجهه وقال (اجلس) ودق الناقوس معلناً للطالبة ساعة انصرافهم فخرج الأستاذ تتبعه التلاميذ الى فناء المدرسة

وقف التلاميذ فى الفناء صفاً صفاً ونادى الضابط المعاقبين وكانوا كثيرين فى ذلك اليوم وانتظر التلاميذ ناظر المدرسة الى ان وافهم وادوا له التحية وهو واقف على درج لم يكن غير (سام الفناء) فأذن لهم بالانصراف فغادروا باب المدرسة وهم ثمانين نخرة حريتهم بعد سجنهم .

الفصل الأول

كان الأستاذ الشيخ محمد عبد العليم يلقى على تلاميذ الفصل الأول من السنة الأولى بالمدرسة الخديوية في الساعة الثالثة بعد الظهر درساً في (المبتدأ والخبر). وكانت التلاميذ مصغية إليه اصغاء الطفل لنصائح أبيه لا حبا في الاستاذ ولكن خوفاً من شدته اذ كان معروفاً بينهم ببأسه وغلظ كبده حتى لقبه أشقياؤهم بالصاعقة فكان اذا لاح شبهه من بعيد وهم يلعبون ويمرحون في فناء المدرسة صاح أحدهم قائلاً «هلم بنا نغادر هذا المكان قبل أن تحل به الصاعقة» وتعب هذه الصيحة ضحكات متواليات تدل على بغضهم للأستاذ ونفورهم منه. وما كان الأستاذ بالرجل ذي القلب الأسود كما يزعمون ولكنه كان ممن يتفانون في حب النظام ومراعاة الآداب وكم من مرة رأف بتلاميذه وأشفق عليهم وساعدهم اذا خانهم الحظ في الامتحان.

أتم الأستاذ درسه ونظر في ساعته ثم قال (ليرفع سبابتة من تعسر عليه فهم شيء من درس اليوم؟) وأجال ببصره بين صفوف تلاميذه فلم يجد بينهم من أجاب سؤاله فابتسم ابتسامة الظافر وقال (نتيجة حسنة تبشر مستقبل باهر إن كنتم فيما فعاتم صادقين) وحول بصره لوجه شاب أسمر اللون نحيف القوام أقنى الأنف أسود العينين يرى الناظر فيهما أثراً للحزن والتفكير. نظر إليه الاستاذ ملياً والتاميد حاسر

الشباب الضائع

رواية قصصية مصرية

ثم بعد ذلك ، بعد هذا الكلام الطويل بينى وبينك ، ما زلت أحس
بدافع يدفعنى لأن أقول لك شيئاً آخر ولكنى أفضل أن لا أقوله خشية
أن تنفر منى وتظن انى واهم أو انى أخبط خبط عشواء . أقول أم لا
أقول ؟ لا أعلم ؟ دعنى أفكر ! وأخيراً قد استمتر قرارى على أن أقول
هذا الشىء ، فان كنت حى الضمير صدقتى وشكرتى وربما قبالتنى قبلة
أخوية طاهرة . أما اذا كنت ممن لا ينفع معهم الكلام فانى لا أخسر
شيئاً كبيراً بما سأقوله بعد ما أتعبت نفسى فيما قلته لك . اعلم يا صديقى
انك بعد ان تقوم باحدى الاعمال التى طابتها منك ستشعر بشىء غريب ،
بشعور جديد ، براحة فى ضميرك توحى اليك بأن تعتقد أن خير جزاء
وأن أكبر ، تمام هو تلك الراحة التى تشعر بها عند ما ترى عينك الاطفال
الذين أصلحت حالهم والشيوخ الذين آوتهم ، والمرضى الذين شفيتهم .
عندها تسمى ربتك القديمة ونشانك القديم وتعرف أن الاحسان
هو أعظم رتبة وأكبر نشان وأن الرتب والأوسمة ما هى الا أوهام ما

(سنة ١٩١٧)

يكنزون في بيوتهم القناطير المقنطرة من الذهب والذين اذا مشوا أو
ركبوا قال عنهم الناس « هذا هو الغنى فلان » أنت من هؤلاء أيها الصديق
وأنا لا أطالبك بصرف مالك وتبذيره . كلا وألف مرة كلا . أنا أود أن
يظل مالك في حوزتك ولكني أرجوك أن تتنازل عن بعض ايرادك لمن
يستحقه . بلادك أيها الصديق محتاجة لبعض مالك لينفق في سبيل الخير
أمامك الفقراء يودون أن يجدوا أمامهم مدارس يرسلون اليها أبناءهم بلا
أجر وأمامك الشيوخ الذين أقعدهم المرض والفقر والشيوخوخة عن العمل .
عم في حاجة للمجى يلم شتاتهم ويدفع عنهم ذل السؤال . وأمامك ، اذا سرت
في الطريق على قدميك الأطفال المتشردون الذين باحسانك ينصاح حالهم
فيعودوا بالخير على أمهم . وأمامك المرضى الفقراء فهل لك أن تنشأ لهم
مستشفيات وفي طاقتك أن تفعل ذلك ؟ هذا هو السبيل السوي الذي
تستطيع أن تسير فيه بأقدام ثابتة .

أعرف أيها الصديق ماذا يكون من أمرك اذا فعلت ذلك — على
شريطة أن لا تزور أحداً ممن كنت تزورهم وأن لا تحنى رأسك للذل
ولا تمد رقبتك للرق — أتعرف أيها الصديق ماذا يكون من أمرك ؟
اني سأقول لك شيئاً ستندهش له وأخشى أن لا تصدقني . ولكني
سأقوله على كل حال . اني أوكد لك أيها الصديق ان تلك الرتبة التي
كنت تسعى لها ستسعى هي اليك وان النيشان الذي كنت تفتش
عنه في كل ساعة سيفتش عنك بنفسه . وسوف يقول الناس « ان الرتبة
والنيشان تتشرفان بك بدل أن تتشرف بهما »

تحرّم عليها الطعام وويلاد لا ولادك لأنك تشبههم ضرباً وويلاد خدمك لأنهم يظلمون مدة وهم مهددون بالطرد . ثم ترجع لنفسك وتساءلها لماذا فاز غيرك ولم تفز أنت فلا تهتدى بشيء . ثم تسأل الناس وتعود لزياراتك الى أن يساعدك الحظ وتنال ما تريد . فاذا نلت الرتبة أو النيشان تمشى السرور في نواحيك وهزك الفرح هزة تخشى أن تضر بصحتك . ثم تمر الأيام وتنسى كل ذلك وتنظر الى يمينك والى يسارك فتري الصورة التي رأيتها قديماً ، ترى قوماً آخرين من أصحابك هم أعلامك رتبة أو حازوا نيشاناً لم تحزه أنت فتعود الى شاغلك القديم وتكرر الزيارات والخموع والخضوع ، أى أنك تظل طول حياتك معذباً مكروب النفس حزين القلب فوأسفاه لك ! ومن تلك الحياة المنغصة التي ارتضيها لنفسك .

ولعلك بعد هذا الحديث الطويل توافقني بل تشكرني لأنني أشفق عليك وارثي لحالك . واسمح لي أيضاً أن أقول لك — وان كنت أشك فيما سأقوله — ربما يجول بخاطرِكَ الآن هذا السؤال « اذا ما هو الطريق الذي اذا سرت فيه استراح ضميري وهدأت ثائرة نفسي ؟ » . ما هو هذا الطريق أيها الصديق ؟ سأخبرك عنه واعلم أن من أجل هذا السؤال أكتب اليك هذا الخطاب . أنت لست من العلماء لأطرق معاك باب العلم وأقول « اقرأ وألف واخترع » ، ولست من رجال الصناعة فأقول لك « اعمل في سبيل رواج صناعة بلادك » ، ولست من رجال الأدب فأقول لك « أى كتاب كتبت ؟ » ولست من التجار ولا رجال الحكومة ولا ولا ولكنك من الأغنياء . أنت من الرجال الذين

رفعة المقام . أظنك توافقنى أيضا على ذلك . وأظنك أيضا تقضى العام كله وأنت تزور من له صلة بمن في يده تدبير الأمور . تزوره كلما سنحت لك الفرصة فتجاس بين يديه وقد جاس الكبر بين عينيه وتمشى الذل فى شرايينك فأحنيت رأسك وتذلت فى السؤال والكلام والسلام . ثم تعود الى بيتك وتجلس على كرسيك جلسة الكبرياء والعظمة وتفكر فيما فعلت .

انى أقسم بكل عزيز عندى فوق الأرض وتحت السماء أن ضميرك لا يلبث أن يوبخك وأنت ترى فيما فعلت ما يحمر له وجهك وترتعد فرائصك خجلا . ولكنك تنظر الى يمينك فترى صديقك فلان حائراً لرتبة باشا وانت لم تحز بعد الا رتبة بيك ثم تنظر لشمالك فترى صديقك الآخر حاز نيشانا وصدرك ما زال خالياً من تلك الأوسمة الجميلة . ترى ذلك بعينك فيزيل احمرار وجهك ويحل محله الاصفرار ، اصفرار منشأه الغيظ والحسد ، وتظل ركبتك ترتعدان ، ارتعاداً ليس منشأه الخجل بل الغضب والحقد . فتتسى ما أتت به ضميرك وتقوم من مكانك وتركب عربتك لزيارة رجل آخر ممن يتصلون بأولى الحل والعقد . وتظل العام كله وأنت لا يقر لك قرار . فاذا دنا الميعاد وجاء الوقت الذى يتكرمون فيه على الناس بالرتب والأوسمة اكثر من زيارتك وقضيت لياليك وأنت لا تنام ، يدينك الأمل ساعة ثم لا يلبث أن يبعثك اليأس . ثم ماذا ؟ تظهر النتيجة فترى نفسك قد سقطت فى الامتحان . ويلاه وألف مرة ويلاه . ويلاه لنفسك لأنك لم تنل غايتك ويلاه لزوجتك لأنك

واحدة . أظنك لا تنكر يا صديق أنك تقضى العام كله ما عدا عدة أيام قلائل وأنت مستطار الفؤاد حزين النفس ، تقوم مبكراً من نومك وفي رأسك شاغل كبير يقطع عليك أحلامك ويصور لك الحياة في صورة قبيحة لا ترضاها لنفسك . أليس الأمر كذلك ؟ ذلك الشاغل هو قيمتك في أعين الناس . أنت تود أن تكون قيمتك كبيرة جداً ، تريد أن يكون مقامك بين نظرائك أكبر مقام تسمح به الهيئة الاجتماعية في مصر ! ولكنك مع الأسف تجهل ماهية القيمة الانسانية بل ربما كنت تعرف ماهيتها ولكنك تتغافل عنها لانك لا تجد فيها الطريق السوى الذى تسوغ لك كفاءتك السيرفيه . لهذا تسير في طريق آخر آملاً أن تصل به الى العرش الذى تطمح نفسك لارتقائه . وما تبيح هذا الا من جهلك لانك بلا نزاع لم تنظر للحياة بمنظار الحقيقة ولم تلبس بعد لباس الحقيقة ولم تشرب أيضاً من ينبوعها الطاهر . وليس الذنب ذنبك أيها الصديق العزيز لانك نشأت في جو لم تنل فيه من العلوم والآداب قسطاً وافراً فانت بطبيعتك جاهل ، لهذا ظل قلبك مقلداً أمم نور الحقيقة ، ذلك النور الذى يتغلغل في حنايا القلوب فيضيء ظلماتها القائمة . اذاً أنت من الحزب المصرى الذى يرى قيمة الرجل بالرتبة التى ينالها أو فى النيشان الذى يحلى به صدره . وياليتته يرى ذلك حسب بل يمتد نظره الى قاع تلك الهاوية فيرى أن ليس من العار على الرجل أن يفعل كل ما فى وسعه وأن يبرر كل واسطة للوصول لغايته . فأنت اذاً من هذا الصنف ، أى أنك تود رفعة المقام فى الحياة دون أن تفعل شيئاً يذكر تستحق عليه

الغالية وتأكل الطعام الفاخر ، والتي تجد في التبخر ، اذا سارت ، باباً
جديداً من أبواب الظهور بين الناس ، والتي اذا زارت لا ترور الامن له
صلة بكبار رجال الحكومة ولهم تحنى ظهورها . وتمد للرق رقبتها ، أما
لغيرهم فتظهر بمظهر المتعجرف الشاخب الذى اذا جلس التحف بجلباب الكبير
واذا سار امتطى ظهر التيه .

إما أن تكون هذا الرجل واما أن تكون الرجل الآخر ، أى من
أعيان الريف الذين اذا أكلوا فى منازلهم اكتبوا بالعيش والفتة واذا
زارهم المأمور ذبحوا له الخروف يتلوه الخروف ، والذين ينامون فى غرفة
ضيقة ويلتحفون بملابسهم ولكنهم يعدون فى قصرهم لرجل الحكومة
غرفة جميلة وسريراً حريراً ولا يستنكفون من أن يقفوا فى خدمته وقفة
الخاضع الدليل ولكنهم يستنكفون أن يسهحوا لزوجاتهم وأولادهم أن
يأكلوا معهم .

إما أن تكون الرجل الأول أو الثانى . وسيان عندى أن تكون أحد
الرجلين لأن نفسيكما نشأت من نبع واحد ، فأتما شخص واحد . دع
عنك فروق المعيشة فما هى الا نتيجة الجو الذى عشتما فيه . ولا يهمنى من
أمركما إلا شئ واحد هو خضوعكما لمن فى يده القوة واستنكافكما من
معاشرة الآخرين .

الآن قد انتهيت من وصفك ويخيل لى أنك توافقنى عليه لأنك
عاهدتى قبل محادثتك بتنازلك عن كبريائك وباعتقادك أنى أصارك
القول . والآن فلنتحدث قليلاً لأعلمك لماذا أخاطبك فى العام مرة

أعرف السبب وسأذكره اليك فربما وجدت فيه عزاء نفسك
المضطربة وراحة ضميرك الهائج . ولكنى لا أريد أن تتكلم سويًا إلا
إذا اعتقدت انى صريح فيما أقول وأنه لا يجهلنى على مناقشتك إلا أمر
واحد هو حبي للناس . ومن هذا الحب تولدت فى قلبى عاطفة غريبة
نحوك ، عاطفة تكونت من عصير الشفقة والرثاء . وما أجل الصراحة
التي يتساقط من نورها الواضح شعاع الشفقة والرثاء .

أنت بلا شك لا تغضب لأنى صريح ولكنى أخشى أن يسوءك
رثائى وشفقتى . لهذا أود من صميم قلبى أن تتنازل عن كبرياءك
عفوًا أيها الصديق العزيز ! عفواً ! لقد أخطأت مرة ثانية وقلت انك من
المتكبرين المتغطرسين . ولكن ما طلذى يضرك ، وهل يسوءك أن أحفك
بهذه الصفة وأنت ممن يجدون فى الكبرياء ولاهية لذة لا تقدر أن أظن اذا
انى لم أعضبك مرة ثانية وانى لم أخطىء بالمرّة . فسمح لى اذاً أن أقول
لك انى أود من صميم قلبى أن تتنازل عن كبرياءك فى غضون تلك
الساعة الزمانية التي نود أن نتحدث فيها سويًا وأن لا يسوءك أنى أشفق
عليك وأرثى لحالك .

اذا فلنبداً الحديث على الشروط الماضية . وحديثى معك يبدأ هكذا:
أنت أيها الصديق أحد رجائين ، فاما أن نكون من أعيان القاهرة ،
تلك الجماعة التي تسكن القصور الشائخة تحوطها الحدائق الغناء ، والتي
تركب السيارات ذوات المنافيخ المزعجة ، والتي اذا تكلمت تأنت فى
كلامها ووزنت كل حرف بميزان الأبهة والكبرياء ، والتي تلبس الملابس

العاشق المفتون

بالرتب والنياشين

(من رسائل مجبور افندرى) (١)

خطاب من كاتب الى رجل لا يعرفه

يا صديق العزيز .

اسمح لى أن أناديك بالصديق العزيز مرة فى كل عام وان كنت لم
أسعد فى حياتى الماضيه ولن أسعد فى حياتى المقبلة بمعرفتك ، ومعرفتك أمر
هام جداً ، بل هى شرف عظيم لسكل من يجد فى قربك سعادة لنفسه وراحة
لضميره المعذب . ولكنى لا أكتمك - وان كانت صراحتى تؤلمك -
إنى لا أود وان أود أن تسمح لى الظروف بمعرفتك بل برؤياك

لماذا إذاً أخاطبك فى العام مرة واحدة ؟ لماذا أكتب اليك
هذا الخطاب وبينى وبينك مسافة ما بين الارض والسماء ، مسافة طويلة
جداً ، ولكنها لا توجد إلا بين نفسى ونفسك ! ما جسمانا قريبان
وربما التظلم فى الطريق مرة واحدة لانا نعيش سوياً على صعيد
واحد ، هو مصر . اذاً لماذا أكتب اليك ؟ انى لا أسائل نفسى لأننى

(١) كان فى عزم الفقيده أن يكتب سلسلة مقالات تحت هذا العنوان

ولكن لم يتم الا هذه القطعة

لم نزل بضة البشرية عليها . مسحة . من الجمال بالرغم من الخمسة والأربعين
عاما التي قضتها وكان محبوب شابا يهيج شهوته الخادرة أى باعث
صغير . فأطال النظر اليها وأطالت النظر اليه وسمع أنفاسها تتردد
في صدرها وهى تنظر خلسة شعره الاسود المسدلة على جبينه ثم قبلته
في فمه فقبلها في فمها وتعانقا وتلاصق جسمها بجسمه وأحس بنهديها الذابلين
تدلك بهما صدره

ثم غابا عن الوجود

..

لقد كان طفلا جميلا فكانت تحبه مرييته كأُم حنون والآن صار
شاباً جميلاً فأحبه مرييته كعشيقة ضرم الحب أنفاسها .
فيا للعجب مما تراه العيون في ظلام هذه الحياة ما

(سنة ١٩١٧)

تبتسم له . ولبت يحادثها ويشير لها الى أن رأى خيال مر بيته في الغرفة الأخرى فكف عن محادثة حبيبته وأشار لها أن تبتعد فابتعدت وجلس وحيداً ينتظر الرقيب

فدخات مر بيته بعد عدة دقائق وقد استشاط غضباً وقالت بصوت متهدج

— هذه هي المرة الأخيرة فان عدت لفاعتاك أخبرت والدك بكل

ما فعلته

— وأى باعث يستفز غضبك وأنا لم أجن ذنباً يستحق اللوم ؟
— أى باعث يستفز غضبي ! انك حقاً ساذج لا تعرف الى أى هوة أنت مسوق . وأخشى أن تدور الدائرة عليك

— انى أكره هذا الحديث

— أتأبى استماع نصائحي ؟

— انها لا تصلح الآن بعد أن كللتنى الرجولة

— يالك من شاب أبله

سمع محبوب هذه الكلمة فقام غاضباً وهم أن يغادر الغرفة فأمسكت به مر بيته ولفّت ذراعها على خصره ومنعته من الخروج ففهم بالافلات منها فامس جسمه جسمها فلم يجد بأساً في البقاء فلف ساعده أيضاً على خصرها متظاهراً بالهجوم ليدافع عن نفسه ووقع نظره على وجهها فاذا به يرى صورة غريبة شهوانية لم يرها من قبل في ذلك الوجه الذى عرفه من يوم أن كان (محبوب) على الوسائد . فوقف هنيهة ينظر اليها وتنظر اليه وكانت

- إني حريص على أدائها فدعى اللوم جانباً
— يا لك من غر أحمق
— انى أكره أن يسبني أحد
— ولسكنك ترتكب المعاصى على مرأى من الناس . ألا تخشى
أن أخبر أباك بما تفعل
— أئى لم يخرج من غرفته بعد فهل لك أن تذهبي وتقصى عليه ذلك
— سأفعل

وخرجت وهى غاضبة وخاف محجوب أن تخبر أباها بهواه . فلما
دنا وقت العشاء أتى أن يأكل مع أبيه فدعى المرض ونام وهو جوعان .
ثم مضت أيام وهو يسأل نفسه عن سر مراقبة مرييته له فلا يمتدى
إلى شىء . انه لم يلاحظ شيئاً فى حركاتها ولا فى سكناتها فعلام لا تتركه
حراً يفعل ما يشاء وليس فيما يفعل ما يدعو للخوف والحذر . وعلام
تغار من هذه الفتاة التى لم تبلغ الخامسة عشر وهى امرأة آرت على الخامسة
والأربعين . هذا سر غامض يدعو للتفكير .

خرج محجوب فى يوم من أيام الجمعة وقابل رفقة من أصحابه لم
مهم الميسر وخسر ما فى جيبه فرجع البيت وهو يعرض بنان الندم .
وسأل عن أبيه فقيل له انه خرج وعن والدته فقيل له أنها ستناول طعام
العشاء عند خالته . فدخل غرفته وجلس أمام نافذته وأمسك برواية من
الروايات الحديثة ليقتل بها الوقت . وبمد هنيئة رأى حبيبته فى النافذة

رجل تاجر حسن السيرة له زوجة وبنات تبلغ الخامسة عشر وولد يبلغ العشرين يساعده في ادارة حانوته .

وكانت تشتغل زوجته طول نهارها في أعمالها المنزلية وتساعدها ابنتها من وقت لآخر . واذا ما خلت البنت بنفسها جاست أمام النافذة التي تطل على غرفة محجوب تنتظر إيايه من المدرسة . فكان اذا ما دخل غرفته أشارت اليه بالسلام ويتدآن في المغازلة . ففى ذات يوم دخلت عليه مربيته فوجدته يشير بيمناه للفتاة فنظرت اليه نظرة ربية وامتعاض ثم تركته وخرجت من الغرفة دون ان تنبس بكلمة . ولم يعر محجوب ذلك الحادث اهتماماً وانقضى اليوم على صفاء . ولكنه لاحظ بعد ذلك ان مربيته تكثر من الدخول في غرفته ساعة اياه من المدرسة كأنها تود أن تمنعه عن محادثة الفتاة فسأه ذلك منها وود أن تكف عن مراقبته فعمد الى حيلة ناجمة فكان اذا عاد من المدرسة أحكم اقفال باب غرفته بالمفتاح ليفعل ما يوحيه اليه هواه

واهدت مربيته لسر حيلته فدقت على بابه بيدها ففتحها لها بعد ان أشار لفتاته أن تتوارى . ودخلت المربية ووجدت نافذة الفتاة خالية ذفابتسمت ابتسامة المهازى وقالت له

— لقد طار العصفور من القفص

— وماذا تقصدين من ذلك؟

— انك يا ولدى تسمى لنفسك . أنسيت أن الحب يشغل المرء عن

اداء واجباته .

له مربية تبلغ من العمر الخامسة والأربعين رتبة صغيراً من يوم أن بلغ الخامسة وكان عمرها في ذلك العيد خمسا وعشرين عاماً وكانت قد طأقت من زوجها وهو رجل كان معاونا في إحدى زراعات الدومين . ومحبوب يحب مربيته ولكنه لا يخشاها . يهزأ منها إذا أغضبتة ثم لا يلبث أن يسترضيها فتنسى اساءته وتقبله وتضمه لصدرها ضاحكة مستبشرة .

القد بلغ محبوب العشرين ولكنه لا ينس أيام كانت تضربه مربيته وهو طفل اذا هفاه فوة أو ارتكب اثماً .

أينسى يوم أن تساق شجرة النبق في الحديقة وكاد أن يسقط على الأرض . لقد أمسكت به مربيته والعصا في ينها تقرعه بها ناهية إياه أن لا يعود لما فعل . وهل ينسى يوم ان مكث في الفناء يلعب ويمرح وكان الوقت ظهراً فتهاه السقا عم عبد الرزاق عن ذلك فشتمه ورفسه برجله الصغيرة . انه لا ينسى ذلك اليوم وقد لطمته مربيته على وجهه وهى تؤنبه على ما فعل . وهل ينسى يوم ان التقط من الأرض بقية سيجارة كان يدخنها أبوه وأراد أن يستنشق الدخان فرأته مربيته من النافذة ونادت به فهم بالهرب وأبى الدخول للمنزل الى أن حملة الخصى وأنى به إليها لينال جزاءه ؟ انه لا ينسى كل ذلك . وان للطفولة حوادث تبقى مرسومة في رؤوس الشبان والرجال الى الأبد

وكان القصر الذى يسكن فيه محبوب وعائلته فى حي من الأحياء الوطنية ذوات الشوارع الضيقة . وكانت تحوطه عدة بيوت صغيرة لأقوام من بيثة ليست بالغنية ولا بالفقيرة . وسكن أمام قصر عجيب

لهذا النعيم الحيوى وقال لنفسه بعد أن فكر قليلا فيما رآه وفيما سمعه (ربى إنك خلقت هذا النعيم للمحبين ولعمري ما تلك الجنة الحب) ورتل آيات من القرآن ودخل الى منزله وقد عات شفتيه ابتسامة تعبر عن هناؤه وغبطته .

..

مضى على هذا الحادث شهر من الزمان أقيمت في نهايته حفلة قران الفتاة الغنية بالشاب الفقير وما كانت تلك الحفلة الا رمز انتصار الحب الطاهر على كل شيء
(اكتوبر سنة ١٩١٧)

كان طفلا فصار شابا

أحمد محبوب يبالغ من العمر عشرين عاما أقنى الأنف أسود العينين مقرون الحاجبين وضاح الطاعة جميل الصورة طويل القوام اذا رآته النساء نظرت اليه بطرف خفي واذا رأى النساء مشى مشية التيه والدلال . أبوه من أغنياء القاهرة يملك ألف فدان من أجود أطيان الوجه البحرى والقبلى وأمه من عائلة عريقة فى الحسب والنسب لا غبار عليها . رباه أبوه تربية مصرية بحتة فنشأ يخاف أباه ويخشاه ولا يجسر على محادثته . واختلط بفتة وضيعة تعلم منها لعب الميسر وولع به ولوعاً أنساها كل لذة فى العالم وكانت

خلقت هذا النعيم؟) ثم تذكر أيام كان شاباً يخفق قلبه لرؤية الغيد فأغض عينيه ورتل آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ثم فتح أجنانه وقال (ما تلك إلا جنة . . .) ولم يدرك كلمة يتم بها جملة فوقه وهو حائر الطرف وإذا به يرى شبحين يسيران نحوه فاخفى وراء شجرة كبيرة تحجب جسمه عن الناظرين ودق قلبه دقات متتابعة وقال لنفسه (من هو هذا الغريب الذي يحسر على التنزه في حديقتي قبل منتصف الليل)

واقترب الشبحان منه فنفرس فيهما فاذا به يرى ابنته تسير بجوار شاب جميل الصورة وقد أسندت رأسها على كتفه . عرف البك الشاب بعد أن نفرس في وجهه وقال لنفسه (هذا هو الشاب الفقير الذي كان يسكن بجوارنا أيام كنا نسكن بالحمزاوي) ووقف الشبحان ومحدّثاً على مسمع منه ، فقال الفتى

— أنا مرغم على تركك يا حبيبتي واني أقسم لك أني سأبقى على عهد حي الطاهر الشريف الى أن يضم عظامي القبر .
فأجابته الفتاة :

— وأنا أقسم لك على ذلك

وقبلها الفتى في جهتها وسار معها متخذاً وجهة السور ليمود أدرجه الى منزله .

خرج البك من غيباه وهو ساكن صامت ومكث هنيهة يفكر ثم نظر للسماء والنهر والأشجار ، لهذا الجمال الطبيعي ، لهذه الجنة الدنيوية ،

هادئة ساكنة أيضاً ولكنها كانت تتألم خفية لآلام ابتها . أما الفتاة فكانت تبكي أثناء ليلها وأطراف نهارها وتتوجع سرّاً دون أن تبوح لأحد بآلامها . لقد كان لها بارق من المنى كذب برقه وعارض من الآمال أخلف ودقه فسلام على ماضى هنائها وسلام على رجائها وآالها

وفي ذات ليلة تعشى البك كعادته وشرب فنجانين من القهوة ثم دخن سيجارة وابتدأ في صلاة العشاء ولم يفارق سجادته الا بعد ساعتين قرأ فيهما أربعين ورداً ثم قام وتمشى في المنزل قليلا ودخل غرفة نومه لينام وحاول النوم ساعة من الزمان فلم يفتح فخرج الى الحديقة دون أن يعلم بخروجه أحد .

تمشى البك في الحديقة ونظر الى السماء نظرة ابهال وخضوع فوجد القمر لامع الصفحة والنجوم زاهية فقال مخاطباً ربه (ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟) ثم نظر للأشجار فوجدها تمايل يمنة ويسرة وقد هبّ نسيم عليل يحمل اليه شذى الورد وعبق الياسمين فقال مخاطباً ربه (ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟) ونظر للنهر فوجد أشعة القمر الفضية تلاعب أمواج النيل ورأى قارباً يحمل قوما يغنون ويضحكون وسمع فى تلك الآونة نشيد طائر يغنى فى جوف الليل البهيم فقال مخاطباً ربه (ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟) ثم جاس على كرسي ونظر لكل شىء ، لهذه الصورة الطبيعية التى رسمتها يد الخالق على صفحة الوجود ، لهذا الجمال الذى يكشف الستار عن عظمة الخالق وقوته وشفقته وحنوه ، لهذه الجنة التى هى مهبط الحب وخاوة اللذة والنعيم فقال مخاطباً ربه (ربى لمن

على كتف أمها ولم تشأ الأم أن ترهق الفتاة بالاستسئلة فاكتمت بما عرفت .

..

وعاد محمد بك الى منزله وخت به زوجته ورجته أن يؤخر هذا الزواج المشؤوم فأصر على عناده فلم تجرد الأم باباً من أبواب الرجاء والاستعطاف الا ووجته ولكن البك عزّ عليه أن يقهر في هذا الميدان وقد جهل أن خذلانه أكثر شرفاً من انتصاره . ونظر الى زوجته وقال — لعلها تهوى فتى تود الاقتران به

فقالت الأم وهى غاضبة

— واذا كان الأمر كذلك فأى ضرر يلحق بنا

— أى ضرر يلحق بنا ! انك تلعين بالنار أيتها المرأة . انى أحرم

على هذه الفتاة ترى نور السماء . سوف أعمل على سجنها وسوف تعيش راهبة ما دمت حياً .

وخرج من الغرفة وهو كالجنون ونادى فتاته فأنته ملبية طائعة

فابتدرها بالشم والسباب وكاد أن يضربها لولا وقوف زوجته فى وجهه . وغادر البك المنزل وهو هائم على وجهه .

..

مضى على هذا الحادث شهران لم يحدث فيها تى جديد . وخيم

السكون على هذا المنزل فكان البك هادئاً ساكناً لا يلفظ بكلمة أشير للموضوع القديم ولكن نار الغيظ كانت تتأجج فى قلبه وكانت زوجته

فاسدة . وأصر على زواج ابنته بالفتى الاول وأبلغها ذلك الحكم الصارم
بشدة لم تعهدا فيه من قبل قابلتها بالصمت والبكاء

..

لم يرق في عين الأم أن ترى ابنتها تبكى وتنوح وهالها أن ينبو الفراش
عن جسم تلك الفتاة الخرود وأن يطيش سهمها ويخيب رجاؤها وتقف
آمالها على شفا اليأس . خات الأم بابنتها في صبيحة يوم من الأيام بعد
أن خرج والدها للقاء أحد أصحابه وحادثتها في شأن زواجها بعد أن أقسمت
لها أنها ستكون ساعدها الأقوى وعضدها أمام تعسف أبيها وظلمه فبكت
الفتاة وأنت وجئت أمام أمها تسألها الرحمة والمعونة .

علام تبكى هذه الفتاة ؟ ولماذا تستعطف ؟ وأى باعث يهيج في قلبها
تلك النار السكامنة ؟ كل فتاة تحب الزواج وتبحث عن شاب جميل وغنى
والشاب الذى انتخبه لها أبوها حسن الأخلاق كريم العنصر باذخ الشرف
منيع الساحة جميل الصورة كثير المال فلماذا تأبى الزواج به ؟ لعل في
الامر سرّاً آخر !

هذا ما كانت تقوله الام لنفسها وهى تمسح دموع ابنتها ولما هدأت
الفتاة قليلا قالت لها بصوت تمازجه الشفقة والحنو . « إني أعدك يا ابنتى
أن لا تتزوجى هذا الشاب بل أعدك أن تتزوجى الشاب الذى تصبو له
نفسك . فمن يكون هذا الشاب ! »

فحكست الفتاة رأسها وابتسمت ابتسامة باحت لآهها يسرها الدفين
فقبلتها أمها وقالت (ومن هو ؟) فلازمت الفتاة الصمت وأندت رأسها

غناء تمايل أشجارها كلما داعبها النسيم وتسمع فيها موسيقى الطيور
ممزوجة بألحان أمواج النيل . تلك موسيقى جميلة هادئة كأنها صوت
الحب في آذان العاشق اليائس . وإذا ظهر الشفق خاف النخيل وارتدت
السماء ثوبها الأحمر قبيل الغروب خيل للناظر ان هذا الأحمر هو
دموع الليل يودع النهار . وإذا بزغ القمر في القبة الزرقاء في ليلة من ليالي
الصيف ود صاحب البيت أن لا يفارق الحديقة حتى مطلع الفجر . هذا هناء
كبير جاد به الله على هذا الشيخ الصالح مكافأة له على عبادته وصلاحه .
فهو به قرير العين مثاوج الفؤاد تلوح عليه أرحمة السرور كلما ذكر الله
ويلمع في غرته نور البشر كلما صلى على نبيه .

لم يرزق محمد بك عبد القادر إلا بفتاة جميلة الصورة حلوة الحديث
غضة العينين كأنها نرجسة جميلة في حديقة الشعر لا يقف مامها إلا
كل شاعر كبير الخيال بديع التصوير ولقد بلغت تلك الفتاة العشرين
منذ عدة أيام وفكر أبوها كثيراً في أمر زواجها وحادث زوجته في هذا
الشأن مراراً وعدد لها أسماء كثيرة من الشبان الأغنياء المتعلمين الذين
يتطعمون لهذا الزواج المبارك . واتفقا على شاب وجدا فيه صالحتهما
المنشودة وحادثت الأم ابنتها عنه فأبدت البنت نفوراً من ذلك الشاب
فأخبرت الأم زوجها بما كان بينها وبين ابنتها فاستاءت تلك النتيجة ولكنه
إختار شاباً آخر لم ترفضه الفتاة بل رفضت الزواج كابية . وعز على أبيها
ذلك الرفض وقامت بنفسه قيامة عصيان البنت لأوامر أبيها فهدها ما
شاء وشاء تعصبه وتفانيه في حب كل عقيدة قديمة صالحة كانت أو

ربي لمن خلقت هذا النعيم؟

(هذه القصة لموبسان الكاتب الفرنسي الشهير بدّل المعرب أشخاصها وزمانها ومكانها وموضوعها ممصراً كل شيء فيها فلم يبق من الأصل إلا روح الكاتب واتبع المعرب في ذلك خطة تولستوى في قصصه التي نقلها عن موبسان)

..

محمد بك عبد القادر رجل في الخامسة والخمسين من عمره ألقى الأنف أسود العينين مقرون الحاجبين يقص شاربه ويعفو عن لحيته ، إن مشى يسير الهويناء وان جلس يتربع على كرسيه بعد ان يخلع خفيه ، يرتدى الرذنجوت ولا يجب سواها من الملابس الافرنجية لانها أقربها شكلاً لمظاهر الصلاح والتقوى . مسلم في كل أقواله وأفعاله يذب عن الدين كلما تعرض له ولمحد لا ينقى الله في دينه ولا دنياه ، ويدافع عن حجاب المرأة في كل مجلس يتناقش فيه أصحاب مذهب السفر مع المحافظين على العوائد والتقاليد القديمة . وان رأى شاباً جالساً في حان يتعاطى كأساً من الخمر وقف في مكانه كالمصعوق ثم بصق على الأرض ومشى في سبيله وهو يرتل آيات القرآن . له في بنك الكريدى ليونيه عشرون ألفاً من الأصفر الزناب لا يتعاطى عنها فائدة متبعاً قوله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا) .

يسكن محمد بك في قصر جميل على ضفاف النيل تحوطه حديقة

الكأس المثلج بين شفثيه وكأنه امتلاك العالم بأجمعه . وما لبث قليلا حتى ضحك الحاضرون ضحكة استهزاء وسخرية وكيف لا يهزؤون به ولا يسخرون منه وهو ينفخ في صفارة ثم يشترها بماله فألقى على بالصفارة في وجوههم وسار على مهل وهم يصفقون خلفه . وابتعد عنهم فلم يشاؤوا أن يتبعوه خشية أن يفارقوا نهاية العطفة حيث يكثر الباعة فسار اليتيم الهوينيا الى أن وصل للشجرة الكبيرة وهناك وقف هنيهة كأنه يفكر ثم جالس في ظل الشجرة وقد أسند ظهره الى ساقها ونظر جهة اليمين وجهة الشمال فوجد العطفة قفرة كقلبه فوضع رأسه بين يديه وبكى وهو يقول:

(أماء . أماء . أبتاد) بينما كانت الأطفال تغنى في الشارع الكبير

...

ثم أفاق بعد هنيهة فوجد الكلب الذي ألقى بقطعة الخاوى اليه جالسا عند رأسه ياحس دموعه بلسانه الظامىء

(أغسطس سنة ١٩١٧)

نظر اليه الخصى نظرة امتهان وامتعاض ففقهه محمود ضاحكا حتى
استلفت انظار المارة وبصق الخصى على الأرض وكان هذا أكبر مجهود
يقدر على فعله لاهانة محمود ثم صاح أحد الاطفال

— المصارعة المصارعة خير مما نفعل ومن يتفوق على نظيره يأخذ
صفارته مكافأة له على قوته وشجاعته

فقال آخر : — وليكن محمود السبع حكما بيننا

فقال محمود : — بلا شك

وقال رابع : — وليكن علياً (اليتيم) لا يملك صفارة .

فصاح الطفل الذي رمى لعلى بقطعة الحلوى

— سأصارعه فان تفوق على أعطيته صفارتي وان تفوقت عليه

صفعته على وجهه امام الجميع

فصفق الاطفال استحساناً وقطب على وجهه وشمس عن ساعده

فكنت ترى عند التهام جسمه بجسم رفيقه صورة غريبة على وجه كل

واحد منهما . الاول يدافع عن صفارته والثاني يدافع عن شرفه والفرق

بين الصفارة والشرف كبير وتغلب على على رفيقه وألقى به على الأرض

وهو ممسك بتلابيبه وفرق بينهما الرفاق فقام على وهو رافع الرأس

وقال : — أين الصفارة ؟

فقال محمود السبع المغلوب : — اعطه الصفارة ثم أدار وجهه عن الاطفال

وذهب للقاء صاحب له . فأخرج المغلوب صفارته من جيبه بعد تردد

ومد يده بها الى عدوه فأخذها على ووضعها في فمه كما يضع الظمان حافة

يقبلون أطراف جبهته . أما الشيخ فهو رئيس الطريقة النقشبندية وهي
طريقة تحتم على أشياعها أن يذكر كل واحد منهم لفظ الجلالة مرة في
كل عشرة دقائق . توفي شيخها القديم منذ خمسمائة سنة بعد أن نقشت
التقوى على صدره اسم الجلالة ولهذا سميت طريقته باسم النقشبندية .
ثم مر بأع الحلوى فهرعت إليه الأطفال وجرى معهم اليتيم ولكنه
كان في مؤخرتهم فمد إليه أحدهم قطعة من الحلوى قائلاً
— خذ

فأشار على برأسه رافضاً واستكبر الآخر منه ذلك فألقى بقطعة
الحلوى على الأرض فالتقطها اليتيم وأعطها لـكـاب جائع كان يبصب
له بـذنبه . وغادر اليتيم رفيقه وقد ارتسمت على وجهه صورة البؤس ممزوجة
بصورة عزة النفس وخلق برفقائه وهو وحيد القلب وان كان كثير الرفقاء
أما رفيقه الذي أعطاه قطعة الحلوى فقد مشى وهو بهز كتفيه ويصعر خده
أنفة واستكباراً .

ثم حانت التفاتة من الأطفال الى الشارع الكبير فوجدوا محموداً
(الفتوة) قادماً عليهم فصاحوا جميعاً (محمود السبع حضر . محمود السبع
حضر) وصفقوا بأيديهم فابتسم لهم محمود وكان (فتوة) عطفهم وسار
في طريقه على مهل ساجباً اذبال الخيلاء وماوحاً بعصاته في الهواء كما يلوخ
الفرس بسيفه وكان ضخم الجثة قوى المضلات له في المشاجرات القسط
الأوفر والفوز الأكبر مشهور بين فتوات المطقات الأخرى ولذا لقب
(بمحمود السبع)

يشبه مسطحها المربع . ألهب السائق جواده وهو يغنى أنشودة بلدية جميلة (أسمر سمر مر صغير السن لوعنى) ولما اقترب من الخصى قرأه السلام بصوت جهورى فرد عليه الخصى السلام من أطراف شفتيه وهز رأسه كأنه يأسف على تدهور أخلاق السوقة . وعادت الاطفال فى تلك الساعة من الشارع الكبير الى العطفة وهى ماجأهم الوحيد وفى يد كل واحد منهم صفارة اشتراها من بائع يجول فى الطرق . وابتدأوا ينفخون فى صفافيرهم ويغنون وتلك لعمري مؤسيقى تبعث السرور فى القلوب وإن كانت غير شجية لتنافر نغماتها . وقف اليتيم معهم وقد أشجته تلك الموسيقى الجميلة واقترب من رفقاءه وهم يرقصون ثم رقص معهم اذ لم يكن فى وسعه أن يفعل غير ذلك . فنظر إليه أكبرهم سناً وقال له بملء فيه :

— أين رداؤك الجديد يا على ؟

فلم يجب اليتيم وضحك الآخرون .

وقال ثان : — أين صفارتك أيها الصديق ؟

وقال ثالث : — كفاكم رقصاً ولنصفر جميعنا . ليرقص من ليست

معه صفارة

ولكن اليتيم لم يكف عن الرقص وقد عزّ عليه أن لا يترنح معهم وضرب صفحاً عما سمعه كأن لم يعرض به أحد .

وفى تلك الساعة مر استاذ قصير القامة طويل اللحية يسير الهويناً فى طريقه وهو يداعب لحيته بيده اليسرى ومسبحته بيده اليمنى . فهرعت الأبناء للقاءه وهم الخصى واقفاً ثم مشى وقبل يده بينما كان الآخرون

ويبتسم كأنه يسألهم السماح له بمشاركته اياهم سرور العيد وايس في ذلك
بأس عليهم وهو طفل مثلهم يبكي اذا ألم به ضر ويضحك إن نال ما تصبو
اليه نفسه وأتى له أن ينال بغيته وهو يتيم توفيت أمه بعد ولادته بخمس
سنوات ومات أبوه بعد وفاتها بعامين فعاله عمه وأين حنو زوجة العم من
حنو الام . متى الاطفال الهويناشم غادروا العطفة وتواعدوا على العدو
في الشارع الكبير وجروا فيه أشواطاً عديدة فسقط أحدهم على الارض
فأسرع إليه رفقاؤه وهم يضحكون كما تغرد المصافير وعاونوه على النهوض
من سقطته فقام وهو كالح الوجه كاسف البال وقد جال الدمع في عينيه وانكبه
لم ينس أن اليوم عيد وأن البكاء محرم فيه وأن السرور فرض فما لبث أن
نسى سقطته وتناسى آلامه وجرى خلفهم الى حيث كانوا يقصدون . أما
اليتيم فلم ينس آلام نفسه تلك الآلام القاتلة التي كانت تدب في جسمه
فتطفئ نوره وتذهب بجماله وروائه .

ثم غادر الاطفال الشارع الكبير ومشوا في العطفة وهم يضحكون
وينشدون الاناشيد الصبائية الى أن وصلوا للشجرة الكبيرة وهناك
صاح أحدهم :

— لقد ابتعدنا عن الشارع الكبير وهناك تمر الباعة فهيا بنا نمود
من حيث أتينا وتسابقوا وقد علا صياحهم في الفضاء

ومرت في الشارع الكبير في تلك الساعة عربة كارو وقد ركب
عليها سائقها وهو شاب يشبه جسمه المكعب له رأس لها أربع أركان

السميك الذى يقف في وجه المارة ليمنعهم من المسير وجدت شجرة كبيرة يتنمى ظلها كل من تعب وتلك الانضاء . أما اذا أسرعت في سيرك خشيت أن تعثر في هاوية صغيرة أو تل لا يزيد ارتفاعه عن عشرة سنتيمترات أو في القاذورات التى تلتقي بها أيدي المارة بلاخوف ولا حذر . أما القصر فهو لأحد البشوات الذين أبوا أن يهجرُوا الحى الذى نشأ فيه أجدادهم . وهو قصر كما قلنا عظيم يجلس على بابهِ الخصى واضعاً رجلاً على رجل وممسكاً بمسبحة يستعين بها على قتل الوقت حتى لا يشعر بسأم ولا ملل . وهو شيخ فى الخامسة والخمسين من عمره له شفاه تشبهه قطع (البفتيك) التى تقدم لك فى مطاعم العاصمة وعينان يزداد احمرارهما كلما (أخذته الجلالة) فنطق باسم الله العظيم وأنف أفتس كأنه صنفعة وجدت فى وجه الخصى منبتاً حسناً . وكان طويل القامة ضخم الجثة اذا مشى اهتز كما يهتز الفيل

..

نحن فى اليوم الأول من أيام العيد والناس فى هرج ومرج والاطفال يلعبون فى الشارع وقد أمسكوا بالأعيبهم وارتدوا ملابسهم الجديدة وتساهروا وعم يضحكون ويقفزون . والآباء انشروا صدورهم ومشوا فى الشارع وهم يقولون بعضهم لبعض (كل عام وأتم بخير) . وكان بين الأطفال طفل نحيل الجسم أصفر الوجه ينظر لرفقائه نظرة تعبر عن غبطة لهم وعن رثائه لنفسه حرمانه من سرورهم وسعادتهم . وكان خجولاً من لباسه القذر وأقدامه الحافية . يقف بجوارهم ثم يضع يديه خلف ظهره

القهوة وهي جادة في قولها يذهب عن وجهها ذلك الجمال الساحر والدلال
القاتل . يشفع ابتسامها الجميل في ضعف صوتها

...

انتهى الغناء وخرجت مع صاحبي فسمعت عند باب القهوة رجلاً يقول
— هذا غناء يتخلله ضحك وابتسام
فقلت في نفسي

— لقد أخطأت يا صاح هذا ضحك وابتسام يتخلله ما غناء
(أغسطس سنة ١٩١٧)

صفارة العيد

المظفة التي نتكلم عنها طويلة ضيقة خالية من الارصفة بتدئ
بحائط سميك وتنتهي عند الشارع الكبير ، حيث ترى على يمينها قصرأ
نخباً يخاله الناظر سجيناً أعد للمجرمين وعلى شمالها قبراً اشيع وهى تقف
أمامه الرجال والنساء يقرأون الفاتحة وعم ينظرون للسماء نظرة رجاء وابتهاال
ثم مسحون وجوههم بأيديهم ليتم الله نعمته عليهم . واذ اسرت فيها فبانت
منتصفها وجدت (أم سليم) بائعة الطعمية والساطة والسكرات جالسة
القرفصاء أمام جانبتها المسكون من قفص تعرض عليه ما تبينه لسائق عربية
الكلارو ولابن السبيل والفاعل . واذ اقتربت من بدايتها أى من الحائط

اهتزاز النغمات وتقلصت شفثاه وتقطب وجهه فكانه يبكي أيامه الماضية
وثروته الضائعة

وأما حامل الكمنجة فهو شاب في ريعان الشباب أصفر الوجه له
شارب طويل يرتفع طرفه الأيمن الى أعلا ويخفض طرفه الأيسر الى
أسفل له وجه ليس فيه شيء من التناسب بين طوله وعرضه وجهة خليقة
بأن تكتب عليها بالثلث عناوين الادوار فما أشبهه بمحررى بعض
الجرائد فى مصر

أما الأخير فهو يافع لأدرى لماذا أتوا به ، يذكرنى يافع آخر كان يمر
على قهاوى العاصمة ليبيع السجائر (الفنتزية) التى اذا أشعلتها طار منها
شعاع يخيف الاطفال الصغار

أما المغنية فهي امرأة ذات جمال اغريقى فى نحو الثانية واثلاثين
من عمرها قصيرة القامة نحيلة الخصر وضاححة الطلعة سافرة الوجه مرتدية
ملاءة سوداء تصل أطرافها الى ركبتيها فتزيد رقة وحسناً لها فم جميل
لا تقارقه الابتسامة فكانما تتساقط منه زهور النرجس والورد ولها شفتان
تتعدد أشكالهما كلما غنت فتارة تظهر عليهما صورة الاستعطاف وطوراً
صورة الاعراض وأنا صورة الحنو والامتمال وآونة صورة التيه والاعجاب.
تغنى ثم تضحك ، وتضحك ثم تغنى ، وتبتسم وتخجل ولا أدرى لماذا تخجل
ولماذا تبتسم ولماذا تضحك وان كنت اعرف لماذا تغنى !

ويخيل لى انها اذا خلعت ازارها الاسود وجلست لتحدائك خارج

ودفعه ذلك الميل الغريزي لامتناء الدكة المعدة للمغنيين فجلس عليها يساعد
الجماعة على إخراج الأغاني صحيحة خالية من العيوب

أما الرابع فهو شاب نحيف الجسد أسمر اللون لا تفارق عيناه أديم
الأرض ولعله من المصابين بداء الحياء الشديد ولهذا لم يتيسر لى أن
أتفرس في ملامح وجهه لأصفها للقراء . فهو رجل كما تقول العامة في (حاله)
ولهذا ندعه في حاله

أما الخامس فهو شيخ أحنث الأيام ظهره فأصبح كالقوس يداعب
المغنية من وقت لآخر ولا أدري لماذا؟ له طربوش تظهر منه شعور كتلك
الشعور التي أبقتهما يد التحنيط على رؤوس الجثث المحنطة في دار الآثام
المصرية مرتديا بدلة يحار فكر الناظر أمامها فن قائل أنها بدلة عادية ومن
قائل أنها رذنجوت قصيرة ومن قائل أنها من نوع جديد سوف يحدو على
منواله كل حائك في مصر فلا تلبث أن تصبح الموضة المصرية الجديدة
بعد أن انقطعت عنا في أيام الحرب موضة باريس . وهو أشبه الناس
بكتاب الدوائر الكبيرة .

وأما حامل العود فهو رجل بدين الجسد له وجه متمنخخ تغارفيه عيناه
البراقتان تظهر عليه بعض غنايل الوجاهة ولا أدري لماذا؟ ولعل ذلك لأنه
حامل العود والعود سلطان الآلات الغنائية . وأما حامل القانون فهو شاب
جميل الصورة أسمر اللون حسن الهندام يظهر عليه أنه كان غنيا ثم أتأخ
عليه الدهر بكل كلكله اذا لمست يده أوتار القانون اهتز جسده بأجمعه مع

ولابس الجلاية الزرقاء جماعة مختلفي المشارب خارج القهوة متحدى الأميال فيها تعوزهم ريشة المصور ترسم للناس الصور المضحكة المبكية التي تبدو على وجوههم. ثم نظرت لجماعة المغنيين وضحككت حتى كدت أن ألفت أنظار الناس لولا اندفاعهم لرؤية وجه المغنية الفاتنة التي كانت تبسم للجميع وتحييهم أجمل تحية .

المغنى الاول شاب أسود البشرة يظهر لى أنه من أم زنجية وأب مصرى أو أنه نوبى من أهل أسوان أو عامل من عمال العنابر فى مصر له أنف طويل يكاد يلتطم مع شفته اليسرى وعينان سوداوان بهما جمال عبثت به يد السهر والحجر وشارب قصير كريش فرشة تنظيف الأسنان ، وكان مرتديا بدلة بيضاء وبها بقع سوداء فما أقرب شكله لشكل الفرس الأبلق .

والثانى رجل مغلق الأجنان يجتهد فى فتحهما كلما دعتة الحالة فتعييه الحيلة ، له فم اذا فغره خلاته بثرأواذنان كبيرتان وذقن طويلة تهتز مع رأسه كلما أنشد كأنها تسأل الناس المعونة والأجر فما أشبهه بحلاق من جهة سيدنا الحسين أصيب بالعمى فجاء ليرتزق فى قهوة عمومية

أما الثالث فكان رجلا مرتديا جلاية بيضاء وحزاما من المناديل الحمراء الكبيرة وجبة زرقاء وطر بوشامن غير (خوصة) لم يحلق لحيته منذ أيام فظهرت شعورها فى وجهه كما يظهر النجيل فى الارض القحلاء وكان اذا أنشد أخذ فيه شكلا هندسيا يشبه المعين اذا نظرت اليه ظننت أنه منجد ملك عنانه حب الغناء فأتى الى القهوة ليشف آذانه

للقائه ويتأجج الصدر عطشا لرؤيته وكان بينهم صديق لم تره عيني منذ سنين فكنت أجاذبه أطراف الحديث وكلى آذان صاغية له ولبئنا نتحدث الى أن أخرج ساعة من جيبيه ونظر فيها ملياً ثم قال .

— هيا بنا . لقد دنا الميعاد

— فقلت وأى ميعاد

— أنا على موعد مع أحد الأصدقاء اسماع مغنية جديدة فهل لك في مرافقتي ؟ فأجبت لمطلوبه واستاذنا الجماعة ومشيت معه جنباً لجنب وصلنا الى القهوة ووجدنا على بابها شاباً ينتظر ، قدمته الى صديقي ، فابتدرونا بقوله :

— لنرجع أدراجنا الى منازلنا

— فقال صديقي وعلام

— أن السيدة (. . .) لا تغنى هذه الليلة

وحانت منى التفاتة الى القهوة فقلت :

— ولكنى أرى سيدة جالسة على (التخت)

فقال الشاب

— يا للعجب لقد تأخرت إذاً عن ميعادها ربع ساعة .

فقلت لنفسي وأنا أتسم (يا للعجب أول القصيدة كفر) وابتعنا تذاكرنا ودخلنا القهوة ونحن نتسابق اسماع المغنية وأخذنا مجالسنا بين الجمهور وجالسنا وكان على رؤوسنا الطير

القهوة فسيحة الأرجاء جمعت من شتات الناس المطربش والمعجم

— وهل هناك طرق أخرى؟

— هيا بنا نخرج لاستنشاق الهواء في الجزيرة وهناك أقص عليك

صحة أخرى فخرجت معه وكلى آذان مصفية لحديثه

(٢ اغسطس سنة ١٩١٧)

حفلة طرب

كنت شغوفاً بالكفسيير أيام كنت في باريس لا تفوتني من لياليه
لبلة تجمع بين الأناشيد الشجية والألحان الفكاهية والوجوه الواضحة
والقدود المأسسة والعيون الضعيفة القاتلة . هناك كنت أمتع عيني بالجمال
الذي صاغته يد الخالق في وجوه الحسان وأملأ قلبي لذة يمازجها الطهر
وأذني ألحانا جميلة ينفسح لها الصدر .

..

أيام مضت كما يمر الحلم العذب برأس النائم والآن أنا بمصر محروم
من تلك الجباه المشرقة والوجوه الالامعة والغرر المتألقة والألحان الشجية
الجميلة وما أحوجني الى رؤية شيء منها ان لم يماثلها جمالا وحسناً فلا أقل
من أن يكون باعثاً من بواعث الذكرى تهيج في قلبي ناراً كاد أن يطفىء
أوارها النسيان

جلست أمس في مجلس جمع من الاخوان من كانت تتوق النفس

— يالك من غر أحق . عين الله على ؟ أظن أنى فقير أيها المجنون
وحق للبك أن يغضب هذا الغضب الكبير وهو الذى يغيب الفقراء
ويجنى الضمفاء فقام اليه الزائر الجديد ذو المنظار الأسود وحاول أن يزيد
غضبه ولكن البك لم يقتنع بشيء وكاد أن يهجم بضرب من أتمهه بالفقر
والاحتياج لمعونة الله وعزز الرفاق سيدهم وسقط الرجل فى يده وخرج
من الغرفة وهو يتعثر فى أثواب خيمته وجلس البك وهو يرغى ويزيد
ثم تناقص غضبه شيئاً فشيئاً الى أن زال وعاد الجمع للعزف والغناء والرقص
ودارت الكؤوس ولعبت الخمر بالرؤوس فكنت تسمع فى الغرفة النكات
تتلو النكات والشتائم تتبع الشتائم الى أن تملك التعب على القوم نفوسهم
فاستساموا اليه وسقط بعضهم على الأرض لا حراك به واستأذن من تبقى
له شيء من قوته تحمله الى بيته الى أن خلا المسكان إلا من النائمين وكان
البك ملقى على مقعد وبجواره الزائر ذو المنظار الأسود يفتش فى جيوبه
ولما انتهى من عمله نادى ادريس البربرى ليحمل سيده الى الحريم

فرغ صديقى من قصته فالتفت الى وهو يقول

— ماذا تقول فى هذه القصة ؟

فتهدت وقلت

صدق من قال ان شبان مصر الاغنياء لا يعرفون للضجر معنى

فأكرم بهم وأنعم

— هذا طريق واحد من عدة طرق يسلكها هؤلاء الأغنياء اقتل

وقتهم وضياع ثروتهم

لها البك وتهملت أسارير وجهه ولما رآه الرفاق يسر للبك شيئا ابتعدوا قليلا فقال الرجل لسيده

- قد انتهى كل شيء

- كم في المائة

- ثلاثون

- بورك فيك

وعاد البك للغناء والضرب على الكمنجة والرفاق للرقص والتصفيق

..

لم يكن هذا الزائر الجديد الا رسول البك المرابين لرهن مائة فدان هي البقية الباقية من تراث آبائه وهل يتسنى لمن كان يمتلك ثلاثمائة فدان أن يعتاد هذا البذخ وهذا الاسراف على جماعة يستأجرهم لتقبيل يده والتغنى بكرمه وجوده دون أن يرهن ماعنده ليفقده صفقة خاسرة

وهب بعد قليل نسيم عليل ارتاحت له نفس البك فقال وهو يتسم

- لو من الله على بألفى جنيه لكنت أشتري بها منزلا في رمل

الاسكندرية لأقضى فيه فصل الصيف من كل عام .

وتهد البك آسف على ذلك المنزل الجميل فقال أحد الرفاق

- لا تيأس يا سعادة البك من رحمة الله سوف يمن الله عليك

بما تريد

ولم تقع هذه الجملة موقعا حسنا عند البك فغلى الدم في عروقه وقطب

وجهه استياء ثم صاح

من أسند رأسه على كتف صاحبه مستسلماً للسكري ومنهم من اتهم
الفرصة وتناول كأساً من الوسكى دون أن يراه أحد ومنهم من جلس
يفكر في حيلة يضحك بها البك لينال رضاه أما البك حفظه الله فكان
كلميت لا يعي شيئاً وهذا حال كل رجل بدين الجسد إذا أكل ولم يحاذر
في أكله

ثم أفاق البك ونادى أحد الرفاق وكان فتى في مستقبل العمر جميل
الصورة أهيئ القد اذا مشى تثنى كما يتثنى الغصن وقد لعب به النسيم
وكان البك يميل لمحدثه على انفراد لمذوبة الفاظه ورقة حديثه فكان لا
يصبر على فراقه دقيقة واحدة ولهذا أسكنه البك في غرفة من الساملك
حتى اذا احتاج لرؤيته لا يلبث أن يراه
ناداه البك قائلاً

— أين عودك يا صديقي . أمسك به وشنف آذاننا جميعاً فتناول
الفتى العود وابتدأ في الضرب وغنى لحنا تناول البك عند سماعه الكمنجة
ولشترك في الضرب والغناء معه وقام الرفاق يرقصون حتى اذا اعياهم
الرقص جلسوا وهم يصفقون ويميلون طرباً كأنهم يسعون عبده أو عثمان
وعند انتهاء الغناء دخل على الجماعة رجل يبلغ الخامسة والاربعين يابس
منظاراً اسود يحجب عن الناس ما في عينيه من تمر وحسد وحقه وسلم
على الجميع بعد أن قبل يد البك وقام البك واقفاً لرؤيته وعانقه والرفاق
في دهشة وكيف لا يدهشون والقادم صعلوك ممن حكم عليهم قديماً بالحبس
للتزوير والاختلاس وجلس الرجل يجوار البك وأمر اليه كلمات ابتم

— علام السكوت؟ أين كنت؟ وعلام تأخرت؟

— كانت امرأتى تلد

— لقد وضعت بأذن الشيطان كلباً

ففقهه الحضور وتمايلوا بأجسامهم وكانوا يضحكون ارضاء للبك وليس شيء أقبح من وجه من يتضحك ولكن البك كان يتغافل عن كل ذلك تغفيلاً لنفسه . وأقسم الرجل ثلاثاً على صحة دعواه فقال البك — انك تكذب . أنت تذكر النعمة التي أسبغناها عليك

— حاشا لله أن أكون ذلك الرجل

— صه . اياك والكلام . انى أعرف أين كنت أمس

وسكت الرجل وهو برىء لم يرتكب اثماً . وهل فى ذهابه لبيت ابن عم البك مرة فى الشهر اثم كبير؟ ولكن البك كان من الاغنياء الذين تشبه اخلاقهم اخلاق النساء فتراثهم يغيرون اذا ما التجأ أحد حاشيتهم مرة فى حياته الى أحد سواهم

وقام الرجل المسكين وقبل أقدام سيده ومولاه فصفح عنه بعد أن فرض عليه جزية تقبلها الرجل شاكراً وهى أن يقوم هذا البأس ويقبل أيدى الرفاق أجمعين ثلاثاً بعد أن يصفعه كل واحد منهم مرة وكيف لا يقبل ذلك الرجل الفقير ذلك وقد وضعت امرأته بالأمس طفلها السادس

ودارت الكؤوس مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة ثم قاموا جميعاً وتناولوا العشاء وعادوا للراحة فى غرفة الاستقبال ولبثوا سكوتاً ومنهم

- كفى مجونا وهزرا

اندهش الرفاق لما فاه به البك لاعتقادهم أن البك يجب من يتغنى
بشهرته الواسعة في الكمنجة . اندهش الجميع وسكتوا ولكن شيخنا
السكيري لم يندهش ولم يسكت بل ابتسم ابتسام الفأز وقال في صوته
رنة الرجاء والاستعطاف

- الناس لا تشك في هزري ومجوني وعم أيضا لا يشكون في
نبوغك وعبقريتك فهل لسيدى أن يتنازل ويشنف آذان عبيده
ونظر البك للسماء ماداً يده لوجهة الشيخ
فقطن صاحبنا لما يدور في خلد البك فشى على أطراف أصابعه الى
أن وصل لتلك اليد الشريفة وتناولها في يده وقبأها مراراً وهو يرجو
ويستعطف

فقبل البك رجاءه وشنف آذان رفاقه ولم يكن حفظه الله حاقاً على
عبده ولكنه كان ممن اذارجاهم أحد ودوا لو كرر الرجاء. رات عديدة. وبينما
كان البك يشنف آذان رفاقه دخل عليهم رفيق آخر هلاوا القدومه وصفقوا
ولكن البك عبس في وجهه وصاحفه مصاحفة جناء وغضب فانقلب تهليل
الجماعة الى نفور وازدراء واستمر البك يضرب الكمنجة ورؤوس الرفاق
تميل طربا الى أن انتهى فألقى بها على الخوان ونظر للقادم نظرة تجسم فيها
البغض وقال :

- ما هذا الجفاء يا سمادة الباشا

فابتسم الحضور لتقريع البك وسكت الرجل فقال البك

بك بذلك ولاخته حصه فيما تبقى من تراث أبيه يصرف ريعها على الحفلات اليومية التي يقيمها كل ليلة في بيته هو ورفاقه الكرام ، استغفر الله بل عبيده المخلصون . وصل محمد بك للساملك وكان الوقت مساء لأن البك لا يفيق من نومه الا في الساعة السادسة وكان من عاداته النوم بعد الغذاء ولما دخل غرفة الاستقبال وجد الجماعة في انتظاره وقد تهيئوا للقائه فجلس بينهم وهو تائه النظر وقد تعمد ذلك حتى لا يقال أنه يتنازل لرؤية أحد ثم نادى الخادم وأمره أن يجيء بزجاجات الوسكى وقام الخادم بما أمر به حق قيام وتناول كل واحد قدحه وشرى بواخب البك .

وقام أحدهم واقفاً وهو شيخ سكير يناهز الستين كان كاتباً بوزارة (. . .) وأحيل على المعاش ولم يساعده معاشه على اقتناء الخمر والقيام بأود أسرته فالتجأ لمحمد بك وليس شيء أحب لنفس محمد بك من أن يلتجأ اليه من يظهر التفاني في محبته والخضوع لأرائه والحاجة العظمى لماله وطعامه وكان ذلك الشيخ من أصحاب النكات الظريفة المستماعة يترقب الفرص حتى اذا حانت أرسل النكتة من فيه فتقع في قلب مناظره كما يقع السهم الصائب في ثنايا الصدر ولم يكن في تلك الحاشية التي جمعها يد المنكر والفساد رجل يحب الآخر فكلمهم متنافرو والمشارب مختلفو الآمال ولم يتحدثوا الا على كسب أموال البك حالاً كان ذلك الكسب أم حراماً . قام ذلك الشيخ وقال للبك !

— سيدى وولى نعمتى هل ليديك الشريفة أن تتناول الكمنجة . . .

ولم يمهله البك أن يتم قوله فنهزه قائلاً

من الأفدنة وعشرة من الرفاق كان ينطق عليهم من حر ماله وكانوا
يقضون معه الليل والنهار ليأتس بخديتهم ويقتل الوقت معهم . وأصبح
الولد الأكبر - محمد بك مجدى - بعد وفاة أبيه رئيس أسرة مجدى
وناهيك عن قيمة هذا اللقب فى أعين الرفاق العشرة بعد أن وجدوا فى
الولد خير خلف لأبيه فلقبوه ببن العز والأمانة ورب البيت الذى لم يفتاق
بابه فى وجه سائل . ولم يكن تلقى محمد بك من العلم والتربية ما ياهمه أن
يضرب بأقوالهم عرض الحائط وأوحى إليه الجوالذى نشأ فيه أن لا يجيد
عن الخطة التى اختطها أبوه لنفسه من قبل فرحب بالرفاق وجلس بينهم
كما كان يجلس أبوه فى صدر المكان وهم حواليه يكاد يدفعهم الخشوع
والامتثال الى الركوع والسجود

..

نزل محمد بك من الحریم الى الساملك وهو مرتد جلايية بيضاء
وعبائة من الحرير الأبيض وكان عارى الرأس منتفخ العينين وقد نسج
المهر لىكل واحدة منهما إطاراً أحمرآلورآه طفل صغير فى رابعة النهار
لولى الأدبار خائفاً أن ينقض عليه ذلك البعبع فيهشم عظامه أو يسيل دماؤه
مشى محمد بك مشية الزهو والتهيم يميل به الاعجاب بنفسه ويرنح
عطفه احتقاره للناس ، ومن مثل محمد بك على وجه البسيطة وهو الغنى
العظيم ابن الكرم والسيادة وبيته مأوى البؤساء وملجأ الفقراء . وكان
فى ذلك اليوم مقطب الوجه عابساً ساهماً وذلك لزيارة وسيطه وافه فى
الصباح يطاب يد أخته الكبرى لابن أحد البيكاوات . وهى يسبح محمد

هناك أحديتبعها ولكنها لم تتيبني في الظلام لأن الشارع لم يكن من الشوارع
المضائة ودخلت المنزل فوقفت كالصنم لا أتحرك ثم عدت وأنا كاسف البال.
ياللعار لقد ارتكبت اثما هائلا ولكني لم أتعمد ارتكابه . لقد أصبحت
حليمة صاحبي خليمة لى ، ولكنها كانت خليمة سواى من قبل

..

في الغد ذهبت للديوان وجلست بجوار أمين وتحادثنا كالعادة
وذهبنا عصرا لسبلنددبار وتناولنا العشاء في أبليسك وقضينا ايلتنا معافى
ماخور من مواخير العاصمة كأن لم يكن حدث شىء بالأوس .
(١٨ يونيه سنة ١٩١٧)

بيت الكرم

أسرة مجدى مشهورة فى مصر بالثروة والجاه يؤمها المستغيث
ويقصدها كل ذى حاجة . توفي ربها المرحوم عبد الله بك مجدى عن ستين
عاما قضاها - كما قالت الجرائد - فى عمل الخير والبر والاحسان تاركا
ولدين يبلغ أكبرهما الثلاثين والآخر لا يتجاوز العاشرة وثلاث بنات أبنكار
لم تسعد أكبرهن بعد بالزواج .

ورث المرحوم عن أبيه ثروة طائلة تزيد عن الفى فدان أصاع معظمها
حبا فى الحمر وسمياً وراء النساء فلم يترك لأولاده بعد موته الا ثلاثمائة

- يالك من أبله

وتحادثنا طويلا ثم سألتها أن نذهب لمصر الجديدة فقبلت ببشاشة
وسرور ورجعنا أدراجنا الى محطة المترو. وصلنا لمصر الجديدة بعد عشرين
دقيقة. ودخلنا لونا ببارك وصعدنا على الجبل الروسي راكبين القطار الصغير
فكانت تمسك بملابسي كلما صعد بنا القطار أو هبط. وغادرنا لونا ببارك
فأظهرت لي عند بابه الميل للعودة للقاهرة فقلت لها وأنا أستعطفها
- علام هذا الاسراع والساعة لم تدق الساعة بعد. أين تنظرك
أحد في المنزل

- كلا ان زوجي لا يتعشى في المنزل

- فلنقض معا اذا ساعة أخرى. وقد قضينا تلك الساعة في مكان

يظهر أنها لم تكن تجهله ولم يكن يجهلها

ورجعنا بعد ذلك وركبنا عربة كانت تنتظر بجوار قهوة البسفور
ولما وصلنا لميدان عابدين سألتني أن أغادرها هناك فأجبتها لسؤالها عن
طيبة حاطر وأعطيت الحوذى عشرة قروش وودعتها بعد أن تواعدنا على
اللقاء بعد يومين

ثم تركتني وسارت في طريقها بعد أن استحلقتني أن لا أتبعها ولما
كادت أن تغيب عن عيني قام بنفسى أن أعرف أين تسكن حتى اذا ما
أخلفت مواعدها معى انتظرتها كل يوم أمام باب بيتها. ولما اقتربت منها
سألت الله أن لا يلتفت فتراني فاذا بي أراها بعد قليل تسير في عطفة (ال...)
فدق قلبي دقات متواليه ثم وصلت للمنزل رقم (٢٢) والتفت لترى إن كان

غادرت الديوان وذهبت لأتناول الغذاء في المنزل ثم خرجت عصر ذلك اليوم للقاء أمين في اسبلنددبار وانتظرت هناك نصف ساعة ثم مللت الانتظار فقامت لاثمشى في شارع بولاق فاذا به يموج بالناس من مصريين وافرنج ومنهم من يتتبع النساء ومن النساء من يدخلن حانوت شكوريل أو شملا لشراء حاجياتهن أو بحجة شراء ما تتوق اليه أنفسهن ثم وقفت أنظر لامرأة مرتدية ازاراً بلدياً وتذكرت حديث أمين في الصباح وقلت في نفسي ما ضرني لو تتبعتها وقد اعجبني قوامها النحيل ولحظها الفاتك ووطدت العزم على ذلك وما لبثت ان نفذت ما عزمته عليه

سرت وراءها طويلا الى أن وصلنا الى تلك الحديقة الصغيرة التي يعرفها كل من اعتاد التنزه في شارع بولاق وهناك اقتربت منها وقلت لها

— لقد حق لك ولى أن نستريح فعلام الاسراع؟

فنظرت الى ولم تجب ثم سارت في طريقها فقلت لها وقد شجعتنى نظرتها

— الى أين؟ خفى من سرعتك أيها الملاك الجميل فالتفتت الى مرة ثانية وابتسمت ثم سارت على مهل فسرت معها جنباً الى جنب وقرأتها

السلام فقالت

— علام تقتفى أثرى

— لأحظى منك بكلمة واحدة

— لقد سمعت منى عدة كلمات فدعنى وسر في طريقك

— ان طريقنا واحد

فابتسمت وقالت :

منها كل ذى ذوق سليم

- أشكرك

ثم ضحكنا والتفت الى أمين وقال :

- ان بينهن نساء ذوات حسب ونسب يخشين الفضيحة فيستترن

بهذا الازار حتى لا يعرفهن أحد من أزواجهن

- أتظن ذلك ؟

- بل أعتقده وان شئت سردت لك حوادث وقعت لى مع أمثالهن

وابتدأ فى سرد قصص كثيرة اندهشت لسماعها وخذت أن ليس

فى مصر من الاسكندرية الى اسوان امرأة عفيفة فقالت له :

- لا ثقة لى بامرأة بعد اليوم

- كل النساء خائنات وعبنا الثقة بهن

فسكت ولم أنطق ببيت شفة وماذيريد القارىء أن أقول وصديقى

متزوج له امرأة يغار عليها وكأنه فطرن لما كنت أحدث تقسى به

فقال وهو يتسم

- ما الذى أسكتك ؟ أيدهشك أنى أرمى النساء بالخيانة وبينهن

زوجتى ؟ ولكن امرأتى ياصاح فى مأمن من كل ذلك لأنها تعيش مع أمى

وأنى من النساء اللواتى لا تفالج معهن شدة ولا رجاء

ثم اتقطع حديثنا وقام أمين لمكتبه وابتدأت أن اشتغل قليلا بعد

أن سألت الخادم أن يأتينى بفنجان قهوة

شهرين على صفاء ووثام برابطة الصداقة تربطني به وتربطه بي وما لبثنا ان أصبحنا صديقين لا نفترق الا بعد منتصف الليل . كنت اشتغل معه في الوزارة وكنت أقضى معه عصر كل يوم في سباندبار واذا دنا وقت العشاء أكلنا سويا في مطعم أوبليسك أو مطعم أركل وكاسات الجمعة تحف بخواننا . ثم نقضى الليل في دار من دور التمثيل أو في بيت من البيوت المفتوحة أبوابها للناس أجمعين ثم نرجع كل لمنزله فكنت أسير معه الى باب بيته في عطفة (...) رقم ٢٢ وأسير في طريقى لمنزلى وأنا لا ألوى على أحد . كان هذا شأنى معه وكنت مسرورا من عشرته مغتبطا بوفائه ومحبته وظننت أنى سأبقى مستودع أسرارهِ الى الأبد ولم يحدث بيننا والحمد لله فى الستة الأشهر التى مضت ما يدعو للهجر أو القطيعة .

ثم أفق أمين من نومه وأعطانى سيكارة أشعلتها بعد أن أشعل أختها لنفسه ومكثنا هنيهة نفكر ثم التفت الى وقال :

— آه من النساء

— انك ترتأى فيهن رأيا تخالف فيه سواد الناس

— أنا لا أحب الا من يرتدين الازار البلدى (١)

— وأنا لا أكره الا هؤلاء

— يا للعجب أتكره هذا الصنف من النساء وينهن من يستهوين

الأفئدة ويمتلكن النفوس

— انى لا أرى فى ذات الازار البلدى الا امرأة قدرة مبتدلة يأنف

— دعنا من العتاب . تلك ليلة لا يسبح الزمان بثابها الا في السنة
مرة ولولا تهافتك على الخمر وإكثارك من معاقبتها لما سألت الله أن
يجازيني بالموت على هذا الجميل الذي أسديته اليك .

— ولكني ما زلت أشكو ألما في الرأس وثاقلا في الجسد وياحبذا لو

كان اليوم يوم الجمعة

— وماذا كنت تفعل ؟

كنت أتناول مسهلا وألزم سريري طول يومى

— تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن

ثم جالس أمين أماني وأسند رأسه بيديه ونام أو استسلم للنوم
فنظرت اليه وظهرت لى على وجهه صورة شنيعة . صورة المدمن الذى
لا يفارق الحانات والمواخير ويوت الفسق والدعارة إلا عند الفجر فقلت
فى نفسى إن هذه الصورة المرتسمة على وجهه ما زالت مرتسمة على وجهى
أيضا ، إنه يحب الخمر وأنا لا أبعضها . هو زير نساء وأنا أبحث عن المرأة
فى كل مكان فلا فرق بينى وبينه الا أنه متزوج وأنا أعزب ولكن الفرق
ليس بالكبير لأنه لا يرى امرأته الا ست ساعات فى كل يوم يقضيها
وهو مستلق على ظهره بجوارها يغط فى نومه فمرأته فى نظره كالوسادة
فى نظرى . فنحن اذا فى مستو واحد .

وظفت فى وزارة (. . .) منذ ستة أشهر عرفت أمين فى اليوم

الأول من الشهر الأول منها واثنتى عشرته وربطتني به رابطة الاتحاق
فى المشرب لا رابطة الود والوفاء ، ولكنى استشعرت بمدأ أن قضيت معه

— كان الولد لا يرى وجه عمته والآن يجالس امرأة أخيه

ووقف القطار في قليوب فقرأت الجميع السلام وغادرتهم وسرت في طريقي الى الضيعة وأنا أكاد لا أسمع دوى القطار وصفيره وهو يعدو بين المروج الخضراء لكثرة ما يصيح في أذني من صدى الحديث .

(٧ يونيو سنة ١٩١٧)

عطفتة (.....) منزل رقم ٢٢

دخلت غرفة عملي بوزارة (.....) وجلست أمام مكتبي وأمسكت بجريدة وادى النيل أقرأ شيئاً عن السياسة وعن الاخبار وما لبثت في مكاني دقيقتين إلا وحانت مني التفاتة للباب فرأيت زميلي أمين على يتدبرني السلام بقوله

— صباح الخير يا ابو على

فألقيت الجريدة على المكتب ورددت السلام بأحسن منه ثم ثنائب

زميلي فتشاءبت وقلت

— جازاك الله يا أمين بالموت على ما بدر منك أمس لقد سقتني

الى بؤرة كدت أن أموت فيها

— أينما المخطى ؟

— الله أعلم

ثم سكت وسكت الحاضرون وأوشكت أن تهبط العاصفة لولا
أن التفت العمدة للاستاذ وقال :

— أنت خير الحاكمين يا سيدنا فاحكم لنا في هذه القضية . فهز
الاستاذ رأسه وتخنخح وبصق على الارض وقال :

— وما هي القضية لأحكم فيها باذن الله جل وعلا

— هل التعليم أفيد للفلاح أم الضرب

فقال الاستاذ :

— بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، قال النبي عليه

الصلاة والسلام « لاتعلموا أولاد السفلة العلم »

وعاد الاستاذ الى خموله وأطبق أجفانه مستسماً للذهول . فضحك

التلميذ وهو يقول :

— حرام عليك يا أستاذ . ان بين الغنى والفقير من هو على خالق

عظيم كما أن بينهم من هو في الدرك الأسفل .

فأفاق الاستاذ من غشيته وقال :

— واحسرتاه . انكم من يوم ما تعلمتم الرطان فسدت عليكم

أخلاقكم ونسيتم أوامر دينكم ومنكم من تجح وبغى واستكبر وأنكر

وجود الخالق

فصاح الشركسى والعمدة (لك الله يا أستاذ) وقال الشركسى :

— كان الولد يخاف أن يأكل مع أبيه واليوم يشته ويهم بصفه .

وقال العمدة :

— قال « يا سعادة البك » لأنى حزت الرتبة الثانية منذ عشرين سنة
فقال التلميذ .

— الفلاح يا حضرة العمدة لا يد عن لأ وأمركم الا بالضرب لانكم
لم تعودوه غير ذلك فلو كنتم أحسنتم صنيعكم معه لكنتم وجدتم فيه أخوا
يتكاتف معكم ويعاونكم وليكنكم مع الاسف أسأتم اليه فعمد الى الاضرار
بكم تخلصا من اساءتكم . وانه ليدهشنى أن تكون فلاحا وتحنى باللائمة
على اخوانك الفلاحين .

فهز العمدة رأسه ونظر للشركسى وقال :

— هذه هى نتائج التعليم

فقال الشركسى :

— نام وقام فوجد نفسه قائم مقام

أما الافندى ذو الهندام الحسن فانه قهقه ضاحكا وصدق بيديه

وقال للتلميذ — برافو يا أفندى برافو برافو

قنظر اليه الشركسى وقد انتفخت أوداجه وتعسر عليه التنفس وقال :

— ومن تكون أنت ؟

— ابن الحظ والانس يا أنس .

وضحك عدة ضحكات متواليات .

فلم يبق فى قوس الشركسى منزع فصاح وهو يبصق على الارض

طورا وعلى جبة الاستاذ وعلى حذاء العمدة تارة

— أدبسيس . بس فلاح .

فنظر اليه الشركسى نظرة ارتياب وقال :

— حضرتكم تسكنون الارياف ؟

— أنا مولود بها يا بيه .

— ما شاء الله .

جرى هذا الحديث والاستاذ ينفط فى نومه والافندى ذو الهندام الحسن ينظر للملابسه ثم ينظر لنا ويضحك أما التاميد فكانت تظهر على وجهه سيما الاشتمزاز ولقد هم بالكلام مراراً فلم يمنعه إلا حياؤه وصغر سنه . ولم أطق سكوتاً على ما فاه به الشركسى فقلت له .

— إن الفلاح يا بيه انسان مثلنا وحرام أن لا يحسن الانسان معاملة أخيه الانسان .

فالتفت الى العمدة كأنى وجهت اليه الكلام وقال :

— أنا أعلم الناس بالفلاح ولى الشرف أن أكون عمدة فى بلد به ألف رجل وإن شئت أن تقف على شئون الفلاح أجيبك . أن الفلاح يا حضرة الافندى لا يفلح معه إلا الضرب ولقد صدق البك فيما قال . وأشار بيده الى الشركسى .

فقال الشركسى وهو يتسم إبتسامة الساخر .

— ولا ينبؤك مثل خبير .

فاستشاط التاميد غضباً ولم يطاق السكوت فقال وهو يرتجف !

— الفلاح يا حضرة العمدة

فقاطعه العمدة قائلاً

مكث الشركسى قليلا يقرأ الجريدة ثم طواها وألقى بها على الأرض وهو يحرق الأرم وقال .

— يريدون تعميم التعليم ومحاربة الأمية حتى يرتقى الفلاح الى مصاف أسياده ، وقد جهلوا أنهم يجنون جنابة كبرى .

فالتقطت الجريدة من الأرض وقلت :

— وأى جنابة ؟

— إنك ما زلت شابا لا تعرف العلاج الناجع لتربية الفلاح .

— وأى علاج تقصد ؟ وهل من علاج أنجع من التعليم ؟

فقطب الشركسى حاجبيه وقال بلهجة الغاضب .

— هناك علاج آخر .

— وما هو ؟

فصاح بملء فيه صيحة أفاق لها الاستاذ من نومه وقال :

— السوط . إن السوط لا يكلف الحكومة شيئا أما التعليم فيتطلب

أموالا طائلة ولا تنسى أن الفلاح لا يذعن إلا للضرب لأنه اعتاده من المهدي الى الابد .

وأردت أن أجيب الشركسى ولكن العمدة حفظه الله كفانى

مؤونة الرد فقال للشركسى وهو يبتسم ابتسامة صفراء .

— صدقت يا بيه صدقت . ولو كنت تسكن الضياع مثلنا لقلت

أكثر من ذلك . إننا نعانى مع الفلاح ما نعانى لنكبح جماحه وننمعه عن

ارتكاب الجرائم .

شركسى الأصل وكان ممسكاً مظلة أكل الدهر عليها وشرب ، أما حافة
طربوشه فكانت تصل الى أطراف أذنيه ، وجلس أمامى وهو يتفرس
فى وجوه رفقائه المسافرين كأنه يسألهم من أين هم قادمون و إلى أين هم
ذاهبون ثم سمعنا صفير القطار تنبئ الناس بالمسير وتحرك القطار بعد قليل
يقول من فيه الى حيث هم قاصدون .

سافر القطار ونحن جلوس لا نبت بينت شفاه كأننا على رؤوسنا
الطير حتى اقترب من محطة شبرا فأذا بالشركس يحملق فى ثم قال موجهاً
كلامه الى :

هل من أخبار جديدة يا افندى ؟

فقلت له وأنا ممسك الجريدة بيدي — ليس فى أخبار اليوم ما
يستلفت النظر اللهم إلا خبر اهتمام وزارة المعارف بتعميم التعليم ومحاربة
الأمية .

ولم يمھانى الرجل أن أتم كلامى لانه اختطف الجريدة من يدي
دون أن يستأذنى وابتدأ بقراءة ما يقع تحت عينيه ، ولم يدهشنى ما فعل
لأنى أعلم الناس بحدة الشرا كسة . وبعد قليل وصل القطار محطة شبرا
وصعد منها لغرفتنا أحد عمد القايمية وهو رجل ضخم الجثة كبير
الشارب أفتس الأنف له وجه به آثار الجدري تظهر عليه ، ظاهر
الفوة والجهل . جلس العمدة بجوارى بعد أن قرأ سورة الفاتحة وصلى
على النبي ثم سار القطار قاصداً قايوب .

الأحمر قبل أن يتربع على المقعد ثم بصق على الأرض ثلاثاً ما سحاشفتيه
بمديل أحمر يصلح أن يكون غطاء لطفل صغير . ثم أخرج من جيبه مسبحة
ذات مائة حبة وحبة وجعل يردد اسم الله والنبي والصحابة والاولياء
والصالحين . فحوت نظري عنه فاذا بي أرى في الغرفة شاباً لا أدري من
أين دخل علينا ولعل اشتغالي بروية الاستاذ منغني أن أرى الشاب
ساعة دخوله .

نظرت الى الفتى وتبادر لذهني أنه طالب ريفي انتهى من تأدية امتحانه
وهو يعود الى ضيعته ليقضى أجازته بين أهله وقومه . نظر الى الشاب
كما نظرت اليه ثم أخرج من محفظته رواية من روايات مسامرات الشعب
وهم بالقراءة بعد أن حول نظره عني وعن الاستاذ . ونظرت للساعة راجياً
أن يتحرك القطار قبل أن يوافينا مسافر رابع فاذا بأفندي وضاح الطلعة
حسن الهندام دخل غرفتنا وهو يتبختر في مشيته ويردد أنشودة طالما
سمعتها من باعة الفجل والتمرس . جلس الافندي وهو يتتسم واضعاً رجلاً
على رجل بعد ان قرأنا السلام فرددناه رد الغريب على الغريب

وساد السكون في الغرفة والتلميذ يقرأ روايته والاستاذ يسبح وهو
غائب عن الوجود والافندي ينظر لملابسه طوراً والمسافرين تارة أخرى
وأنا أقرأ وادى النيل منتظراً أن يتحرك القطار قبل أن يوافينا
مسافر خامس .

مكثنا هنيهة لا نتكلم كأننا نتنظر قدوم أحد فانفتح باب الغرفة
ودخل شيخ يبالغ الستين أحمر الوجه براق العينين يدل لون بشرته على أنه

في القطار

صباح ناصع الجبين يجلي عن القلب الحزين ظلماته ويرد للشيخ شبابه
ونسيم عليل ينعش الافئدة ويسرى عن النفس همومها . وفي الحديقة
تمايل الأشجار عذبة ويسرة كأنها ترقص لقدم الصباح . والناس تسير
في الطريق وقد دب في نفوسهم حرارة العمل وأنا مكتئب النفس أنظر
من النافذة لجمال الطبيعة وأسائل نفسي عن سر اكتئابها فلا أهتدي لشيء
تناولت ديوان موسيه وحاوات القراءة فلم أفجح ، فألقيت به على
الخوان وجلست على مقعد واستسلمت للتفكير كأنى فريسة بين مخالب الدهر
مكثت حيناً أفكر ثم نهضت واقفاً وتناوت عصاى وغادرت منزلى
وسرت وأنا لا أعلم الى أى مكان تنودنى قدمائى الى أن وصلت الى محطة
باب الحديد وهناك وقفت مفكراً ثم اهتديت للسفر ترويحاً للنفس -
وابتعت تذكرة - درجة ثانية - وركبت القطار للضيعة لأقضى فيها
نهارى بأكمله .

جلست فى احدى غرف عربات القطار بجوار النافذة ولم يكن بها
أحد سواى وما لبثت فى مكانى قليلا حتى سمعت صوت بائع الجرائد يطن
فى أذنى (وادى النيل . الاهرام . المقطم) فابتعت احداها وهمت بالقراءة
واذا بياب الغرفة قد انفتح ودخل شيخ من المعممين أسمر اللون طويل
القامة نحيف القوام كثر اللحية له عينان أقفل أجفانهما السكسل فكانه
لم يستيقظ من نومه بعد . وجلس الاساذ غير بعيد عنى وخاع مر كويه

الكتاب الرابع

مآثره العيون
ج ١

قطع قصصية مصرنة

جاية واضحة في شكل قصيدة منشورة يبين فيها تفوق آداب الدين المسيحي عن آداب الميثولوجيان Mythologie في عهد الوثنية فاختر عهد الاضطهادات في القرن الرابع أى عهد النضال بين المذهبين المسيحي والوثني وكتب كتابه الشهداء ولكنه لم ينجح فيه نجاحاً كبيراً لما أتى به من الخرافات والاكاذيب ولكنه نجح في تحليل أخلاق بعض أشخاص الكتاب كأيدور Eudore وسيمودوسه Cymodocée وفليد (Velléde) .

(نهضة شاتوبريان) : يعد النقاد شاتوبريان كاتباً قديراً خدم اللغة الفرنسية خدمة يدونها له التاريخ فهو أول من ابتدع الخيال والتصوير في النثر بعد أن كان مفتقراً لهما ولكنهم يلومون عليه ما يشعر به القارئ عند قراءة كتبه بشيء من التحايل في الاسلوب . بيد أنه رغم ذلك بحث في آلام النفس وأوجاعها وأدخل الخيال والعواطف في النثر وأوجد بما كتبه الاساس الاول للشعر الوجداني ولهذا أطلق عليه النقاد لقب مؤسس المذهب الرومانتيكى .

(معركة بتصرف كبير عن كتاب دوميك)

روسو وغيرهم . وأصبح هذا الداء مذهباً من المذاهب الأدبية وقاعدة من قواعد الهيئة الاجتماعية في ذلك العهد .

(كتابه عبقرية الدين المسيحي La Génie du christianisme)

إذا أردنا البحث عن نظريات شاتوبريان الأدبية التي جعلته رئيساً لمذهب أدبي جديد تحتم علينا أن نقرأ هذا الكتاب لنعرف حقيقتها . فقد شرح فيه شاتوبريان تفوق الدين المسيحي وما أحدثه من الإصلاحات في الاخلاق والعادات والآداب والفنون . وقسم كتابه الى أربعة أقسام خص القسم الثاني والثالث منها بحال الدين المسيحي ونفوذه الكبير . وبرهن فيهما عما أحدثته المسيحية من رقى الشعور والعواطف التي لم يكن لها أثر عند الكتّاب أيام الوثنية . وحال أخلاق الامهات والآباء والابناء والجنود والكهنة في العهدين وأظهر للقارىء الفرق واضحة جلياً ، فما كانت قيمة هذا الكتاب ؟

لام النقاد شاتوبريان استعماله المسيحية كآلة لخدمة الفنون والآداب ورأوا فيما كتبه نظرات سطحية عن الدين من غير استقراء في حقيقته ولقد صدق النقاد فيما ارتأوه بيد أن قيمة الكتاب لم تكن بما كتب فيه عن الدين المسيحي بل بما احتواه من المنهج الجديد الذي حتم على الكتّاب أن ينفذوا أيديهم من غبار الماضي ويسلكوا طريقاً جديداً للاداب والفنون وهذا هو سر شهرة الكتاب وإحلاله المقام اللائق به . فهو أول كتاب خط لالكتّاب شرعتهم الجديدة .

(كتابه الشهداء) : أراد شاتوبريان أن يكتب كتاباً تظهر فيه آراءه

ولم تنشأ أحزانه النفسانية عن فقر واحتياج لأنه قضى حياة سعيدة في مأمن من نكبات الحياة ولكنه كان ذا نفس حساسة وطبيعة ثائرة وعظمة كبيرة وأنانية دائمة . فلم ترق في عينه تلك الحياة السعيدة التي لم ينقصه فيها شيء واحتقر تلك المظاهر الخداعة الكاذبة ولهذا عاش ومات كئيب النفس يحمل بين جنبه تلك الأوجاع وتلك الشجون التي ظهرت في جميع ماخطته يده وكان لها تأثير كبير على كُتَّاب ذلك القرن . (رواياته رينيه) : لم يتوخ شاتوبريان في روايته تحليل أخلاق شخص من أشخاص الحياة ولكنه عمد الى درس ما بنفسه من هموم وأوجاع وما كان لهذه الهموم وهذه الأوجاع سبب من الأسباب الخارجية بل كان مصدرها نفسه الهائلة المضطربة . واختار لروايته بطلا سماه رينيه نشأ في جو لم يجد فيه ما تصبو اليه نفسه وساح كثيراً ولكنه لم يستفد من سياحاته شيئاً يذكر ولم يرق في عينه المجتمع الانساني فعمد الى الانتحار بيد أنه لم يقدم عليه لمصيبة كبرى قوضت دعائم قلبه وكانت سبباً في نجاته ولكنها لم تشفه من آلامه وهمومه . وقد شرح شاتوبريان في هذه الرواية حقيقة نفسه بل حقيقة نفوس الكتّاب والشعراء في ذلك العهد . فهي تاريخ للحياة الأدبية عام ١٨٠٠ . ولم يكن هذا الداء (داء الهموم والأوجاع من غير سبب) قاصراً على الأدباء في فرنسا فقد وجدناه جلياً واضحاً في رواية فرتر للشاعر الألماني جوته وفي جميع ما دونه الشاعر الانكليزي بيرون من أشعاره العبقرية وفي كتب جان جاك

هذه الشرعة الجديدة وجرى في مضارها شوطاً بعيداً فسارت على آثاره
جميع الكتاب هو فرانسوا رينية شاتو بريان كاتب فرنسا العظيم في
القرن التاسع عشر .

ولد شاتو بريان في بلدة سان مالو في الرابع من شهر سبتمبر عام ١٧٦٨
ولما بلغ العشرين أتى باريس دون أن يحظى بقسط وافر من العلوم
والآداب حاملاً بين جنبه نفساً حزينة كثيبة لا يعلم سر أحزانها وآلامها
وما كان ذلك الحزن العميق الا نتيجة لحياته المضطربة التي قضاها في بلدته
فلما أتى باريس خالط رجال الادب وود أن يقتفى أثرهم ولكنه سافر
لأمريكا عام ١٧٩١ للسياحة وأفادته تلك السياحة كثيراً في تكوين خياله
وانماء عواطفه وعاد الى أوروبا حينما بلغه خبر حروب لويس السادس عشر
ثم سافر الى انكترا وطبع فيها سنة ١٧٩٧ كتابه عن الثورات . ولم يكن
كتابه ذا قيمة كبيرة بل ولم تظهر فيه آراؤه التي اشتهر بها بين مواطنيه
وهي الايمان بالدين المسيحي والتفاني في حب الملكية . وعاد الى فرنسا
عام ١٨٠٠ وطبع فيها روايته (آتالا) عام ١٨٠٢ وروايته (رينية) ١٨٠٥
وكتابه الشهداء عام ١٨٠٦ وكتابه (الطريق بين باريس والقدس) عام
١٨١١ ثم انتخب في الأكاديمية الافرنسية وألقى في قاعتها خطبته التي
ندد فيها بالحكومة وجر عليه ذلك غضب نابليون الأول بعد أن كان
على وئام معه . ولما عاد آل بربون للعرش انحاز لجانبهم واشتغل بالسياسة
ثم اعتزلها عام ١٨٣٠ مكرساً نفسه لكتابة كتابه العظيم (ميموار نونر
تومب) دون أن يقاب ظهر المحن لآل البربون .

شاتوبريان

ليس من السهل على الكاتب أن يبدي رأيه عن رجال الأدب في القرن التاسع عشر لقرب ذلك العهد من وقتنا الحاضر . فكأننا نرى بعيني رأسنا رجال ذلك القرن وكأننا نعاشرهم ونحادثهم . وتاريخ الآداب يقضى بأن يكون بين الناقد ومن يتصدى لنقده زمن طويل . بيد أننا لو سبرنا غور ذلك العهد وبجثنا عن أسراره بحثاً مستفيضاً لما غاب عنا ذلك التطور الكبير الذي أجتته الحوادث السياسية والاجتماعية في آداب اللغة الافرنسية في ذلك القرن . ونعني به ما قام به كتاب ذلك العصر من الحركة الجديدة التي قضت على القوانين القديمة بعد أن سلكوا طريقاً جديداً ساروا فيه بأقدام ثابتة ونفس آمنة وراء الخيال والشعور والعواطف وما كان للخيال والشعور قبل ذلك أثر في آداب اللغة . ونشأ عن ذلك الشعر الوجداني والروايات وكان للعلوم الحديثة التي ظهرت في ذلك القرن تأثير كبير على الآداب فسلك الأدياء مسلك العلماء في تقرير النظريات وتمحيصها وإثباتها فنشأ علم النقد من العدم ووجد علم التاريخ أساساً ثابتاً يرتكز عليه وتنوعت أساليب اللغة وتعددت مفرداتها واتمثل إليها عدد كبير من مفردات اللغة الانكليزية والألمانية وظهر في ادابها تأثير هاتين اللغتين . ويجمل بنا أن نقول أن أول من اختط

الحماسة والحب الطاهر والتضحية مع المواقف الهزلية أى رواية من نوع الرومانتيك (نوع شكسبير) فأتاه روستان بروايته الجديدة ووجد فيها الجمهور أمنيته فأعلى من شأنها عن جدارة واستحقاق وتحدثت بها الناس فى العالمين الاوربي والاميركى وعدها الأدباء خير رواية ظهرت فى عالم الأدب بعد رواية (السيد) لشاعر فرنسا الكبير (بيير كورنيل) ثم ألف رواية النسر الصغير عن حياة ابن نابوليون الاول وكتب فى مقدمتها بيتين من الشعر معناهما (علم الله أنى لا أهاجم أحداً ولا أدافع عن أحد ولكنى أكتب قصة طفل بأس). وخير ما فى هذه الرواية تلك القصيدة البديعة التى يقولها ابن نابوليون وهو يحلم بواقعة (جرام) سامعاً صراخ المنتصرين وأنين المحتضرين . وستبقى تلك القصيدة خالدة رغم أنف الليالى والأيام . ثم كتب رواية (شانكلير) وماهى الادعابة من نوع دعابات شكسبير وذكرى تعيد لقارئها روايات رينارت وقصائد لافونتين وفيها يخرج الممثلون على المسرح فى زى الحيوانات يمثلون حسنات الناس وسيئاتهم ولكنه لم يبلغ فيها ما بلغه فى رواياته السالفة . واشتغل روستان بعد ذلك بتأليف رواية (دون جوان) ولكنه مات قبل اتمامها أو قبل اخراجها للناس .

هذه هى حياة الشاعر الكبير وهى كما ترى حافلة بأكبر المناثر ومن العجيب أن زوجته شاعرة أيضاً . رحم الله روستان الشاعر العبقرى والعامل المجتهد وليس لنا حيال هذا المصاب الكبير الا أن نعزى الأمة الافرنسية بفقد رجالها القادر والعالم أجمع بموت شاعره الدرامى العظيم .

أدمون رويستان

نعت الينا برقيصة هافاس الشاعر الدرامي الكبير أدمون رويستان
إختطفته المنية بعد حياة بيضاء ناصعة قضائها في سبيل فنه جامعاً بين
الشعر والتمثيل فذهب ضحية الحمى الأندلسية في الساعة التي خفقت
فيها قلوب الافرنسيين فرحاً بنصرهم العظيم وشوقاً لسماع أشعاره الحماسية
عن فوزهم الكبير . مات الشاعر العبقرى صاحب الصيت الطائر
والشهرة الواسعة تاركاً روايته الخالدة حية تقرأها الناس في كل مكان
ومن ذا الذي لا يعرف رويستان (وسيرانودي بوجراڤ) خير ما أخرج
للناس في القرن العشرين بل خير كتاب أخرجه المذهب الرومانتيكي
من يوم نشأته الى يومنا هذا . بدأ رويستان حياته الادبية في العشرين
من عمره بديوان من الشعر أطلق عليه اسم (ليمزارديز) رأى فيه النقاد
تلك الروح الخائرة التي رأوها في أشعاره موسيه الاولى . ثم تحول عن الشعر
الى الشعر التمثيلي وألف رواية (لاسماريتين) وأعقبها برواية (لاپرنسس
لوانتين) ثم ألف رواية (ليرومانسك) وظهرت في رواياته الثلاثة تصوراته
البديعة وخياله السامي وعواطفه الفياضة وما كانت هذه الروايات غير مجموعة
من القصائد التمثيلية التي يلتقي فيها الاحساس بالخيال ثم أخرج للناس رواية
(سيرانودي بوجراڤ) في وقت تخذ فيه الكتاب خطة (الرياليزم)
أى الوقائع والحقائق وتعددت فيه الروايات الأجنبية وكثرت روايات
الفودفيل حتى مل الجمهور هذ الانواع وود أن يرى رواية تجمع بين

وفاة ألفرد رول

توفي في أواخر شهر أكتوبر سنة ١٩١٩ المصور الشهير ألفرد رول بالغا الثانية والسبعين من عمره بعد أن قضى حياة لم يذق فيها غير طعم العمل ولقد بكاه جميع رجال الفن في باريس بل في فرنسا من شرقها وغربها ومن جنوبها لشمالها . واتخذ ألفرد رول لنفسه طريقة فنية لم يتبعه فيها أحد من التلاميذ اللهم إلا ابنه مارسيل رول فقد شهد المصورون للولد بأنه صورة من الوالد في جميع صورته الفنية . وكانت تتجلى شخصيته في طريقته الفنية وانفرد بتلك الطريقة التي صن بها على المصورين فلم يسمع عنه أنه قام بتدريسها لأحد ولهذا عاش وحيدا لا تحوم حوله التلاميذ شأن كبار المصورين وكان جميل الوجه طيب الأخلاق حسن الاحدوثة لم يحتفل بالمناصب العالية الى أن أتيح له ارتقاء منصب رئاسة جماعة الفنون الاهلية وقد مات وهو رئيس لهذه الجماعة . ونبغ ألفرد رول في جميع أنواع التصوير ومن صورته الشهيرة عن الأشخاص صورة هنري روشفور وصورة المصور نولو وزوجته وصورة جول سيون الكتاب الاجتماعي الشهير .

ولم يقتصر على هذا النوع من التصوير بل نبغ أيضا في تصوير المناظر الطبيعية ومناظر الجنود والجيوش .

ثم أتى على الشاعر الطور الثالث ، الطور الذي نفص فيه يديه من باب المديح كما يخرج البلبل من قفصه ليشدو على الأغصان فيجني الصباح ويداعب النسيم ويذكر الله إذا ألقى الليل رداؤه الأسود على صفحة السكون . في ذلك الطور طورنا الحالى لا يعرف شوقى غير شخصيته ولا ينظم إلا من أجل شخصيته . ففي هذا الطور يبلغ شوقى ذروة المجد وتسجد الشعراء أمامه معترفين بفضلته وعبقريته . ومن قصائده فى ذلك العهد قصيدته القافية عن النيل وقصيدته التى نظمها من أجل الشبان المنتحرين والتى قال فى مطلعها .

ناشئ فى الورد من أيامه حسبه الله أبالورد عثر
سد السهم الى صدر الصبا ورماه فى حواشيه الغرر
بيد لا تعرف الشر وما صلحت الا لتاهو بالأكر
ولا نسى أيضا سينيته الجديدة التى ارسل بها من الاندلس والتى يقول فيها .

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى اليه فى الخلد نفسى
والآن سيعود شاعرنا الكبير الى وطنه ، سيرجع البلبل الى عشه . سوف نقرأ عن قريب قصائده الخالدة التى أوحى بها اليه وحيه بيت اطلال مدينة العرب فى الاندلس . فلتمنا مصر بشاعرها وامهناً الشاعر بوطنه بعد غربة طويلة حن فيها الى مصر وحننت فيها مصر اليه .

لقد كان الشاعر في ذلك الطور من حياته قليل الاكتران
بشخصيته وعبقريته ولهذا كنا نقرأ له الغث والسمين . ثم تحول عن
طريقه القديم وشرع لنفسه خطة جديدة أتى فيها بالمرقص والمعجب
وتجلت فيها مواهبه العبقريه وارتقى فيها الى سماء الالهة ، آلهة الشعر
بيد أنه لم ينج من باب المديح فكان ضحية الظروف . والمديح باب من
الشعر لا يصح أن نطاق عليه اسم شعر ولكن ما آتاه شوقي من
القصائد الخالدة في طوره الثاني غفر له زلته وكيف لا نجد من قال :

| | | | |
|---------|-------|-----------|-------|
| الرؤوس | مائلة | في الصدور | تحتجب |
| والنحور | قائمة | قاعد بها | الوصب |
| والنهود | هامدة | والحدود | تلمب |
| والخصور | واهية | بالبنان | نجدب |

أو من قال :

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| بعت العدو بكل شبره هجة | وكذا يباع الملك حين يرام |
| ما زال بينك في الحصار وبينه | شم الحصون ومثلهن عظام |
| حتى حواك مقابراً ، وحويته | جثثاً ، فلا غبن ولا استندمام |

أو من قال :

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| قف بتلك القصور في اليم غرقى | ممسكا بعضها من الذعر بعضا |
| كمذارى أخفين في الماء بضاً | سباحات به وأبدن بضاً |
| مشرفات على الزوال وكانت | مشرفات على الكواكب تهبضاً |
| شباب من حولها الزمان وشابت | وشباب الفنون ما زال غضاً |

يتمشى القضاء خلف نواهيك حديد الاظفار يطلب صيدا
أنت من ممثّل السعادة لو لم يك ذلك النعيم أخذاً ورداً
وهو القائل أيضاً في وصف غاب بولون .

يا غاب بولون ولى ذمم عليك ولى عهود
زمن تقضى للهوى ولنا بظلك هل يعود
حلم أريد رجوعه ورجوع أحلامي بعيد
وهب الزمان أعادها هل للشيببة من يعيد!
وهو القائل أيضاً .

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبوا
لو قارنت هذه الاشعار باشعاره التي نحى فيها نحو الشعراء الاولين
مقيداً نفسه بسلاسل التقليد دون أن يطلق العنان لعبقريته ووحيه لظهر
لك الفرق الكبير والبون الشاسع . قل لى بربك أيصح أن تنسب لصاحب
الايات التي قرأتها الآن تلك الايات الآتية .

سويجع النيل رفقا بالسويداء فما تطيق أنين المفرد النائي
لله واد كما بهوى الهوى عجب تركت كل خلى فيه ذا داء
وأنت فى الاسر تشكوما تكابده لصخرة من بنى الاعجام صماء
فلو رأيتك بعين السمع لانفجرت وباء مشرق شمس الضاد بالراء
أو قوله مثلاً :

لا السهد يدنينى اليه ولا الكرى طيف يزور بفضله مهما سرى
تخذ الدجى وسماه ونجومه سهلا الى جهنمك لم يرضى الثرى

شوقى هو أول من وصف الطبيعة من الشعراء العصريين بل هو أول من أجاد وصفها ولو ضربنا صفحاً عن قصائده في باب المدح ولم نقرأ منها الا الجزء الذى خصه بالغزل والوصف والحكم رأينا في شاعرنا الكبير عبقرية عظيمة لا يوجد الزمان بمثله في كل آن .

مرت على شوقى أطوار عديدة تكونت فيها شاعريته والحال كذلك مع كل شاعر .

ابتدا شاعرنا حياته مقلداً شعراء العرب وتفانى في قراءة المتنبي فسلك مسلكه ولكنك كنت ترى من خلال قصائده الأولى بصيص نور جديد نور شخصيته العبقرية ووحية الالهى .

وكيف لا يكون الامر كذلك وهو القائل :

| | |
|-----------------------------|------------------------|
| ما تراها تناست اسمى لما | كثرت في غرامها الاسماء |
| إن رأيتى تميل عنى كأن لم | تك بينى وبينها أشياء |
| نظرة فابتسامة فسلام | فكلام فوعد فلقاء |
| يوم كنا ولا تسلى كيف كنا | تهادى من الهوى ما نشاء |
| وعلينا من العفاف رقيب | تعبت في مراسه الاهواء |
| جاذبتنى ثوبى العصى وقالت | أتم الناس أيها الشعراء |
| فاتقوا الله فى قلوب العذارى | فالعذارى قلوبهن هواء |

وهو القائل فى قصيدة عن حياة اسماعيل باشا خديوى مصر .

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| لم ير الناس مثل أيام نعمنا | ك زماناً ولا كبؤسك عهدنا |
| كنت إذ شئت بديل السعد نحسا | وإذا شئت بديل النحس سعدا |

أن يقرأوا كتبه ليعرفوا مذهبه الجديد في الأدب ويقفوا على أفكاره
السامية وينشدوا معه قصائده الخالدة
(٢٥ ديسمبر سنة ١٩١٩)

شوقي (١)

أحمد في الانبياء وأحمد في الشعراء
(صادق عنبر)

من منا لا يعرف الشاعر الكبير أحمد شوقي ؟
من منا لم يقرأ قصائده الخالدة وحكمه الغالية . ومن منا لم يربعين
الخيال صورته الطبيعية التي صورها لنا وحيه الالهى في قصائده العامرة ؟
الطفل في مدرسته يحفظ عن ظهر قلب أبياته الرشيقة والشاب في
رونق شبابه يترنم بقصائده الغزلية والشيخ الذي أروعته الهرم يتلوه حكمه
إذا أوى الى خلوته لينظر للحياة نظراته الفلسفية فيقول
خلقنا للحياة والممات ومن هذين كل الحادثات
هذا هو شاعرنا الكبير أحمد شوقي شاعر مصر ولا نغالى في القول
لو قلنا شاعر الشرق .

كتبت هذه المقالة بمناسبة قرب عودة شوقي بك الشاعر من منفاه
في الأندلس.

على لسان الشيخ

والدين في الناس حقل ليس يزرعه غير الأولى لهم في زرعه وحل
من أمل بنعيم الخلد مباشر ومن جهول يخاف النار تستعر
فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا رباً ولولا الثواب المرتجى كفروا
كأنما الدين ضرب من متاجرهم ان واضبوربحوا أو أهملوا خسروا

ومن أحسن ما قاله قوله على لسان الفتى :

ليس في الغابات سكر
من خيال أو مدام
فالسواقى ليس فيها
غير إكسير الغمام
إنما التخدير ثدى
وحليب للانمام
فاذا شاخوا وماتوا
بلغوا سن القطام

أعطني الناي وغن فالغنا خير الشراب
وأنين الناي يبقى بعد أن تفتى الرضاب

وليس لنا في الخاتمة إلا أن نقول أن جبران أفندي جبران عبقرى
في نثره وعبقرى في شعره وعبقرى في صورته ونحن ننصح لجميع القراء

حد ووحيه المتمرد الذي يغور في خفايا القلوب ليضيء ظلماتها ويفرج عنا
الهموم والبكروب .

أمثلة من شعره :

على لسان الشيخ :

الخير في الناس مصنوع اذا جبروا والشرف في الناس لا ينفى وان قبروا
وأكثر الناس آلات تحركها أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر
فلا تقولن هذا عالم علم ولا تقولن ذلك السيد الوقر
فأفضل الناس قطعان يسير بها صوت الرعاة ومن لم يمش يندر

على لسان الفتى .

ليس في الغابات حزن

لا ولا فيها الهموم

فاذا هب نسيم

لم تجيء معه السموم

ليس حزن النفس إلا

ظل وعم لا يدوم

وغيوم النفس تبدوا

من ثناياها النجوم

أعطني الناي وغن فالغنا يمحو الحزن

وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الزمن

على أنه لا يقصد في كتابه أن يدعو الناس الى عيشة الغاب وهجر المدن ولكنه يريد أن يتبسط الناس في حياتهم وأن يتركوا الروابط الكاذبة التي تربطهم في مجتمعنا البشري وما الغاب الذي كتب عنه جبران إلا رمز البساطة لا ينتج عنها إلا الهناء والسعادة .

قيمة الكتاب : لانباغ في القول لو قلنا أن الكتاب هو من خيرة ما أخرج للناس في عهدنا الحاضر ففيه تجلي عبقرية جبران وفيه نسمع صراخ وحيه القادر ذلك الوحي الالهي المتمرد الذي ظهر لنا في هذا الكتاب ساخطا على قوانين البشر على اسان الفتى ابن الغاب بعد أن يشرحها ويحلها على اسان الشيخ ، شيخ المدينة .

جبران كتب لنا هذا الكتاب منتهجاً خطة جديدة في أسلوبه الشعري وشارحاً لنا أفكاراً فلسفية جديدة أيضاً ولقد نجح نجاحاً كبيراً يغطيه عليه كل أديب .

نقد الكتاب : حاول جبران افندي أن يأتي في نثره بأسلوب جديد فنجح نجاحاً كبيراً ثم حاول أن يأتي لنا بأسلوب جديد في شعره فنجح ولكنه لم ينجح النجاح الذي يريده له كل محب لشعره شغوف بما تخطه يده . فتراكيبه في النظم غير متناهية كما هي في النثر ولكن ذلك لا ينقص من قيمة الكتاب ونحن على يقين تام أن ضعف أسلوبه في النظم سيزول على ممر الايام وسوف يكتب لنا الكتاب فيما بعد كتباً منظومة مخالفة من كل وهن ويكتفينا منه الآن شاعريته الكبيرة وعبقريته التي ليس لها

تأخذه بهم الشفقة والحنو. أما في الغاب حيث تجلبى الطبيعة وتجلس
البساطة على عرش الرحمة والتآخي فالحياة فيها كما قال .

ليس في الغابات راع لا ولا فيها القطيع
فالشتا يمشى ولكن لا يجاريه الربيع
خُلقَ الناس عبيداً الذى يأبى الخضوع
فاذا ما هب يوماً سائراً سار الجميع
أعطى الناي وغن فالغنا يرعى العقول
وأنين الناي أبقى من مجيد وذليل

واختار جبران التصوير فكرته شخصين الأول شيخ عاش في
المدينة طول عمره وخبر ما فيها من العادات والقوانين والشرائع والأوهام
والأكاذيب ثم خرج إلى الغاب بعد تجربته وخبرته ليستريح من وعناء
سفرته الطويلة التي قضاها جاثلاً في أنحاء المدينة . فيلتقى في الغاب بشاب
لم تر عيناه غير أشجار الغاب ولم يتنفس غير هوائه الطاق ولم يسمع غير
ألحان طيوره . فالأول شيخ ضامر التجاليد محدودب الظهر مرجف
الأنامل والثانى فتى جميل الصورة قوى البنية حاملاً نايه في يده ليحيى
الطبيعة بأناشيد الخالدة . يلتقى الرجلان في الغاب ويبدى كل منهما
آراءه في الحياة . الأول لم يجد في حياة المجتمع الانساني غير التشاؤم
والسقاء والثانى لم يجد في حياة الغاب غير السعادة والهناء . هذا هو
مالمخص ما أراد جبران إثباته في كتابه . ومن هذه المحاوره الشيقة التي
خطتها يده تظهر لك آراؤه الفلسفية في الحياة وفي الشرائع والاديان .

وهناك أمر آخر يسترعى نظرك عند رؤية الكتاب ألا وهو الصور العديدة التي نقشتها يد الكاتب مصورا ما كتبته في كتابه . لا ننكر أننا رأينا كتباً عصرية مملوءة بصور فوتوغرافية ولا يمكننا لم نجد كتاباً أحلاه مؤلفه بصور مبتكرة من مخيلته نقشتها يده لتصوير ما أملاه عليه ضميره . ونظرة منا لهذه الصور تكفى لأن تثبت لنا قدرة الكاتب وعبقريته في فن التصوير واقد قرأنا عنه أنه سافر خصيصا لباريس لدرس هذا الفن وشهد له كبار المصورين في فرنسا بالنبوغ .

غرض المؤلف من تأليف الكتاب :

أراد جبران بتأليف هذا الكتاب نقد المجتمع البشرى وما حواه من عادات وشرائع وقوانين . لم يجد جبران في المجتمع الانساني إلا أكاذيب تفضل الناس عن الطريق السوى وما الطريق السوى إلا العودة إلى الطبيعة وبساطتها ، تلك البساطة التي لا تكاف الناس شيئا بل تقرهم بعضهم من بعض وتمحو من نفوسهم ما ألصقته بها حياة المجتمع وقوانينه من الأدران والأوهام وما أجمل قوله

ليت شعري أى نفع في اجتماع وزحام
وجهدال وضجيج .. واحتجاج وخصام :

يرى جبران في المجتمع الانساني قوانين وعادات يسود بها البعض ويذل بها الآخرون . فأين إذا سعادة النفس وهناء القلب والناس كالذئاب لا تسمى إلا في ضرر غيرها فالسعيد في الحياة هو من بنى له قصر آعلى قبور اخوانه المساكين الذين داسهم بأقدامه الضخمة دون أن يرحمهم أو

الأمل ونسمع من رعدة القاصف صوت الرحمة ونشعر عند ما تهب عواصفه
بجلاوة الحب ، حب الحياة الهادئة الساكنة التي تتجلى فيها الطبيعة وينصب
فيها ميزان العدل .
هذا هو الأمر الرابع الذي نراه فيما كتبه جبران .

كتابه المواكب

ثم عاج جبران باب الشعر الموزون المقفى فكتب كتابه «المواكب»
وهو الكتاب الذي من أجله نكتب هذا المقال .
الأشياء التي تسترعى النظر عند رؤية الكتاب : اذا أمسكت
بكتاب المواكب في يدك وقلبت صفحاته بدا لك لأول وهلة أمر غريب
لم تره عينك من قبل بين صفحات الكتب العربية المؤلفة في عصرنا
الجديد ألا وهو أنك ترى لأول مرة كتاباً عربياً جديداً في قالب خيالي
منظوماً من أوله لآخره . وقد كنا نعيب على شعرائنا الشرقيين إشارتهم
القديم على الجديد لأننا لم نجد لهم غير قصائد ساروا فيها على طريقة
الشعراء السالفين دون أن يتكروا لهم طريقة جديدة . أما اليوم فقد أتى
جبران بما كنا في حاجة له . ولم يقتصر جبران على اختيار موضوع فلسفي
نظمه في قصيدة طويلة ولكنه فعل أكثر من ذلك باختياره القوافي
المتعددة والأوزان المختلفة فخالف بذلك الشرعة القديمة وابتكر طريقة
جديدة نأمل أن يتبعه فيها الشعراء الشرقيون .

يكون شاعراً خيالياً ينظم القصائد المنشورة ويودعها ما بقابه من ثورة وألم وما في ماقيه من دموع وما في نفسه الطاهرة من سحق على العالم الانساني وما فيه من أوهام وأكاذيب بل عمد الى أسلوب جديد ، بل بالأستعارات والرموز لم يقتف فيه آثار أى كاتب قديم ولا نغالى في القول لو قلنا أنه نسيج وحده وقريع دهره في هذا الباب . فاذا أتيت لأى قارى بحملة من جهل جبران غير مذيلة باسمه لقال لك على الفور هذه جملة من جهل جبران . هذا هو الأمر الثانى الذى نراه فيما كتبه جبران . ولم يكتب جبران بأن يكون شاعراً خيالياً ذا أسلوب جديد ولكنه سار فى كل ما يكتب وراء شخصيته . وقابل من كتاب العربية من هو على هذه الصورة .
تراد لا يكتب إلا ما يعتقد ولا يخط على القرطاس إلا ما يوحيه اليه وحيه وإن خالف فى ذلك ما يعتقد القراء والسكاتب . لهذا ترى شخصيته واضحة جليلة فى جميع كتبه ، فهو فى هذا الباب كبير لوتى من كتاب الغرب .

هذا هو الامر الثالث الذى نراه فيما كتبه جبران .

وابتدأ جبران حياته الأدبية بدموع وابتسامات . ظل يذرف الدمع على آلام الانسانية ويتسم لجمال الطبيعة الى أن مرت عشرة سنين من حياته القلالية تكونت فيها نفسه واضطرت فيها ثورة قلبه فوجدناه فيما بعد ، متمرداً ، ساخطاً صارخاً ، يصيح بين ضجيج العميان ومجدق فى الشمس بعينيه المفتوحتين ويقف بين القبور الصامتة وعلى قم الجبال الشاهقة لينشد قصائده الخالدة . ولكننا نرى بين غيومه السوداء برق

للبيت ولما فرغت من تلاوته قمت للقلم لأكتب هذا المقال الصغير عن ذلك الكتاب النفيس شارحاً للكتّاب ما أحدثه جبران افندى في الأدب العربى من التغيير والتبديل وجبران افندى من كتّاب العربية وشعرائها الذين انتهجوا لأنفسهم منهجاً جديداً تجلت فيه شخصيتهم كاشمس فى رابعة النهار .

جبران افندى خليل جبران شاب سورى غادر مسقط رأسه الى أميركا كما فعل كثير من السوريين وعاش فى وطنه الجديد الى يومنا هذا محترفاً حرفة القلم فكتب فى جرائد أميركا السورية وما لبث أن عرفه قراء العربية فى كل بقعة من بقاع الأرض . عرفوه كاتباً بعد ان قرأوا كتبه «الأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة ودمعة وابتسامة ويوحنا المجنون» ثم عرفوه شاعراً بعد ان قرأوا كتابه الجديد «المواكب» ولكننا لانرى فيما كتبه جبران افندى من نثر وشعر غير قصائد خيالية أو حاشا اليه خياله الراقى وروحه الثائرة المتمردة فهو فى نظرنا شاعر وما نثره المتداول بين أيدينا الا قصائد منشورة لم يجاره فيها شاعر آخر . وإلى القارى شيئاً من نثره بل من شعره المشور (خيم الليل بجنحه فوق المدينة وأبسها الثلج ثوبا وهزم البرد ابن آدم من الاسواق فاخْتبأ فى أوكاره وقامت الرياح تتأوه بين المساكن كـمؤن وقف بين القبور الرخامية يرثى فريسة الموت) ألا يرى القارى فى هذه الجمل المتناسقة التى يطلق عليها القراء كلمة نثر شعراً خيالياً يهز أوتار القلب ويوقظ النفس النائمة ؟

هذا هو الأمر الاول الذى نراه فيما كتبه جبران ولم يكتف بأن

قالب رمزي . واشتهر بقدرته في تصوير ما تراه عينه في عصرنا الحاضر وما قرأنا في بطون الكتب عن العصور السالفة .

ولم يقتصر على القسم الروائي الأدبي بل عالج باب التمثيل فكتب روايته التمثيلية الأولى (الخريف) مع المسيو جبرائيل موري وله من العمر احدى وثلاثين سنة وصف فيها صورة حياة اعمال مضر بين انتهى إضرابهم بسفك لدماء ثم كتب روايته التمثيلية الثانية (النحاس) مع المسيو أندريه بيكار وهي صورة جليلة واضحة للحالة المالية في أوروبا ثم قدم للكوميدي فرانسيز روايته (ليمويت) ولكنها لم تنجح إذ لم تمثل إلا تسعة وعشرين مرة . ومات وهو يؤلف مع المسيو جبرائيل موري رواية اسمها (تانيت) .

ونحن نقدم للأمة الفرنسية تمازي الأمة المصرية ونأسف معها لفقد هذا الكاتب العظيم .

المواكب

لجبران خليل جبران

ذهبت منذ أيام لزيارة صديقي الفاضل أميل افندي زيدان صاحب « الهلال » فوجدت بين يديه كتاب « المواكب » وكنت في شوق كبير للاطلاع عليه فسألته أن يعيرني إياه فأجاب سؤالي وحام الكتاب

كبيراً وذلك لشدة ميله للسياحة ولقد صرح ذووه بعد وفاته بأن فقيدهم كان يأمل أن يصبح يوماً ما مكتشفاً يجوب البلاد البعيدة والاقطار النائية. بيد أن الجلو الذي نشأ فيه والتعاليم التي ربيت عايمها نفسه حدت به الى احتراف القلم فكتب رواياته العديدة ولكنه كان ينتهز الفرص ليغادر بلده الى بلاد أخرى يدرس حياتها الاجتماعية وحالة أهلها الخلقية واشتهر بروايته الادبية شهرة كبيرة فأجله النقاد ورأوا فيه رجلاً يكاد يساوي بلزله شهرة ومجداً .

بدأ بول آدم حياته الادبية بالسير على آثار الروائي الكبير أميل زولا صاحب المذهب الذي يطلقون عليه اسم (ناتوراليست) وهو المذهب الذي يتعمد فيه الكاتب وصف حياة الانسان بما فيها من عيوب وقاذورات وصفاً يشمئز منه القارئ ولا نغالى لو قلنا ينجبل منه الشيخ الهرم . كتب بول آدم روايته الاولى (الجسر الناعم) سالكاً طريق (الناتوراليست) فعده الكتاب عميد المذهب بعد زولا . ولكنه لم يلبث طويلاً في هذا السبيل وكتب روايته (عام كلاريس) مبتعداً فيها عن مذهب زولا ومقترباً من المذهب الرمزي *Symboliste* . فجاءت روايته وفيها مزيج من المذهبين . ثم خلع عنه رداء المذهب الاول وارتنى لباس المذهب الثاني وكتب رواياته (معركة هود . القوة ابن استرلينز . تحت شمس يوليه . الحيلة . الشعبان الاسود) ولكنه لم يسلك في المذهب الرمزي طريق الخيال فحسب بل سار خلف الحقيقة أيضاً في كثير مما كتبه وما رواياته غير مجموعة من الافكار الواقعية في

بول آدم

قليل من بنى مصر من يعرف الرواى الشهير بول آدم ويرجع ذلك لقلة من يعرف اللغات الاجنبية من أبناء هذا البلد الامين . أما الفئة التى درست تلك اللغات فقليل أيضاً من اختص منها بالآداب الغربية فلم نجد من بينها من أقدم على تعريب إحدى روايات هذا الكاتب الفاضل الذى يعده النقاد فى فرنسا من أئمة الروائيين . وواجب الصحافة الادبية أن تكتب لقراءها عن أئمة الكتاب فى كل بلد وعلى الاخص اذا اختطف الموت أحدهم فى الساعة التى نرى فيها أبناء جلدته فى أشد الحاجة لقراءة كتبه الجديدة .

من أجل هذا كتبنا هذا المقال .

توفى بول آدم فى صبيحة اليوم الثانى من شهر يناير وذهب ضحية الحمى الاسبانولية التى لم تشفق منذ عام بأدمون روستان شاعر القرن العشرين . فالحق الرواى بالشاعر وابست فرنسا عامهما الحداد . توفى بول آدم غير بالغ من العمر السابعة والخمسين فبكاه رجال الادب فى العالم أجمع وعدوا موته خسارة كبيرة على الآداب الفرنسية وقد قال عنه المسيو دومينيك برجا فى مجلة أوربا الجديدة (اليوم فقدنا أكفأ رواى فى القرن العشرين) .

لم يكن يدور بخلد بول آدم أيام كان فتى أنه سيصبح يوماً ما رواى

الصغيرة في معهد آخر بل أى ضرر يعود على الأمة لو فكر ولاية الامور
في إنشاء معهد دينى ثالث ثم رابع ثم خامس . . . بل أى ضرر على الأمة
لو أنشأت الحكومة في كل عاصمة من عواصم المديریات مدارس للطب
والهندسة والزراعة والحقوق . يا جبذا لو تحقق ذلك ورأينا العلم تزدهر
رياضه في كل بلد من بلاد مصر بل في كل قرية من قرأها . نحن نعالم
أن البناء صعب وأن الهدم سهل ، ومن الهين هدم مدرسة القضاء ولكنه
من الصعب بناء مدرسة أخرى . فأذا أغلقوا المدرسة اليوم ورأوا فيما
بعد الحاجة ماسة لها لا قوا الصعوبات في بنائها من جديد فنكون قد
خسرنا خسارة كبرى نحن في غنى عنها . أما ما يقولونه من أن الوزارة
لا تريد أن تكاف نفسها بمصاريف لا فائدة منها فنحن نجل الوزارة عن
ذلك وهى التى زادت مرتبات الموظفين وتنازات عن جزء من أرباحها
في شركة الترام . فعالت الوزارة ذلك إرضاء للجمهور وجدير بها أيضا أن
تفعل أكثر من ذلك إرضاء للعلماء والادباء والطلبة وهم زهرة الجمهور
المصرى . أما إشاعة أن الوزارة تريد إغلاق المدرسة انتقاما من ناظرها
فنحن نجل الوزارة عن ذلك .هما كانت وزارة ادارية أو سياسية أو ادارية
وسياسية معا .

وأمامنا الزمن وهو كفييل بتحقيق آمالنا

(٦ نوفمبر سنة ١٩١٩)

هذا هو ما يخص ما حدث ونحن نكتب اليوم حيا ل هذا الموضوع كلمتنا .
أراد المرحوم الشيخ محمد عبده إصلاح الأزهر الشريف وحاول
تحقيق أمينته ولكن الظروف حالت بينه وبين ما يريد . وليس لنا الآن
أن نبحث في سبب فشله خشية الخروج عن الغاية التي نرمى اليها في مقالنا .
ولما رأى المرحوم المفتي أن لا سبيل الى اصلاح الأزهر فكر في إنشاء
مدرسة القضاء الشرعي وسعى لذلك ولكن المنية وافته قبل تحقيق غايته .
بيد أن المشروع لم يمت بموته بل ظل حياً في قلوب تلاميذه فلما تولى أمر
وزارة المعارف صاحب المعالي سعد زغلول باشا كانت أول حسنة من
حسنته الكثيرة هي إنشاء مدرسة القضاء . فالتقى لها خيرة الاساتذة
ووضع لها برنامجا يشمل العلوم الدينية والكونية وظلت المدرسة في عهده
وبعد مغادرته المعارف كعبة لطلاب العلم وأخرجت للأمة مجموعة من
خيرة أبنائها علما وأدبا ارتقت مناصب القضاء الشرعي وبرهنت عن
كفاءة كبيرة هي وأختها مجموعة الأزهر الشريف . فأى ضرر يعود على
الأمة أو على القضاء من بقاء هذا المعهد الديني ورجال الأزهر الشريف
لا يرون فيه اعتداء على حقوقهم أو سلبا لها ! يقولون أن الأزهر الشريف
به عشرة آلاف طالب وأن مدرسة القضاء لا يزيد عدد طلابها عن أربعائة
وأنها تعد جزءاً من الأزهر الشريف فاذا أصلح الأزهر كانت الأمة في
غنى عن مدرسة القضاء وهذا هو سر تفكير الوزارة في مشروع اغلاق
المدرسة ونحن لا نرى فيما يقولونه الصواب . هب أن الامر كما يقولون
فأى ضرر يعود على الأمة إذا زاد عدد طلاب الأزهر بهذه النسبة

يبارك الحركة المصرية ويمدها بروح من عنده ليظهر الحق واضحا جليا
وينقضي عهد الاكاذيب والالاعيب السياسية وتنال مصر استقلالها
التام .

(نوفمبر سنة ١٩١٩)

مدرسة القضاء الشرعى

فوجىء العلماء والادباء والكتاب والطلاب بين معمم ومطر بش بخبر
كان المقطم أول من أذاعه ثم تناقلته الجرائد ألا وهو خبر مشروع اغلاق
مدرسة القضاء الشرعى . رددت الافواه ذلك الخبر فارتدت له الوجوه
وخفقت الافئدة وأصبح أمر اغلاق ذلك المعهد العلمى حديث الناس
فى بيوتهم وأنديتهم وعلى القهاوى ولا نغالى لو قلنا فى الطرق أيضا وفى
مركبات الترام .

وكتبت الجرائد كثيراً عنه ناشرة احتجاجات الطلبة ويسرنا أن
نرى فى طابعية من كتب واحتج طلبة الازهر الشريف وسافر لمقابلة
دولة الرئيس ومعالى وزير الحقانية وفد من أساتذة المدرسة .
وعادوا دون أن يفتقوا على بيان صريح يروى غلتهم ويطفىء أوارهم

(١) كتب المؤلف هذه المقالة على أثر اشاعة تداولتها الصحف بشأن

اغلاق مدرسة القضاء الشرعى .

بها ويكتبون ما يجول في خواطرهم ألا ترى لهم لونا خصيصاً يبشرتهم
ألا تسمع لكلامهم نعمة مصرية تفرقهم عن السوري والغربي بل عن
جميع سكان الارض .

هذه حقيقة لا نزاع فيها .

وتراهم أيضاً متفقى المشارب متحدى الاميال يسمعون لهدير النيل
أحاناً لا يعجب بها غيرهم من الناس ويرون في زرقة سمائمهم جمالا غاب
عن أهل الأرض جميعاً فاللغة واللون والنعمة والمشارب والاميال وأحان
النيل وزرقة السماء كل هذه الاشياء هي الوطن أيضاً .

تراهم لا ينسون مصائبهم والآههم وإذا حانت بواديههم نعمة من
نعم الله قاموا جميعاً مع اختلاف دياناتهم يشكرون الله على ما أولاهم به
من نعم . وما النعم والمصائب التي تحل بهم إلا رابطة قوية تربطهم ببعض
وهي أيضاً وطنهم العزيز .

فوطنك أيها المصري ايس هو بقعة الارض التي تعيش عليها بل هو
كل ما يهجس بخاطرك ويمر بمخيلتك من هواجس السعادة والآلام .
من أجل ذلك قت أيها المصري في الثالث عشر من شهر نوفمبر
انتحتفل بعيد استقلالك فحسنا فعات .

ومن أجل ذلك ما زلت تعمل لنيل استقلالك ومن أجل ذلك
تحي وتموت .

والسفور وهو جريدة مصرية قبل أن تكون خصيصاً بالفنون
والآداب والاجتماع تحيي أمتها العزيزة وتقف في صفها وتسأل الله أن

عليه وينقشوه على صدورهم إذ النيل كان وما زال وان يزال الى الأبد
كوثرهم الذى به يحبون وبغيره لا يكون لهم أثر فى الوجود ما

(١ يناير سنة ١٩٢٠)

الوطن^(١)

وطنك أيها المصرى هو تلك الارض التى تعيش عليها والتى تمتد
من الاسكندرية الى اسوان . هذا هو الوطن إذا أردت أن ترى فيه غير
بقعة من الارض تأكل ثمراتها وتنفس هواءها وتضم رجاها عظامك
إذا فاضت زوحك الى بارئها .

فى جوف هذه الارض ينام ميناء وروسيس ومحمد على وفوق هذه
الارض ترى الأهرام وأبا الهول وتلك الآثار القديمة التى تفتخر بها مصر
فليس الوطن إذاً هو بقعة الارض فحسب بل هو تاريخك أيضاً ذلك
التاريخ الذى يضم شتاتك والذى ترى لأجدادك فى بطونه صفحات
طاهرات .

وإذا نظرت أيها المصرى لمواطنيك ألا تجد لهم لغة حية يتكلمون

(١) كتبت هذه المقالة فى وقت احتفال المصريين بعيد الاستقلال

الموافق ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ .

والبحيرة أثر في الوجود بل كانت تلك القطعة من الأرض نجراً عجاجاً
تلتطم أمواجه وتضل فيه السفن . أما مصب النيل فكان في شمال الارض
التي بنى فيها أجدادنا فيما بعد مدينة منف وكان البحر الأبيض المتوسط
ياتظم مع الصحراء التي أقام فيها خوفو وكفرم ومنقرع الاهرامات . ثم
حمل النيل مع مرور السنين والاعوام الى هذا المثلث المائى طميه في كل عام
فتمكنت جزر قليلة تحولت الى أرض تكثر فيها المستنقعات ثم نشأت
الدلتا من العدم وانقسم النيل فيها الى ثلاثة فروع تبتدى من بلدة إسمها
كيريكسور Kerkusore الأول اسمه ييلوسياك Pélusiaque . متخذاً
طريق الشمال الشرقى الى صحراء الشام والثانى كانوبيك Canopique
متخذاً طريق الشمال الغربى الى صحراء ليبيا والثالث اسمه سينيتيك
Sebénnytique وكان يشق الدلتا الى قسمين . متساويين ويصب في البحر
الأبيض ونشأ عن هذه الفروع فروع أخرى طبيعية وصناعية يتراوح
عددها بين السبعة والاربعة عشر .

أما مساحة كماء الدلتا فهي نعم ٢٣٠٠ كيلومتر مربع وتزيد تلك
المساحة في كل عام . واستنتج المؤرخون أن تكوينها تم في مدة سبع
مائة وأربعين قرناً قياساً على أن الدلتا تزيد مساحتها متراً في كل عام وأن
هذا التكوين تم قبل ارتقاء منا أول . اوك . مصر عرش بلاده . قرون
عديدة ويزعم البعض أن هذا التكوين تم قبل أن يفد الى مصر
الجنس المصرى .

هذا هو تاريخ صغير لنهر النيل أيام الفراعنة أكتبه لمواطني ليفنوا

السوداء أو الخوشيت Khoushite وما رأوا فيه إلا نهراً عظيماً يشق صعيد بلادهم فيجني أمواتها وكنزاً عظيماً لا يفرغ ذهبه فعبدوه وأطلقوا عليه اسم المعبود حابي Hapi وحق لهم أن يعبدوا أباهم البر الرحيم . أما الكهنة فلم تضق حيلتهم عن معرفة منبع نهرهم أستغفر الله بل بحرمهم لأن أجدادنا كانوا يطلقون على النيل اسم البحر بدل النهر تجيلاً لشأنه وتعظيماً لقدسه . تصور الكهنة — وقد أخطأوا في تصورهم — منبع النيل في السماء ورأوا فيه مرآة تنعكس فيها مياه اللانهاية . تلك المياه التي تجرى عليها سفن الآلهة . وظنوا أن النيل يبتدىء في الأرض بين جزيرتي الأيلفتين Elephantine وفيها (أنس الوجود) Philae من بين صخور الشلال الأول ، ولم يعجبوا لفيضانه في كل حول وكيف يعجبون له وقد اعتقدوا أن مياه هذا الفيضان ما هي إلا دموع المعبود ايزيس Isis أما الناس فقد خبطوا في أمر منبع النيل خبط عشواء ودارت على الستهم قصة لا نعلم مصدرها قالوا فيها أن البحارة المصريين وصلوا وهم مسافرون إلى مناجم الفراعنة إلى منبع النيل في بلاد پوانيت Pouanite أما تجار العرب في القرون الوسطى فقد توهموا أن النيل يتصل بالحيط الهندي هذا هو اعتقاد الكهنة والناس وتجار العرب أيام الفراعنة ونحن لا نرى فيما اعتقدوه إلا أوهاماً لا حقيقة لها بعد أن عرفنا اليوم من أي منبع ينبع النيل .

أما الوجه البحري وهو ما نطاق عليه اسم الدلتا فقد كانت تغمره مياه البحر الأبيض . وما كان لمديرية الشرقية والدقهلية والمنوفية والغربية

ونأكل الخبز الاسود ، وننام في العراء ، إذا وجدنا كلمة منا قد اتفقت ،
وقلوبنا قد تأخت ، وآمالنا قد تحققت .
حقق الله الآمال .

(٨ يناير سنة ١٩٢٠)

نظرات في تاريخ مصر

(النيل في عهد الفراعنة)

تجاس في بيتك بين أبيك وأمك وأخوتك وأهلك بعد أن تتناول
معهم غذاءك ، تجلس جلسة طالب الراحة وتستسلم للتفكير وأنت
منشرح القلب مثلوج الصدر . لا ترى حولك من يعكر صفوك بعد
أن ملأت ومدتك الجائعة من طعام أبتنته أرض مصر - والطعام هو
الغاية التي من أجلها يعمل الانسان ويكد - وما مصر التي تنبت هذا
الطعام إلا هدية النيل . فالنيل مصدر نعمتك ومنبع حياتك ولولاه لما
رأت عينك نور السماء . فما أجهل أن نتحدث قليلا عن تاريخ ذلك النهر
الذي تفيض مياهه ذهباً عليك وعلى من تضيف من الاجانب .
عشاً حاول أجدادك الاقدمون الذين تجسد تماثيلهم في دار الآثار
وترى آثارهم . بعثرة في صعيد مصر أن يعرفوا منبع النيل . وعشاً حاولت
جيوشهم الظافرة أن تصل الى هذا المنبع وهي تقتفي آثار القبائل

هذه هي صفحة ماضيها ، ذلك الماضي الاسود الذي كنا ننام فيه على فراش من حرير خبأوا لنا في ثناياه الشوك ، والذي كنا نشرب فيه كأساً من العسل خلطوا لنا فيه السم . عشنا حقبة من الدهر ونحن على هذا الحال لا يخرج أملنا عن دائرة حاجياتنا الشخصية ، لهذا لم نعرف غير الفشل في جميع مشاريعنا ولهذا سرنا بأنفسنا الى حافة الهاوية تلك الهاوية العميقة التي تموت فيها الشخصية بعد إن كانت يانعة زاهرة ، وكاد أن يسدل الدهر ستاره الكثيف علينا وعلى تاريخنا الزاهر ، ذلك التاريخ القديم المجيد ، الذي تجلى فيه شخصيتنا من عهد مينا أول ماوك مصر الى عهد اسماعيل خديوها الأسبق . ذلك التاريخ تنطق صفحاته بما لا يقينا في حياتنا من سمادة تنشرح لها الصدور وتقر لها العيون ، ومن الأم تتألف لها القلوب لازالتها ومحوها ، وما السعادة والألم إلا الرباط الحيوى الذى تقوم به الامم الى ذروة المجد .

أما الآن فقد اعتمدنا على أنفسنا وتآخينا بعد أن تصافت قلوبنا ، وعرفنا أن الألم الذى يصيب المصرى فى أى بلد من بلاد الله يهتز له فؤاد المصرى فى أى بلد آخر . اليوم عرفنا الأمل الكبير ذلك الأمل الذى يرتكز على الاعتماد على النفس وعلى الثبات لهذا تجدنا سائرين فى طريق هذا الأمل ونحن واثقون من الفوز والنجاح وكيف لا ننجح ولا نفوز وقد قادتنا شخصيتنا فى هذا الطريق .

اليوم عرفنا بل أردنا أن نضحى وآمالنا الشخصية فى سبيل ذلك الأمل الكبير ، أمل الأمة بأسرها . وما أجل أن نشرب الماء الآسن

اليوم باسم لنا نغر الامل من بعيد فعسى أن يكون عامنا الجديد
تحقق فيه أمنيته فييسم لنا نغر الامل من قريب .

ولقد عشنا نحن المصريين حيناً من الدهر بغير أمل ، لأننا كنا لا
نعتمد على أنفسنا ونخاف الثبات في كل أعمالنا . ولرب قائل يقول وهل
يعيش الانسان من غير أمل ؟ الطفل في حجر أمه يأمل أن ترضعه ثديها ،
والصبي في مكتبه يأمل أن يخرج الى الهواء الطلق ليلهو مع رفقاته .
والشاب يأمل أن يقترب من يحب . والرجل يأمل أن يكتسب ما يقوم
بأود أسرته ، والشيخ يأمل أن يرى أولاده قد سلكوا في حياتهم طريقاً
شريعياً يرفع أسماءهم الى أوج المجد فيعلمو شأنه أيضاً ويموت قرير العين
باسم الثغر . فالامل غريزة في النفس والمصرى أيضاً ذا أمل في الحياة .
ونحن لا ننكر ذلك ، وهل ننكر الحقيقة التي تراها العين وتسكاد

تلمسها اليد ؟ ولكننا لا نتكلم في هذا المقال عن الامل الشخصي الذي
لا يعود على صاحبه إلا بالفوز الشخصي أيضاً . ولكننا نتكلم عن أمل
المجموع ، عن أمل الامة بأسرها ، ذلك الامل الفتي الناهض الذي يهز
القلوب دفعة واحدة . فان تحقق ، وجدت الوجوه من الاسكندرية الى
اسوان باسمه مشرقة تقرأ فيها آيات السرور والغبطة .

هذا هو الامل الكبير الذي كنا نجمله حيناً من الدهر ، وما جهلناه
إلا لأننا كنا لا نعتمد على أنفسنا ولا يركن المصرى منا الى أخيه
المصرى . ومثل هذا الامل لا يتحقق إلا بالثبات . وأين هو الثبات اذا
كانت القلوب متنافرة لا تقرر على رأى .

يكونون كذلك وقد تنفسوا هواء مصر وأكلوا طعام مصر وشربوا مياه مصر . فوقفوا حياتهم على خدمة مصر بعد أن ضموا صدورهم لصدور الشعب والشعب يفدى صدورهم بأرواحه .

هذه هي سلالة محمد على الذى جاء الى مصر ليتخذها موطناً يعمل ويكد لا يتقاه من الدمار ، هذه هي سلالة محمد على الذى نبغ منها ابراهيم القائد الحربى الذى هزم الأتراك فى ربوع الشام وخلص مصر مجدداً لا يساويه مجد والتي نبغ منها اسماعيل الذى أدخل التمدن الحديث الى مصر ولذا قال (اليوم أعد بلدى جزءاً من أوروبا) .

ونحن لا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نهنيء أمتنا المصرية بفوزها الجديد ونهنيء أمراءنا الكرام بما نالوه من الثقة فى نفوس الأمة ولتحجى مصر وليحجى الامراء وليحجى الاستقلال التام

(١٥ يناير سنة ١٩٢٠)

العام الجديد

نستقبل العام الجديد بقلوب قوية وأوجه باسمه مستبشرة يعاوها الفرح والسرور . وكيف لا يكون أمرنا كذلك وقد اتفقت كلمتنا واتحدت قلوبنا وظهرت شخصيتنا المصرية أمام الامم واضحة جلية تحمل فى يدها علم مصرى ، علم الاخاء والثبات والحرية والاستقلال .

ينشر البرقيات من جميع أنحاء القطر ثم قرأنا بريقة عميد الوطنية سعد باشا
زغول يهني فيها الأمة بهذا الفوز الجديد الذي أثبت للعالم أجمع أننا كتلة
واحدة لا تؤثر فيها المؤثرات ولا تتغلب عليها الصعوبات والعقبات .

نحن لا نندeshن لفرح الأمة وإغتهاؤها بذلك المنشور الكريم ولا
ندeshن لما قامت به سلالة البطل الكبير محمد علي منقذ مصر من الدمار
والخراب .

أجل نحن لا نندeshن لكل ذلك ولكننا نندeshن لامر آخر وهو
أننا نرى الأمراء في كل بقعة من بقاع الارض بمنزل عن بني جلدتهم ،
يعيشون عيشة لا تتفق مع روح الديمقراطية التي أصبحت دين للناس
في العالم المتمدن ، ويصاحبون جماعة من جو لا يلائم الجو الذي تعيش
فيه بقية الناس ، ويضمنون على وطنهم بالخدمات التي ربما يعجز غيرهم
عن أدائها . فهم في واد والناس في واد .

هذا هو المعروف عن الأمراء أما أمراءنا فقد جاء منشورهم طبق
مرام الأمة بل رأينا فيه روح الديمقراطية تجلي للعيون كالشمس في
رابعة النهار .

اليوم نفتخر بأننا ديمقراطيون جميعاً متحد سويًا ونكتف في سبيل
تحرير مصر تلك البلد التي لم يرتكب أهلها جريمة غير حبهم لها وتفانيهم
في خدمتها .

أما أمراءنا فقد أثبتوا للعالم أنهم مصريون قبل كل شيء وكيف لا

منهم فقد ابتدأت في فهم ذلك بل في خلع ذلك الرداء المرث وارتداء تلك الحلة الجديدة الجميلة التي يحق لهم أن يتزينوا بها في كل عمل يهمون بادائه لأنفسهم أو لوطنهم وأداء العمل الشخصي بما يقضى به الواجب هو في الحقيقة أداء جزء من العمل الذي يتطلبه الوطن .

ربما كان في فهم الشبيبة المصرية للشخصية المصرية بعض من التقليد والتصنع ولكنه إن لم يتحول عاجلاً إلى طبيعة محمودة وغريزة في النفس فسوف يتحول عاجلاً في نفوس أبناء هذه الشبيبة ويصبح غريزة تصحب النفوس من ساعة أن ترى العيون نور السماء .

هذا ما أريد كتابته للشبيبة بل هذا ما ألفت أنظار الكتاب له حتى تبلغ بهم مصر غايتها المنشودة
(١٠ أغسطس سنة ١٩١٨)

أمرأؤنا (١)

كان المنشور الأمراء في الأسبوع الماضي وقع جميل في صدور الناس جميعاً كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، رفيعهم ووضيعهم . وجدنا أمتنا المصرية قد انتعشت منها القلوب ساعة تلاوة المنشور وجدنا الجرائد

(١) كتب هذا المقال بمناسبة انضمام أمراء البيت السلطاني لصف

الأمة في الحركة المصرية عام ١٩١٩

تاركا مشروعه في يد الأعمال ثم الموت . هذا ما يقال عن المصرى في كل بلد وهذا ما أثبتته التجارب ، وإنها حقيقة مرة تؤلم النفوس الحية ولكننا لا يسعنا إلا الاقرار بها لأن الأقرار بالضعف قوة ربما اتجت نتيجة حسنة تعود بالخير والمنفعة . تقول الناس عن المصرى ذلك ومنهم من يجد السبب في جهل الضارب أطا به على سواد المصريين ومنهم من يجده في تأثير الطقس على نفوس المصريين ومنهم من يجده في غير ذلك . وقل من يجده في جهل المصرى لشخصيته وجهل الشخصية هو الباعث الأقوى على عدم الاعتماد على النفس وعلى الاتكال على الغير والاتكال على الغير يسوق المرء الى هوة الموت الأدبي التي ترقد فيها النفوس رقدة طويلة لا تستيقظ بعدها لأى عمل نافع

ليس الجهل هو السبب في فشل المصرى فكلم من أمة جاهلة ارتقت تدريجيا الى مصاف غيرها من الأمم المتعلمة وليس الطقس هو السبب في خمول المصرى وكسله وكيف يكون الطقس سبب ذلك والأجنبي يعيش معنا تحت السماء التي تظللنا ولكنه يعمل ونحن ننام

نحن قوم لنا تاريخ يجمعنا نعيش به في بقعة من الأرض حدودها معلومة للأجنبي وللوطني . ولنا لغة واحدة تتفاهم بها بل ولا جسامنا لون واحد يكاد يكون عاماً ، فنحن إذا أمة حية تعرف ما عليها وما لها ويحق لكل فرد من أفرادها أن تعرف أنه مصرى يعيش لمصر ويحي من أجهلها ، حتى إذا عرف ذلك كل المعرفة أمكنه أن يعتمد على نفسه في أى عمل يقوم به . هذا مع الأسف ما يجهله عامة المصريين أء الشبية

فواجب المجمع العلمى حيال ذلك أن ينتقى اللفظ الذى يرضاه الجمهور وإلا أعرض الناس عن الفـاظه وكان عمله بلا فائدة ولا نفع وكم من كلمة افرنسية كانت من لغة (الآرجو) أدخلها المجمع العلمى الافرنسى فى القاموس وأصبحت افرنسية يستعملها الكاتب والشاعر .
ويا حبذا لو أرسل الله لمصر كاتباً محبوباً تقرأ رواياته الناس أجمعون يستعمل الالفاظ التى صقلها اللسان والالفاظ السهلة القديمة حتى يعود عليها القارىء ويألفها بعد نفوره .

هذا ما يتحدث به الناس فى المنتديات وفى بيوتهم ويا حبذا لو ضم المجمع بين أعضائه المشرع والطبيب والمهندس والزراعى والتجارى حتى يتعاون الاعضاء على وضع الالفاظ الجديدة العلمية ويكون وضعها صحيحاً لا تشوبه شائبة .

هذا ما أردت كتابته على صفحات السفور وإنى آمل أن نجد فى المجمع المصرى أمنية كل محب لبلاده غيور على لغته وليس هذا ببعيد على أعضاء النادى الكرام .

١٨ يونيو سنة ١٩١٧

شخصيتنا

يقولون عن المصرى أنه عاجز عن القيام بعمل هام تحفه المخاطر ، وإن أقدم عليه لا يلبث أن يرجع القهقرى بعد ان يسير فى طريقه قليلا

فلو صادفتنا مثلا كلمة (خاوى) وقفنا ونحن لا نعرف أنطقها بضم
الخاء أو بكسرها فلا بأس اذن من وضع الكسرة تحت الخاء حتى
ننطقها صحيحا .

كل هذه الأفكار صائبة سيفكر فيها المجمع الجديد وينتخب منها
الأسهل والأصح بل سيفكر أيضا في آراء جديدة ربما كانت أسهل
مثالا وأقرب للصواب والصحة .

أما مسألة الالفاظ الجديدة العامية التي تخلو منها اللغة العربية
فأما من باب الاشتقاق وباب التعريب وعندنا من الكلمات القديمة
المهجورة ما يصح أن نطلقه على كل لفظ جديد لا نجد له مرادفا عربيا
على أنى لا أريد أن نأبى استعمال اللفظ الأفرنجي اذا صقله اللسان وفي
القرآن دليل ساطع على صحة قولى اذ فيه من الالفاظ الفارسية ما يسوغ
استعمال اللفظ الأفرنجي وليس بعار على اللغة العربية وان كانت أغنى
اللغات وأوسعها أن تدخل فيها الالفاظ الجديدة الأفرنجية ، وما من لغة
حية قائمة بنفسها دون احتياجها لمعونة اللغات الأخرى . وعلام تنف أمام
اللفظ الأفرنجي نعاذيه ونأبى استعماله بعد أن صقله اللسان . اللغة هي ما
يتكلم به اللسان فلهذا اذا نستعمل اللفظ المهجور ونأبى استعمال اللفظ السهل
ان كان إفرنجيا .

أنا لا أقول بهجر الالفاظ القديمة ويا حبذا لو لم نجتثها عنها وعرضناها
على الكتاب والجمهور فان صادفت استحسانا أستعمات وان شها
الذوق أهملت .

قوة ، فيعمد لوضع كل كلمة جديدة بين قوسين إذا جاءت ضمن كتاباته .
تلك هي الصعوبات التي تعتمود طريق كل كاتب مصرى والتي من
أجلها ألف المجمع اللغوى جامعاً تحت لوائه المعمم والمطربش والتي نأمل
أن يزيها في القريب العاجل .

فكر المفكرون قبل ذلك وتضاربت في ذلك الافكار والآراء
فمنهم من ذهب بفكره بعيداً واراد تغيير الجروف العربية الى حروف
افرنكية تسمح بكتابة الحرف المتحرك *Voyelle* حتى لا يجد القارىء
صعوبة في القراءة فيقرأ صحيحاً ثم يتكلم صحيحاً .

لا مشاحة في أن الفكرة صائبة ولا مشاحة أيضا في أنها ضربة
قاضية على الشخصية المصرية التي يسعى إليها كل وطنى صادق الوطنية
ولهذا قوبلت تلك الفكرة المضرة المفيدة بالاعراض وحق لنا أن
نعرض عنها ونضرب بها عرض الحائط .

ومن المفكرين من فكر في كتابة الحرف المتحرك المصرى وأعنى
به ال « أ ، و ، ي » فنكتب كلمة (كتب) مثلاً هكذا (كانابا) وإذا
صادفنا كلمة كانت تكتب فيها هذه الاحرف الثلاثة من قبل وضعنا
المدة كما يضع الافرنجى ال (*Accent*) فنكتب مثلاً كلمة (كتاب)
هكذا (كيتاب) ونكتب كلمة (محفوظ) هكذا (ماحفوظ) وبهذا
يتسنى لنا أن نكتب كما نتكلم وأن نقرأ صحيحاً ثم نتكلم صحيحاً .

ومن المفكرين من فكر في وضع الشكل في كل ما نكتب ومنهم
من فكر في وضع الشكل على الأحرف التي يلتبس على القارىء نطقها

وتسحب له ذيلك ولكنك في حل من أن تتصحفه وتستوضحه وتثاب فيه خواطرك حتى تغرق في البحث فتقف على مكان الضعف والقوة فيه وتكون حينئذ حراً في قبوله أو رفضه .

وأى خطر يدام الأمة إن هي فوجئت بأراء جديدة ؟
لا مشاحة في أن كل رأى صائب يبقى رغم أنف كل مستمجن له وأن كل رأى فاسد يضمحل ويموت وينسى . مهما كان معزراً . ومهما تمادى صاحبه في ضلاله وغلا في جهالته . لا تخف إن عاش الرأى الواهن حقة من الدهر لأنه يعيش وهو مهدد الى أن يتغلب عليه الرأى الصائب وما الدنيا إلا ميدان عراك يتصارع فيها أصحاب الحقيقة ومجدو الجهالة والله نصير الحق فلا يلبث كل ذى صواب أن يفوز ولا يلبث كل ذى خطأ أن يلوى عنانه ويتصر عن باطله فتظهر الحقيقة ناصعة للناظرين .

١٠ أغسطس سنة ١٩١٧

المجمع اللغوى

يقراً الاجنبى ليتعلم ويتعلم المصرى ليقرأ وفي ذلك ما يدعو المصرى لاعمال الفكرة حتى يرتقى بلغته الى مصاف اللغات الاجنبية . ويجد الاجنبى اسكل مخترع جديد كلمة يستعملها في كلامه وكتاباتة بعد أن يصقها لسانه ، ويقف المصرى حيال ذلك وقفه العاجز لا حول له ولا

علينا نحن أبناءهم أن ننقض رأياً اتفقوا عليه وأن نجادلهم في قضية أثبتوا صحتها في كتبهم فليلق كل منا سلاحه أمام أدلتهم وبراهينهم مهما كان وثيق الحجّة شديد اللداد .

وفلان يحترم آراء السالفين ويحل أعمالهم وسعيهم في تحقيق كل ما وقع تحت عيونهم ولكنه يود أن يكون له بعض ما كان لهم من الحرية في البحث والتنقيب حتى يجيء الرأي الصائب ويموت الرأي الواهن . مهما تسايرت أهواء الناس على صحته . كل له الحرية في البحث وليس من العار أن يأتي الانسان بفكرة شجذ لها غرار رأيه واثبت له غيره أنها غير صحيحة وانما العار كل العار أن يستقصى الانسان في البحث عن رأى جديد ثم يرضن به على قومه أو يضرب عنه صفحاً لأنه جديد لم يتفق على صحته أحد من السالفين .

لم يزل العلم في جو الطفولة بالرغم مما أتى به علماء الماضي والحاضر والحقيقة التي اتفقنا عليها ما زالت تحيط بها الشكوك والظنون فأن تمسكنا بالقديم كنا كمن يريد أن يوقف تيار العلم أو كمن يتنجحى عن العمل لسواه فيدبّقه الى التحقيق والبحث قوم آخرون ويرجع هو وقومه القهقري أمام أقدام الآخرين وانه لعار علينا في القرن العشرين أن لا نفيق من رقدتنا الطويلة بعد أن رأينا ما ضحاه الغربيون في سبيل احياء العلوم وتحقيق كل غامض فيها .

لا نزاع في أن الفكرة الجديدة جميلة وإن كانت غير صائبة . أنت بلا شك تستمبج الجديد لأنك تفاجأ به على غرة قبل أن تأخذ له عدتك

عجبهم والله يعلم أنى أذفع عن الحقيقة وأبسطها أمام أعيننا كي نشعر يوماً بما نحن فيه من التأخر والتقهقر لئيب من نومنا العميق مرة واحدة ونعمل لمجاراة الاجنبي ثم للفوز عليه . فحتى تتحقق هذه الآمال ومتى يرمى المصرى وراء ظهره السكسل ومتى يقدم على الحياة غير هيب لا خطارها ومتى يقال عنه أنه لا يخاف الحياة ؟؟

(ليون ٧ نوفمبر سنة ١٩١٣)

الافكار القديمة والحديثة

فلان يمشق الكتب القديمة ولا يتصفح سواها يتعنى في المجالس بما تحويه بطونها ويستشهد في كتاباته بجامل حكمها فهو في نظر الناس عالم فاضل مطبوع على البيان متفنن في ضروب الخطاب . إن تكلم كان بسيط اللسان رحيب المجال وإن كتب كان مليح الفصول رائق الفقر . إن أتت به برأى يخالف رأيه أو غرت صدره واقتدحت غضبه فرمك بالجهل والتعمدى على العلماء السالفين الذين لا تحقق آثارهم ولا يشق غبارهم . وإن جئت به برأى جديد لم يسمع به أحد من قبل قال عنه أنه غامض مبهم تخامره فيه الشكوك وتجاوز به الظنون . هذا هو شأن كثير من علماءنا الاجلاء الذين نشأوا في جو القديم فمز عليهم أن يطرق آذانهم الجديد . يظنون أن آباءنا وأجدادنا عاشوا في عصر كان العلم فيه زاهراً فخرام

بلادنا الزراعية والتجارية والمالية وهذا ماقله رئيس جمهورية الصين يواى شى كاي عن أهل بلده فى حديث له مع أحد مراسلى جريدة الطان وكأنه تكلم عن لسان المصريين لان هذا الداء الذى تفشى بيننا قد تفشى من قبل بينهم . قال : « أنا لا أفكر فى ترك الآداب كلية ولكن أجد الآن أن ثمانين فى المائة من شباننا يدرسون القوانين والعلوم السياسية وبها يضيعون أوقاتهم فيما لا فائدة منه . فالواجب عل الجمهورية أن ترمى بأنظارها الى الاشياء العمالية كالعلوم الصناعية مثلا وذلك لزيادة ثروة البلاد خصوصا فى أراض كأرضى الصين تكثر فيها الكنوز »

أجل إن البلد الذى تبطل فيه الحركة الأدبية يكون كالجسم الذى يعيش بلا قاب يحس ويشعر . ولهذا وجب على كل أمة أن تكون لها هذه الحركة ولكنه لا يجب أن يتسبب عنها التقاليد والخوف من الخوض فى مضمار الحياة ثم الشكوى بعد ذلك من أن الاجنبى اغتصب البلاد وأدارها ونهب ثروتها وخيراتها واستخرج كنوزها لم نجد كل الشركات فى مصر أجنبية؟ لانا نحاف أن ننشى لأنفسنا شركات . ولماذا نجد أموالنا فى أيدي الافرنجى؟ لأنه ليست لنا مصارف وطنية

نحن ندافع عن أنفسنا كما يدافع العاجز عن نفسه فيكثر كلامنا ويقل عملنا . والأجنبي لا يتكلم ولكنه يعمل وعمله خير سلاح يدفع به غاراتنا

ربما ظن البعض انى أدافع عن الافرنجى أو انى عاشق لهم متفان فى

في أوروبا مدارس لم يدخاها مصري بعد أو دخاها القايلون . لا نجد
أحداً منا يدرس الكيمياء العملية أو الكهرباء أو علوم الهندسة والزراعة
أو العلوم الفلسفية وكلنا لا نريد أن نتعلم هذه العلوم النفيسة لانا نخشى
أن لا نعيش بها في مصر وذلك لأنه ليست لنا ثقة بنفوسنا ولأننا
لا نقدم على عمل لا تدفعنا اليه الحكومة

حرام على نفس المصري أن تكون محرومة من الاقدام بلا
مساعدة من كبير . حرام على المصري أن يخاف الحياة ولا خوف من
الحياة . أصبحنا نلتصق بالتوظيف حتى أن من درس منا التجارة بحث له
عن خدمة في بنك مع أن أخاه السوري يسافر الى أمريكا ويشغل ولا
يخاف الحياة . ومن درس منا الزراعة يسأل كل يوم عن اليوم الذي ستنشأ
فيه نظارة الزراعة بدل أن يقضى وقته في أرض له أو في أخرى
يستأجرها ليعمل فيها تجارياً التي تثمر له يوماً ما ثمرة تعود عليه وعلى
وطنه بالنفع العميم .

تجد الأب منا يود أن لا يفارقه ابنه وتجد الابن لا يبحث عن كسب
رزقه خارج بلده . يظن المصري أن حب وطنه هو المكوث فيه ويعبد
الآباء أبناءهم الذين يتركونهم للعمل في بلد غير بلادهم خائنين للوطنية والدين
كارهين عوائد بلادهم عاشقين قوماً لا ينتسبون اليهم .

ثمانون في المائة منا في أوروبا يدرسون الحقوق والاقتصاد والسياسة
وبلادنا أشد احتياجاً للعلوم العملية منها لهذه العلوم . أنا لا أريد أن تترك
العلوم الادبية ولكني أريد أن نعتنى بالعلوم العملية أيضاً حتى تتقدم حالة

هذا هو المرض الجديد الذي حل بنفوسنا وأصبح عقبة كؤوداً
في سبيل تقدمنا ونجاحنا

ماتت في نفوسنا عزيمة المخاطرة في الحياة . ولهذا أردنا أن نتعلم
عاماً بعيداً عن كل المجهودات الشخصية ولقد استاصل في نفوسنا حب
التوظف في الحكومة لاننا أصبحنا نخاف جهاد الحياة

قصرنا همتنا على تعلم القضاء والطب والهندسة لاعتقادنا بأن
الحكومة تفتح أبوابها إذا أتيناها حاملين شهادات هذه العلوم ونسينا أن
بلادنا التي تتألم من تعاستها والتي ترزح تحت أحمال الشقاء تستغيث
صارخة ولكننا نضع أصابعنا في آذاننا كي لا نسمع أنيها وذلك لاننا أصبحنا
نخاف الحياة .

الرجل خالق في هذه الحياة ليعمل فان نجح استحق الثناء والفخر
وان خسر كان جزاؤه اللوم وهو في الحالتين سعيد لان التعس هو من
قضى حياته دون أن يمدحه أو يلومه أحد . ولقد قال عن هذه الفئة دانتى
الشاعر التليانى الشهير « هؤلاء قوم قد طردتهم الجنة لانهم يفسدون
جمالها ولم يقبلهم الجحيم لان مجرميها يفتخرون بهم » ولقد كتب عنهم
هنرى برود الكاتب الروائى الفرنسى الشهير « الحياة دار عراك وموارد
الرزق فيها كثيرة ولكننا لم نعرف بعد كل هذه الموارد أو نحن نتغافل
عنها لاننا نخشى أن نسلك الطرق التي توصلنا اليها لانها محفوفة بالاطار
والمخاوف ولهذا تركناها لقوم غيرنا سالكها منهم الا كثرون فوصلوا
الى أمنيتهم وفازوا بمطلوبهم »

الخوف من الحياة

مصر بلد شرقى دخله الاورباويون ودخله معهم تمدنهم الغربى .
واقدم أحسن أهله بذلك التيار الجارف فأرادوا مقاومته جهدهم فضعفت
همتهم وكلت عزيمتهم ولم ينفعهم ما ورثوه عن آبائهم من التجارب ،
ففهموا أن ما بين أيديهم من العلوم وبالأخص العلوم العملية لا ينفعهم
لمجاراة هؤلاء القوم ولهذا أرادوا أن يقفوا على كنوز الافرنج فبادروا
بإرسال أولادهم الى أوروبا ليقتفوا ثمار العلم ويعودوا بها الى بلادهم

ولقد انتشر المصريون فى انكلترا واسكتلندا وفرنسا انتشاراً هائلاً
حتى انه أصبحت لا تخلو كلية واحدة منهم . ولهذا أمنا بلادنا خيراً
عاجلاً وسألنا الله تحقيق هذه الآمال

وايكن نجم ذلك الامل الكبير بدأ بالافول لان الباحثين
عن الحقيقة وجدوا أن الحركة الجديدة المباركة لم تمش الا فى ثلاث طرق
كثير عدد من سلكها من المصريين

أصبحنا لا نذهب لاوروبا لتعلم ما فقدته بلادنا من العلوم النفيسة
بل نحن نحمل متاعب السفر وشدائد الغربة لنكون أطباء أو مهندسين
أو قضائين فقط ورجبتنا الكبرى فى ذلك أن نجد لنا مركزاً فى
الحكومة يضمن لنا مستقبلاً لا تحفه متاعب الحياة

الكتاب الثالث

الأدب والاجتماع

مجموعة مقالات أدبية واجتماعية

مهشم الجبهة مغهض العينين يلتحف السكون والجلال .
هو تمثال الحقيقة حلوة كانت أو مرّة .
منه عرفنا مجد مصر القديم ومن بابه نسمع أناتها المتتابعة .
عارى الجسد أسمر اللون يحمل فى صدره آلام الأيام .
لم يفضق صدره بالمصائب ولم تذرّف محاجرّه دموع الأواء .
ثابت الجأش لم يتحول عن مكانه القديم ولم تسلب بعد دماؤه الحمراء .

فى سفحه تشعر النفس بالهيبه والحزن .
هناك تذهب الأم الثاكل لتندب أولادها .
وهناك يذهب العاشق لبيكى عشيقته .
وهناك يجاس الشاعر على صخر أصم يذكر مجد بلاده الضائع .

عليه مسحة من الجمال لا يعرفها إلا كل فنى .
منه تستمد أنفـس المجاهدين قوة هائلة .
ومنّه ينبثق على مصر فى جنح الليل شعاع الأمل .
هو كتاب الوطنية .
على صفحته الأولى كتبت الحقيقة من ذهب : مصر المصريين
(١٣) نوفمبر سنة ١٩١٩

- ٨ -

أنا لا أسكن الآن لفائف القطن ولكني أسكن صدر الفتاة .
إنها لا تفارق سريرها الآن . لقد دب في جسدها النحول وغارت عيناها
الجميلتان وخفت صوتها الساحر وأصبحت كالجثة الهامدة لا تتحرك
إلا إذا مدت يديها إلى تستنشق من غلائي الذابلة ببقية أريج ذلك
الحب القديم .

- ٩ -

اليوم ناحت النعشات ودوى في المنزل الصغير صراخ تلك الخالة
المسكينة . اليوم حملوا جثة الفتاة وساروا بنعشها بين الحقول إلى أن
وصلوا إلى المقبرة وهناك وضعوا النعامة في حفرة مظلمة ووضعوني على
صدرها ثم أهالوا التراب علينا .

وثروا على القبر زهوراً قليلة ولكنهم بللوه بدموع كثيرة من

(١٦ يناير سنة ١٩١٩)

الهرم الأكبر

يطل على القاهرة من شاهق كأنه رسول مجدها القديم .
على صخورها العابسة ، وعلى رماله الصفراء كتب الدهر بمخالبه
السوداء تاريخ مصر .

آمال أبيه) ثم جلست القرفصاء وقالت (أين أنت يا أمي أين أنت يا أبي)
وأعدتني الى لفائف القطن وخرجت من الغرفة
مسكينة تلك الفتاة أنها حقاً يتيمة لا أب لها ولا أم

- ٦ -

لبثنا ثلاثة اشهر والخطابات لا تنقطع . تارة تسمعني الفتاة خطابات
حبيبها وطوراً تتلو على خطاباتنا قبل ان تضعها في صندوق البريد ، ثم
دخلت غرفتها في صبيحة يوم من الايام وقالت لي بعد أن انتزعتني من
لفائف القطن (يا زهرة الحب ونبع الذكري والوفاء ، بدأ الحبيب أن
يل الكتابة . لقد تأخر خطابه وقديماً يتولى النسيان نكث العهود)
ثم بكت وارسلت زفراتها وسمعت شبيهة يتردد في صدرها الخافق .
مسكينة تلك الفتاة لقد بدأت أن تستيقظ من حلمها اللذيذ .

- ٧ -

ومضت ثلاثة أشهر أخرى فدخلت الفتاة في غرفتها وقالت لي
(يا زهرة ال . . . ونبع الذكري والوفاء . معذرة ايها الزهرة الذبابة اذا
إذا لم أدعك بزهرة الحب فقد جف عوده وتهدمت اركانها . لقد نسي
الحبيب غرامه ونكث عهده وما قلب الرجل إلا كاطائر يتنقل من
غصن الى غصن) .

ولم تباك الفتاة ولكني رأيت وجهها أصفر اللون وصدرها يعالو
ويهبط وقرأت في عينيها سطوراً خطته يد الألم الصامت والهم الدفين .
مسكينة تلك الفتاة لقد انقضى حلمها اللذيذ .

من أحب لفراق أخاله ألبدا ، هو غنى وأنا فقيرة هو سعيد وأنا تمسة
وحرام أن أهدم سمادته وأحطم آمالي . ولكنني صادقة الوعد كريمة
المهد وسوف أنى له بمهدى . تلك عين بررت بها . وأفضيتها على
الصدق) .

ثم وقف القطار فى محطات كثيرة الى أن وصل الى محطة صغيرة
نزلت فيها الفتاة وهى تحمانى على صدرها

وسارت فى طريقها الى أن وصلت الى دار حقيرة صعدت سلمها
فقابلتها امرأة عجور وتعانقا عنقا طويلا ثم قالت الفتاة (لقد أتيت
يا خالتي اليك وفى دارك التى عصا ترحلى . لم أنجح فى المدينة فأثرت
أن أعمل هنا فى البلدة الصغيرة) ومكثتا يتحدثان الى أن أقبل الليل وآوى
كل الى مضجعه . مسكينة تلك الفتاة لها يتيمة لا أب لها ولا أم

مر يومان على هذا الحادث فدخلت الفتاة فى نرقها وهى ضاحكة
السن وفى يدها مكتوب

ثم انتزعتنى من لفائف القطن التى وضعتنى فيها خوفا على أن أذبل
وأموت وقرأت أمامى الخطاب ثم قالت (يا زهرة الحُب ويا نبع الذكرى
والوفاء ، هاك كتاب من أحب . انه يقيم على وعده وحاشا لمن له أن
يندرجى) ثم تهتت وسحت أجفانها بالدموع وقالت (أمل لا يطول .
هو غنى وأنا فقيرة ، هو سعيد وأنا تمسة وحرام أن أهدم سمادته وأحطم

الشاب على افريز المحطة وهو يجهانى على صدره وكان ينظر تارة الى الارض وطوراً الى السماء ويخرج ساعته من جيبه وينظر فيها ثم نشط من عقاله وهم يستقبل شخصاً لم تر عينى أجمل منه .

وحدقت نظرى فى الشخص القادم فوجدته فتاة رقيقة ناعمة هيضاء القوام سمراء الوجه تلوح عليها ديباجة الحسن وينبعث من عينيها بريق العفاف والطهر .

ثم تعانقا فشمرت بلهيب تلك النار التى كانت تتأجج فى صدريهما وافتراق خشية أن تحرقنى تلك النار . وركبت الفتاة فى عربة من عربات القطار فنزعنى الشاب من صدره وأعطانى للفتاة وهو يقول (اليك هديتى ، اليك زهرة الحب ، اليك نبع الذكرى والوفاء) فأمسكت بى ووضعتنى فى صدرها .

ثم دق الحارس الناقوس وسمعنا صفير القاطرة تتأهب للرحيل فسالت دموع الفتى والفتاة وتعانقا مرة أخرى ثم سار القطار بين المروج الخضراء .

كنت فى حديقة القصر زهرة الحسن والجمال فأصبحت على صدر الفتاة زهرة الحب ونبع الذكرى والوفاء .

جلست الفتاة فى غرفة من غرف العربة وهى تلمثنى وتضمينى وتبللنى بدموعها ولم يكن فى الغرفة سوانا فحدثتنى الفتاة قائلة . (يا زهرة الحب ويا نبع الذكرى والوفاء . لقد حكم الدهر بينى وبين

الندى وهى تتساقط على غلائقى البيضاء . أنا فى هذه الحديقة زهرة
الحسن والجمال

— ٢ —

استيقظت فى فجر اليوم فوجدت أمامى شابا وضىء الطلعة رقيق
القشرة يترقق فى وجهه ماء الجمال ينن ويبكى ويمشى فى الحديقة مشية
الحائر اليأس ثم يعود الى ويقف أمامى وهو ساهى الطرف قلق الخاطر .
مسكين أيها الشاب الجميل . ما الذى استوقد صدرك ومزق أحشاءك
وعلام أنت متاهف القاب ناكس البصر ؟ ... ومن أنت ؟ ...
لا تجيب أيها الشاب لقد عرفتك . أنت ابن رب الدار . أنت غنى ابن
غنى وسرى ابن سرى ، تسكن القصر المنيف وتلبس الحرير وتنام على
الدمقس فعلام تبكى وتلتجب ؟ ... ما الذى تفعله أيها الشاب ...
قف لا تتقدم ... لا تمد يدك الى . حرام أن تقطفنى وأنا فى ربيع العمر
صبرا أيها الشاب انتظر .

ولكنه لم يأبه لقولى ، لقد مديده الى وقطع ساقى الجميل وصعدنى
على السلم ثم دخل غرفته وهناك بلانى بدموعه الحارة فاهتزجت دموعه
بقطرات الندى .

— ٣ —

ثم أشرقت الشمس فوضعتنى على صدره وغادرنا الدار معاً وأنا لا
أعلم الى أين يسوقنا القدر . ثم وصلنا لبناء كبير اجتزنا بابه ودخلنا فناءه
وهناك سمعت صغيراً ورأيت دخاناً فعلمت أننا فى محطة كبيرة ومشى

تنبض القلوب . حب البقاء ! آه . لاجله تتألم ولاجله نشق ولاجله
لا نترك الحياة إلا مرغمين
(٦ ابريل سنة ١٩١٧)

حديث زهرة

— ١ —

ما أجمل الربيع الذى وُلدتُ فيه ، وما أجمل الشمس التى تبزغ فى
الصباح فتملأ جسمى حرارة ، وما أجمل سلم القصر الكبير الذى
نشأت فى حديثه أرى الناس تصعد اليه وهم ينظرون الى نظرة إعجاب
وتارة يتسمون ابتسامة حلوة لذينة أرقص لها طرباً وأميل تيهاً ودلالاً .
وإذا مشى رب الدار فى الحديقة يقف امامى ويمد يده الىَّ ثم تأخذه
الشفقة على جمالى الفاتن فيسير فى طريقه وهو يتسم . وما رب الدار الا
رجل من سرة القوم وأغنيائهم منيع الحوزة عزيز الجانب قطع من الحياة
مرحلة كبيرة ولكنه ما زال غض الآهات صبيح الوجه .

أنا بيضاء اللون جميلة الشكل تبللنى قطرات الندى فى الفجر وتنعشنى
أشعة الشمس فى الصباح وتؤلنى حرارتها فى منتصف النهار . وإذا مر بى
النسيم وقد ماتت الشمس للغروب أشعر بلذة غريبة ويدب النعاس فى
أجفانى فإذا أقبل الليل أنام نوماً هادئاً لطيفاً الى أن توقظنى قطرات

الأمل ولا تخيفنى خاطرات اليأس وما قلبى الا قبر مظلم رقدت فيه
عراس الأمانى تمر برؤوسها الخاوية أحلام الماضى .

تسير الناس امامى كأنها الأعيب تتحرك ، وارحمته للناس . ثم
ضحيا تتزاحم أمام مقصلة الطمع : فهم والانعام سواء ، وأنا ما زلت
واقفا أمام البحر كالمثال غير أنى أهتز من آونة الى أخرى كما لاح فوق
الامواج الغاضبة فجر الشباب .

اليوم يوم عاصيب قامت فيه الرياح وقعدت ، وهددت وصرخت .
فلزمت الطباء الخدور تنظر من وراء السجف لثورة العناصر وتسمع من
خاف الجدران دوى الرياح وقصف الرعود . ولكنى أرى أمامى خيال
من أهوى شاحب اللون مسدل الشعور ماداً يديه الناحيتين يدعونى الى
قرار البحر وهو يتسم وبرقص مع الامواج .

علام أنا محجم عن لقاءه ولا يبعدين عنه غير شاطئ البحر ؟ علام
لا يدفعنى اليه الشوق القديم والنار المتأججة بعد أن أسمعتنى الامواج
ألحان الموتى فطربت لها كما يطرب الغريب فى منفاه لالحان وطنه ترتلها
المصافير على الاغصان عند الغروب .

حب البقاء ! آه . ما زلت ممسكا بتلابيبه وان سكن اليأس قلبى
وتملك على نفسى . حب البقاء ! آه . هو علة الوجود ، هو اللذة التى لأجلها

وأمسك به في يدك تخضع لك سفينة الرياح فتركبها لتعدو خلفك الاغاثة
وتهرب أمامك القسوة.

الشاعر — أنت أيها الليل إله الرحمة وانا لسانك الناطق . انت
أنشودة الحب وأنا منشدها . انت سيف الحق وأنا شاهره الذى لا ينام .
تعال معى نجول جواتنا لتنهزم أمامنا جيوش الدماء التى أثار حربها
نور الحياة .

(٢٦ يناير سنة ١٩١٧)

حب البقاء

انظر الامواج الهائجة تملو وتهبط ، وانظر للسماء وقد ابست رداؤها
الأسود ، وأسمع زججرة البحر ترن في الفضاء كما يسمع المسافر فى الصحراء
زئير الليث وعواء الذئاب .

ونفسى الثائرة تنظر للسكون من وراء ضباب الألم . وعيناي
الغائر تان يامع فيهما نور تخيف كما يامع برق اليأس فى ليل الهموم ، وتعلو
شفتاي ابتسامة السخرية .

لا أبتسم لابتسام الربيع ولا أبكى لدموع الشتاء ولا تهزنى نشوة

أنفاسك الهائلة . فأين كأسك أجرع منها جرعتي الأولى والأخيرة .
خذني الى أحضانك الشامخة وضمي الى قلبك الصامت . أنزع من
جسمي البالي تلك النفس الخالدة وأمزج عصيرها الطاهر بمحرك المسكر .
الليل — أنا تلك الصحراء ذات الرمال اللينة . التي وسعت
الأفكار الهائجة . والتي غاصت فيها الشياطين المتمردة . والتي خيم عليها
ضباب كثيف متلاطم حطم سراج الشمس الوهاج فانطفأت أممه
جذوتها المشتعلة .

الشاعر — وأنا بعضك أيها الليل أضحك من سلطان الطمع
وأدوس بأقدامى شيطان الأثرة والأنانية . اليك قيثارتي التي أخذت
عودها من أشجارك واليك روحى التي نجأها من أنوار الحياة سوادك
المنتشر .

الليل — أنا تلك السماء الخالية من الكواكب التي نبع فيها سيل
الخيال مغرقاً عمول الذين اصطفتهم الأبدية ليحملوا على اكتافهم العريضة
عرشها الثابت .

الشاعر — وأنا ذلك المولود الصغير الذى أقت به أمه عند ذلك
النبع المبارك فمله التيار الشديد وما زال يقذف به الى حيث تقف المطامع
الانسانية وينبثق فجر الحقيقة .

الليل — تعال أيها الشاعر وضع فمك الصغير على شفاهي المتهبه
لأنفت فيه ألقامى النارية فتلتقطها أحشاؤك الظامئة . خذ صولجانى

أن يفسح لك في أنحائه طريقاً لا تنبت فيه غير الأشواك القاطعة لتدوسه
بأقدامك الناعمة . أنى أخشى أن تعود من حيث أتيت وحرام على
الحقيقة التي سكنت سويداء قلبي أن تراك خائباً حائراً تستجدي النور
أسعته الزاهرة .

الشاعر — ايه أيها الليل ؛ أين جوادك الأدهم أم تطيه ناهباً به سماء
الانهاية حيث أسمع أناشيد الآلهة ترددها ملائكة الرحمة فوق تلك
الأفنان التي يرقص خيالها في ضوء القمر .

الليل — ايه أيها الشاعر الحائر ! ان قناعي الأسود لم تنسج خيوطه
غير يد الآلام ، وان نفسى الحائرة لا تهدأ بعد أن هاجها التظام الدماء
بالدماء . وان عيني الساهرة لا تنام لأنها لا تقع إلا على ظل القبور
الشاهقة حيث دفن البشر جثث الحب والامانة والوفاء .

الشاعر — ايه أيها الليل العميق ! دعنى أرثشف أفأويقتك التي
انصرفت عنها نفوس الناس . دعنى أنشد في جوفك الصامت انشودتى
تتناقلها الرياح من واد الى واد وتستحيل من أجلها رمال الصحراء ضباباً
كثيفاً يكمل جبين السماء .

الليل — أنا ذلك الغار الذي لم يصل بعد لنهايته انسان . إذا مشيت
فيه قادتك اشباح الموتى واحاطت بك الاحلام المزعجة . على بابك كتب
اليأس كلمته التي يرن صداها في الفضاء وفي قاعه انبثقت شجرته التي
ينقت نسيمها الملهب سموه القاتلة .

الشاعر — وأنا ابنك أيها الليل . ان أنفاسى المستعرة سكرى بأريج

معى على قبر هذا القاب الطاهر دموعه الحارة وتشاكي سوييا نكبات
الدهر .

(٥ يناير سنة ١٩١٧)

الشاعر والليل

الشاعر — أيه أيها الليل الأقم ! أين مفتاح بابك الجهنمي ؟ أود
أن أنام في فنائك الخيف متوسداً عتبتك الزرقاء التي يتهايد البؤس
من دموع الايتام . هناك أسكب دموعي فتطير في الفضاء شظايا تضيء
الأفق الحالك .

الليل — قف أيها الشاعر فما أنت إلا طفل ساذج . أنك ما زلت
تبسم لنور الفجر وتضحك لبزوغ الشمس ، وترقص مع الجيوش
المنتصرة . وتهزأ من أخان البؤس التي تردها الشفاء الضامئة ، وتأنف
من أن تغسل جسمك الملهب في نهر الدموع .

الشاعر — أيه أيها الليل ! أين عباةك السوداء تلتحف بها أفكاري
المشتعلة وتسير تحت لوأها الى قرار الهاوية . هناك أصرخ صرختي الهائلة
أمام الأشلاء المبعثرة فتجفل النجوم في القبة الزرقاء . وترتعد الشمس في
عرشها العاوى .

الليل — أيها الشاعر . حاشا لمن هو مثلي عميق القلب بعيد الغور

القلب ثم لا يلبث أن يقطع تلك البيئة الطاهرة ويدخل في ظلمات الحياة
ينهش فيها الطمع قلبه النقي ويمزق الفساد لحمه الناعم ناسياً ذلك النور
الساطع الذي أضاء قلبه الأسود حينئذ من الدهر .

تلك حال سواد الناس لا يعبأون بماضيهم حلواً كان أو مرأى ينسون
ما لا قوه فيه . من ألم أصلى ضلوعهم وأرمرض جوانحهم . تمر أمامهم
الحوادث وكلها عبر فكأنها ما مرت وكأن الحياة أمامهم دار لهو وطرب
لا يذوقون فيها إلا الملهذات أما الآلام فحرام أن تدخل قلوبهم والآلام
هي من نعم الله على الناس لأنها الباعث الأكبر على المحبة والشفقة ومن
عاش دون أن يتألم فوجوده عدم . وما أحلى هذه السويعات التي يقضيها
الإنسان في مكان منعزل لا يؤانسه فيه إلا سكون الطبيعة يقطعه من
آونة لأخرى خرير المياد وزقزقة العصافير . هناك يتذكر الإنسان
ماضيه فتمر أمامه صور مختلفة منقوشة بريشة الذكرى على صحيفة روحه .

والماضى وإن عده الناس أحلاماً في أحلام فهو جزء من الحقيقة
فكما أنك لا تعيش بدون طعام تأكله وماء تشربه وهواء تنفسه فأنت
أيضاً في حاجة لتلك الساعات الساكنة التي تستسلم فيها للذكرى إذ
الحياة كما قال شكسبير مصنوعة من أقمشة الأحلام

أكتب للناس هذه الحادثة الغرامية ولا أريد بذلك أن يقف
كبيرهم وصغيرهم على أسرار قلب حزين لم ينبض غير عشرين ربيعاً ثم
أسكتته يد التماسه فسكت ، ولكنى أود أن أعثر على تعس مثلي يسكب

الماضى (١)

« ما الماضى الاقرب ثان يخفق بين الجوانح »
« هنرى باتاى »

الانسان سائح أعشى على غير هدى تقوده الأناية فى الحياة .
فان استأنس من نفسه القوة والبأس داس فى مشيته بجذائه الضخم الآفا
من الضعفاء . وإن خارت عزيمته دون إدراك غايته وأستشعر بالضعف
يتمشى فى أنحائه اتخذ لنفسه الحيطه وتنحى عن حذاء القوى ليكيد له
خفية ويمكر به علانية حتى إذا سنحت له الفرصة دفع به من قمة العز
والغنى الى هاوية الذل والفقر وأصبح بعده قويا ذا مرة يدوس بجذائه
الجديد من شاطره البؤس والشقاء أيام تعاسته

والحب جزء من الطهارة منتشر فى الهواء يسكن بيئة من الوجود
خصيصة به فاذا مر بها الانسان ولا مندوحة له عن ذلك واستنشق فيها
عبير الحب وتفتحت عيناه بأصابع الحب النارية ورأى نور الفضيلة ساطعاً
يمهر بصره خلع عنه رداء الرذيلة وعاش دهرأ شريف النفس طاهر

(١) هذه المقالة فاتحة مقالات عنوانها حديث غرام كان المؤلف يرغب

أن يتمها فلم يفعل . ولم تظهر غير هذه القطعة وعنوانها الماضى

بين أشعة الشمس الزاهرة فأحس بحرارة الوجد تتمشى في أنحائي ،
وبشظايا الحجر تلتهب في أحشائي

هي معي في كل مكان . أشم أرجها مع نسيم السحر ، وأسمع صوتها
مع أناشيد الطيور الصادرة على أغنان الشجر ، وأرى وجهها في صفحة
الجدول العذب الذي ينقع الظمان منه غلته ، وفي مرآة السماء الصافية
التي ينبعث منها للشاعر وحى الشعر تكمل رأسه زهور الابدية

هي معي في كل مكان . متى أنزع عن وجهي قناع حبها الكشيف ؟
متى لا ترى عيناى شبح غدرها الخيف ؟ متى تسكن في زوايا قلبي عاصفة
الحب والهيام ؟ متى لا أسمع من نفسى أنين الوجد والسقام ؟ متى ألمح في
سما حياتى برق الأمل الصادق ؟ متى أزيل من طريقى الموانع
والعوائق ؟ متى تنبثق من حدائق نفسى زهور الحقائق ؟

هي معي في كل مكان . ان طرت في الجور رأيتها بين طيات ضبابه
الاسود ، وان غصت في جوف الماء لاقيتها في قاعه العميق ، وإن
تبخرت في الهواء إستنشقتنى لأسمع دقات قلبها الخؤون . وإن سكنت
القبور أتت لتضع أشواك اليأس على قم القبور . هي معي في النعيم
والشقاء في اليقظة والنوم ، في الوحدة والسكون ، في الحياة والموت .
هي معي في كل مكان .

(نشوه ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٦)

رفقة من المصطفين مثلي كنت في غنى عن لقائهم في تلك الساعة .
نادوني وأعادوا النداء ولكنني ابتعدت عنهم وأنا أسير على غير هدى حتى
وصت الى بقعة لا أرى فيها الا رمالاصفراء وسماء زرقاء .

هناك جلستُ على الرمل وأسندت رأسي بيدي وبكيت . وما
زالت تسح جفوني بدموعها الماطلة وأنا أئن أئن الشكلى الى أن
اتتصف الليل .

(رأس البر ١١ أغسطس سنة ١٩١٦)

متى أنساها

هى معى فى كل مكان . فى كل جزء من أجزاء فكرى المتهب ،
فى كل ذرة من ذرات قلبى الممزق . فى كل نهر من أنهار دمعى المرسل .
مازلت أراها تعدو خلفى وقد ساقها القدر المحتوم ، مازلت أشعر
بذراعيها تطوق عنقى ، وبقباها تحرق جلدى ، وبأنفاسها الحارة توقف
فى القلب شيطان الحب الرجيم .

هى معى فى كل مكان . أراها فى الليل وقد ران الكرى على
جفونى فأقوم من الفراش مذعوراً ، وأراها فى الفجر وقد تفتحت عيون
الكائنات لقدم الضياء فأرجع لبيتى مقهوراً ، وأراها فى الصباح تبختر

وما لبثت برهة حتى رأيت الموجة كالطود الشامخ يهزها الريح
فتضطرب وترغى وتربد

عرفت الموجة من بين اخواتها فهامت نفسى لمراها ووقفت
كالمصعوق لا أبدي حراكا

رأيتها تدنو فدنوت اليها ومددت يدي كالسائل المحروم فأذا بي أقرأ
على صحيفة وجهها سطرًا كتبته يد النسيان الناعمة وسجلته مخالب اليأس
فرجعت خطوتين الى الوراء وهويت بجسمى على الرمل وصرخت
صرخة تراجعت أمامها الامواج
ومكثت برهة وأنا لا أعى شيئًا . .

لقد انظفأ ذلك السراج الوهاج سراج غرامى . لقد بادت تلك
الاحلام التى رافقتها أحلامى . لقد أسدل النسيان ستارة على ماضى
هيامى . . وهى . . هى الآن تعيش سعيدة مع سواى تشاطره هناء
الحياة وتذوق معه أفوايق الحب والسعادة

لهنأ ذلك القلب الوديع بطيبات هذه الحياة وليجد مع من أحله
فى سويدائه برد السرور ولذة الغبطة والهناء

أما أنا فأسأبقى لهيف القلب كاسف الوجه أفترش الهم وأتوسد القلق
وأئن تجرعت غصص الكرب وعالجت برحاء الاسى فبأبقى على عهد
الوفاء لا تنهجى من مخياتى صحيفة الذكري حتى الموت

. مكثت أمام الموجة مدة طويلة وأنا حائر الطرف مدله العقل
مستطار الفؤاد وما لبثت أن عرفت أصواتنا أعرفها تناديني . هؤلاء هم

عودة الموجهة

في مثل هذا اليوم من العام الماضي وقفت أمام هذه الأمواج
المضطربة أشيئها بانفاسي الحارة ودموعي المنهملة

وقفت أمامها وقفة العاشق الذي استوجد الوجد ضاوعه وبري
الشوق عظمه وأودعتها رسالتى التى كتبتها أقلام الصبر بمداد الدموع .

أودعتها الرسالة وأنا أترنح كالشارب التمل يقعد بي اليأس ويدفعنى
الرجاء والأمل . وما ألد قطرات الأمل الباردة على نيران النفس الهاجئة !

تركت الشاطيء بعد أن غادرته تلك الموجهة الشاخنة وكلى حنين
لتلك الديار النائية وذلك العش الساكن الذى كنت آوى اليه مع
عصفورتى الهادئة الجميلة

هناك كانت تسكلاًنا عين الحب وتحرسنا يد العفة والطهارة وهناك
شربت مع من أحب كأساً لا أنسى لذتها الى الأبد . مكثت سنة وأنا
تواق للاجبة أنتظر رد الرسالة وقد ظمأت نفسى للقائمهم واهتاجنى
الشوق اليهم ، ولكنى وطنت نفسى على الصبر وتجلدت على مضض المحن
الى أن مضى العام ودنا يوم اللقاء فذهبت بالامس للشاطيء عند غروب
الشمس فى المكان المعين وانتظرت الموجهة وأنا كالريشة فى مهب الريح
ورأسى كالضباب الأسود يامع فيه برق الأمل ثم ينطفىء

الكتاب الثاني

الوجبات

مقالات من الشهر المنثور.

عليك من هجرانه مسحة
لا حاقك المسكروه في قربه
يامن غدا الصمت له عادة
فكن كـريما اننى صابر
يعرفها المنكوب في حبه
ولا رماك الدهر من صعبه
قلبي يزيد الصمت في كربه
فالجود كل الجود من ربه

دمع الشفق

فوق خدود الظامة
قد حملوها لوعتي
أرنو اليها شاكيا
مسترحما مستجديا
تبدو دموع الشفق
وباعثات الارق
فعل النوى بالجسد
بقيه للجسد
كأنها فوق الربى
يخط في سفر الصبا
والشعر في أحزانه
يحمل في اكفانه
اشبه في وحدتى
يشكو له هجر التي
انات قلب مغرم
يوم اللقا لم ترحم

والزهر في عينه قتاد والشمس في عينه غيوم

وبلبل الروض ان تغنى وخلقها السهد والدموع
يخاله اليوم صارخات والدمع في خده نجيع
والسعد عن نفسه بعيد وقلبه ان خبت وقود
والنار في قلبه تالظى

في ذمة الله نفس حر عاشت على الضيم لاتهان
ماراقها في الحياة عيش ولا رعى عهدا صديق
رأت خيار الورى ذئابا يقودها الغدر والعقوق
أودى بها الهجر والزمان لعلها في الثرى تصان

ياقصر الهاجر

تضم في الاحشاء شخص الذي ذرفت دمع العين في حبه
بالله قل لي يامقر الهوى هل يسأل المحبوب عن صبه
ياقصر خبرني وكن صادقا عن سر ما يخطر في لبه
أثار حربا هولها ظاهر والقلب لا يسلم من حربه
ياقصر لا أعلم ماذا جرى حتى أطلت اليوم في حجبه
ما زال قلبي هائلا مدنفا مسترهما يبحث عن ذنبه
بيكى هواه ناسيا أهله وقومه والحز من صحبه
ياقصر كن خير رسول لمن أصبح عز القلب في قربه

يمضي الصباح ولست أعـ لم منه امرار الغروب
بأس الحياة إذا جهلنا كنهه ذا الكون العجيب
إن المصائب ريشة تلهو باوتار القلوب
أفنى الغرام تجلدى وفقدت في أهلى طبيبي
هذا جناه أبى على وما جنيت على حبيبى

نفثت مصدر

قلبي ترامت به الشجون والدمع فاضت به العيون
هوى بي اليأس من غرامى وعدة اليأس الزفير
والليل لا ينجلي بصبح والنوم عن مقلتي نفور
ياحبذا الموت من صديق فى حبه صادق أمين

لا يخفق القلب فى حماه ولا ترى العين من هويت
وينقضى الهجر والعذاب واليأس والشوق والهيام
وترقد النفس فى ظلام يحىء من بعده ظلام
هذا هو السعد يارفاقى ياليتنى فى غد أموت

أموت فى زهرة الشباب كالغصن أودت به السموم
وهل يعيش الفتى إذا ما لم يبق فى حبه رجاء
والمرء إن خانته هواه فعيشه والردى سواء

أنا وأنتِ

بالقلب من جفنيك سقم وبه من الهجران سقم
هذه ابتسامات الحياة ة لها على خديك وسم
أنا للهوى ذو هممة ولنغيره أعمى أصم
وسهرت ليلى والجننا ن بغير ذكرك لا يلم
وكتمت أمري في الهوى والدمع عن حالي ينم
والشاعر المطبوع من مطبوعه سقم وهم
تم الوصال لنغيره وله وصالك لا يتم

- امه -

الشاعر يخاطب امه

اماه قومي واسمعي اماه مالك لا تجيبي
أرايت دمع محاجري وسمعت يا أمي نجيبتي
هل راع قلبك ما لقيت من النوائب والكروب
ان الوجود صحيفة ملأى بأسرار القلوب
خلفتني اللهم في له وللشدائد والخطوب

اماه انى قد طرق مت حماك في اليوم العصيب
أبكى على سعدي كما يبكي الغريب على الغريب

الظبي النافر

مال عني ومضى غاضبا ظبي القضا
لم اطق حبس دموعي يوم ولي معرضا
تارة يرضى وطو را التقيمه مبعضا
كان لا يألف غ يرى ماله قد اعرضنا
لائمي واللوم حـ حق انما الحب قضا
لم اجد غير حبيد بي عن حبيبي عوضا
فاحتمل ياقلب ان في لست اشكو مضضا
ليته لو كنت اذ نبت تناسي ما مضى
واتاني باسمـ شيقا متفضضا
وارتمى بين ذرا عى مجييا بالرضى

أخاف

أخاف الشمس توقظ في فؤادي
أخاف البدر في الظلمات ينفي
أخاف الحب ان الحب داء
أخاف الود والاصحاب اني
أخاف النفس أن ترضى بيخل
أخاف السعد والبؤساء حولي
أخاف من الوجود وما حواه
عرامة ذلك الرجل العنيد
لذيذ النوم عن عين العبيد
يفل القلب صيغ من الحديد
اعاف الرى من خمر العبيد
اذا ناديتها يا نفس جودي
يسامون المذاب من السعيد
ومما سوف أفعل في الوجود

ارجوحة اللاعب

أشكوا الهوى للأمل الخائب ياويحه للنفس من صاحب
كأننى بين الهوى والمنى يوم النوى ارجوحة اللاعب

هديتى

أهدى الى الدمع الهتون والى التهد والائين
والى الزفير وناره والى التهلل والحنين
والى الشهيق وصرخة الـ مفعوج والقلب الحزين
ماكنت اكم فى الهوى وأذوق فى ظل السكون

الزيج

لعلك ، والآمال حيرى كايمة ، لسان الاسى فى الليل يهتك اسرارى
لعلك صوت الغيب أو صيحة الهوى ترددها الاقدار، أو وحي أشعارى

أحن الى الاوجاع

خليلي ما الهجران شيمة معشر بنيت على آمالهم صرح آمالى
وأودعتهم سرى الذى كان قبلهم دفينا كأنى كنت ذاك الفتى الخالى
وشاطرتهم فى العيش لذته التى تقضت كحلهم فى صفحة البال
هنا أشرب الكاس التى خالط الاسى سلاقتها بالدمع نم عن الحال
أحن الى الاوجاع طوعا وانما يحن الى الاوجاع فى الحب امثالى

حاربتني منك الخيانة والغد ر لعمرى انى صريع نزالك
غير أنى عمدت الوية النص ر فكان الهجران يوم قتالك
شيمتى العفو للذى خان عهدى وكثير من حالهم مثل حالك

ليلى طويل

ليلى طويل ما له آخر يعم قلبى بجره الزاخر
ومقاتى ترعى نجوم السما ينهل منها دمعى الحائر
أأ كتم الوجيد الذى هاجه منها ابتسام حسنه جائر
إن أنشدت يصغى اليها الهوى كأنها فى روضه طائر
فم هو النبع الذى يستقى منه الهوى والشعر والخاطر
تصدنى عنها فلا أثنى وقد رمانى لحظها الفاتر
فان نست من عاش فى حبها عبداً فانى للهوى ذاكر
نصيبى الهجران فى حبها ياشد ما يلقي الفتى الشاعر

حياتى

حياتى هى الحب والحب دينى وللحب قضيت عمرى شقيا
أمانى فى الحب شىء كثير وما نلت يا قوم فى الحب شيا
عذابى كبير ولولا عذابى لما كنت حبا عفيفاً تقيا
ولى فى الهوى عفة لا تجارى ونفس ترى الموت حلوا هنيا
ففيم الملامة يامن ياموم ولولا الغرام لما كنت حيا

وهل أرى نور الهدى بعد ما
عصيت في حبك بيض المنى
يابؤرة الآمال ماذا الذى
وأنت قبر والمنى جثة
وأنت يا قلب اما ترعوى
قد غرك الحسن وفيه الردى
والحسن ان أودى به أهله
قد كنت مهجوراً فكنا هاجرا
لا تبتئس واخلع لباس الهوى

أطفأت نور الحق فى ناظرى
طوعا لحب غادر جائر
أرجو غداً من حظى العائر
غسلتها من دمعى الحائر
ولست قلب الفاجر الداعر
اذ ليس خافى الحسن كالظاهر
ينعدو قذى فى مقلة الناظر
فالنصر والاسعاد للهاجر
والبس رداء الأمل الناظر

أنت !!

أنت . أنت التى سرت فى عروقى
نظرة منك قد أسرت بها القلبي
نظرة منك التقت الرعب فيه
وابتسام من فيك يشرق بالسه
ليس هذا الا طلاء تولى
عرفتك القلوب بالجوود لكن
ما صفا قلبك الخلى ولكن
انت أظهرت لى الوفاء وانى
فانزعى عنك ذا القناع ليبدو

منك يوم اللقاء خمر جمالك
ب فهانت له صعاب وصالك
رعب حب يقوده للمهالك
مد لقلب صبا وعذب مقالك
مسحه للعيون طول مسالك
لم أنل منك غير نار مطالك
قلبي الواله السقيم صنعا لك
لم أجد فيك ما يعزز ذلك
لبنى الحب ما خفى من فعالك

ولسكنني آيت أن لا أزورها
أما وعين الحر والله شاهد
فلا تحسبي أني أميل مع الهوى
تولى زمان كنت فيه أها هوى
أكفكف من دمعي سوابقه التي
أحمل أشواق الرياح تلهفاً
كأنني غريق والظلام كأنه
وكننت اذا لاقيتها بعد فرقة
ألف على خصر الحبيبة ساعدي
مضى ذلك العهد القديم وما انقضت
ويا قاب لا تجزع فالدهر صولة
ويا ابني قومي وقد جد جدكم
تألى على فعل المكارم بعد ما
ذروه الى العلياء يرقى سمائها

وان كان فيها السعد يعقبها السعد
لقد لذ لي الشوق المبرح والصد
وأرختي عناني للدموع التي تبدو
أناجي نجوم الليل والليل مسود
تروح أبى في صفحة الخد أو تغدو
اليك فتذيرها الرياح التي تمدو
خضم وأنفاسي هي الجزر والمد
تجرعت فيها اليأس ليس له حد
وأتمها والخذ يامسه الخد
مطالب حب ليس يحصرها عد
وما أنت يا قلمي جبان ولا وعد
اليكم فتى ان خانه الدهر يشتد
تقاعس عنها يوم قامت به هند
فقد ردت الأقدار من غيب الوجد

حياة الخاطر

يا حياة تنساب في خاطري
رميت بي في هوة لم تكن
جعلت مجدى طعمة للهوى
عاديت من أجلك كل الوردى
هدمت صبر الأسد الصابر
من قبل داراً للفتى الشاعر
دعى سبيل المجد للعار
فمن ترى بين الوردى ناصرى

وما السهد يدنى من تنأى خيالها
ولا أنا أرض الوصل وهو بليتى
ولا الدمع فى شرع الغرام بشافع
ولا الهجر والهجران فيه فواجعى
ومولود هاتيك الهموم القواطع
اعلى طفل اليأس والبؤس والشقا

أنا وهى

معارضة قصيدة البارودى (هو البين حتى لا سلام ولا رد)

سلام عليها لا لقاء ولا ود
يعز على نفسى الأبية أنها
ولا دمة فى العين يدفعها الوجد
ترق لمن أضحت وليس لها عهد
كان الهوى سيف وقلبي له غمد
وراء الهوى يرنو الى فأرتد
الى الهجر مجد لا يعادله مجد
على الناس تغدو والقضاء لها وفد
تفرغت الموتى وجاوبها الرعد
تشور ، ولى قلب هو الحجر الصلد
فأوله جد وآخره جد
فليس لنا عن كتم نيرانه بد
سواء لدينا القرب فى الحب والبعد
وما النكت الاشيمة الغيد يا هند
تجاربنى فيها لحاظك والقدر
ويسمع منى الليل صوتاً اذا دوى
وأغدو ولى نفس اذا رامها الهوى
وليس الهوى الا المحامد والعلى
فان عبثت بالحب هيفاء كاعب
نعيش فلا يهتاجنا الشوق والجوى
تغير نى انى نكثت عهودها
تريدين أن أقضى بدارك ساعة

حطمت صبرك غارات النوى ودعاك الهجر المذكور الأليم
كلما أرسلت أنات الهوى سكنت في هجمة الليل البهيم
تسهر الليل وترجو غفوة أينام الليل مولود الهموم

ليلة

وليلة حائرة النجم قد هدّ فيها اليأس من عزى
قضيتها والدمع لى مدد فيكأنه توب على جسمى
وكان قلبى كلما هممت عينى ، خضم موجه همى
قد نحت فيها لا أرى عضدا نوح اليتيم يصيح يا أمى

مولود الهموم

أكان الهوى إلا الدموع سوابق على الخد والنيران بين الأضالع
وبأس وآلام ووجد ولوعة وشوق الى وجه الحبيب المخاضع
لقد كان لى فيمن أحب مطامع فأحمد مجدى نار تلك المطامع
ولكننى ما زلت أعبد حسنها واذكره إن مر سرب السواجع
تلفعت توب الليل والليل صامت فماراعنى هوج الرياح الزعازع
ولا هالنى دمع السحاب وقد سقى وأحى موات الزرع سيل مدامعى
أرى أننى فى أحب أرضى ملامتى واسمع ما لا ترتضيه مسامعى
وأجزع من صرف الزمان وغدره وما كنت تلقاء الخطوب بجازع
وأرقب فى جوف الليالى نجومها وأعجب من تلك العيون الهواجع

يظل الليل مرتجفا وما في قلبه ذعر
كمزؤود تروءه ليال ما لها فجر
وأيام مضت عنا وليس لطيفها نشر
مضت عنا برونقها وولى خلفها العمر
وهيفاء اذا خطرت مشى في أثرها الكبر
هضيم الكشع فائمة كان حديثها سحر
وألمها وتلمنى وفوق رؤسنا الطهر
نأت عنى فلا عجب اذا ما هاجنى الذكر
وعاج خيالها سحرأ وآنس وحدتى الشعر
رمت أيدي النوى ظلما فؤاداً غصنه نضر
الا فى ذمة الرحمة نفس حرة بكر

كما تشائين

كان ذاك الغرام سهلا وصعبا
كلما رمت هجرها واصلتني
أنت فتانة ولكن قلبي
فاذا شئت كان حبي سلما
وجفاء من غير ذنب وقربا
واذا رمت وصلما تتأبى
لم أجد مثله على الصعب قلبا
واذا شئت كان حبي حربا

عشنا تبكى

أنت كالطائر تشدو كلما
عشنا تبكى على العهد القديم
هتف التذكار بالقلب السكتموم
لا يعيد الدمع أيام النعيم

أمشى الهوينى ضاحكا لاعبا وأعبد الرحمن فى عزلى
والبحر يرغى مزيدا هائجا كضيفهم همّ الى وثبة
والقلب فى أمن وفى راحة يا خير من يصفح عن هفوتى

الجرح الاول

حياة حلوها مر وقلب خانه الصبر
ونفس فى يد الاوجا ع لان لبؤسها المسخر
حلبت الدهر أشطره وفيه الخير والشر
فلم أر فى الورى خلاصا يشد بمثله الأزر
وكيف يلذ لى عيش ولى خصم هو الدهر
يفل حديد بادرى وليس لفعله عذر
وهل تصفو مشارعه ويصحب غيبه اليسر
وتحت ردائه احتجبت يد فى كفها الغدر
فبين النفس من قدم وبين طلابه وتر
أرى الايام مظامة يتيه بليها الحر
فلام^(١) ولا عزم ولا نهى ولا أمر
عواصف همة سكنت حواها البر والبحر
أبأمل قلب مبتئس وأيام الهوى غير
ويمشى فى جوانحه زفير رهوه جمر

(١) همة الانسان.

كم ليلة قضيتها ساهراً
أخالني والهـم لا ينثنى
أو جثة القي بها نحسها
أبث لليل هوى باطنا
وطيفك المحبوب لى صاحب
يثير فى النفس بقايا القوى
وكنـت مثلى ذا هوى خالد
تحمل من نار الهوى جـرة
وكم تشا كينا الهوى فى الدجى
نسير والألام فى أثرنا
حتى اذا ولت جيوش الدجى
نعود للدار على بعدها
نغاب الدهر على أمره
ياصاحبى انى أخوك الذى
لم أنس أياما لنا حلوة
كأنها والسعد من حولها
أو نعمة الرحمن حفت بها
وهل أغض الطرف عن صاحبي

فوق فراش الحزن والحسرة
عنى ، غريب الأهل والجيرة
فى لجة الآلام والوحدة
وأدمعى تنهل من مقلتى
يجب طيف المهجر والقسوة
ويرجع المفقود من عزتى
عشت أسير القد والنظرة
يا ويحها للنفس من جمرة
وليس غير اليأس من منصت
وتابع العبرة بالعبرة
والفجر مثل الشيب فى اللمة
بعد اللتى يا أخى واللتى
فى حبنا والدهر ذو مرة
ما زال ذا عهد وذا ذمة
لهفى على أيامنا الحلوة
أنغام بيض الحور فى الجنة
ملائك الرضوان والرحمة
وأنت من قومى ومن أسرتى

هنا اذا ما كنت فى نزهة
أخالنى أـمرح فى ضيعتى

رماه الهوى من قبل أن يعرف الهوى
فأرخص دمعاً كان بالامس غالباً
ويا أيها البيت الذى فيه ظلاله
لقد كنت مأنوس الديار فما الذى
عداك الاولى صانوك من نكبة البلى
سقاك مثل الودق فى كل ساعة
أرى كوكب الآمال يبعد نوره
وأصبحتُ مقطوع الرجاء فتارة
وما سهمتى فى العيشن الا مصابه
تقربت أهل الارض فى كل بلدة
أبت له ما حنّز الحب فى الحشا
فيا قلب صبراً فالخفافى مرة
ويا من يرى فى العيش أمناً وراحة

فمزقه والحب كثر نوابه
وقام به صوت الإباء يعاتبه
ريبت وكم حنت الى ملاعبه
رماك به دهر تدب عقاربه
فمن فيك القياه ومن ذا أخاطبه
وحياك وحى الشعر بيض كواعبه
وليل الاسى والهلم تدنو غياهبه
يغالبنى دهرى وطوراً أغالبه
ولا أنا أرجو اليوم ما أنا طالبه
فلم أر بين الناس خالصاً أصاحبه
ورثق من صفو تداعت جوانبه
ويا نفس ايس الحب قرنا أحرابه
هنيئاً لك الكسكس الذى أنت شاربه

اعتذار

أرسل الشاعر هذه القصيدة من الاسكندرية الى صديق له فى مصر
يعتذر عن تأخير الخطابات

ياحافظا للود فى غيبتى
أنت الذى علمت قلبى الوفا
ذلت لى الصعب فلم أبتأس
هل لك أن تصفح عن هفوتى
وكنت لى عوناً على كرى
يوماً ، وكنت النور فى الظلمة

يارجال الشعر قوموا وانظروا
تلك أم أودعت مكرهه
وجثت تبكى على جثته
خففوا الوطأ لئلا تزعجوا
تحت هذا التراب نامت أنفـس
فانظروا مقبرة في طيها
واسمعوا من بابها موعظة
صورة للبائس المهزم
طفلها المحبوب جوف الرجم
ودموع الموت لم تنسجم
شبح اليأس وطيف الالم
في خبوت من عظام ودم
يرقد المبصر في جنب العمى
واعبدوا فيها جلال القدم

زفرات الشباب

يراجع قلبي بشه كلما دنا
وما ارهق الطيف الزيارة بعدما
دنا غير هيباب وراح محملا
وطالغني منه الرجاء هنيهة
ولا أنا أسلو في الهوى من أحبه
فطوراً ترى وجهي بشوشاً وتارة
وما زلت أستنشى الرياح لعاني
نأى عن ديارى بعد أن خلف الأسي
فهل رحمة في القلب يطفى بردها
فؤاد اذا التاث الصديق رأيته
يقيم على عهد الوفاء حياته
خيالك في ليل تغيب كوا كبه
أعل فؤادا كاد يندك جانبه
من العين دمعاً لا تجف سوا كبه
فلما مضى مات الرجاء وصاحبه
ولا يرحم القلب المدنف سالبه
يطوف على وجهي من الهم راسبه
أشم شذا من هاجر لا أقاربه
لقلبي وهل يحنو على القلب غاصبه
أوار فؤاد حطمته مصائبه
يسابق وفد الريح شتى مصائبه
ويزور عن دار العواية جانبه

حبيبتى والأسى فى القاب مكتمن
انى وربك لا أساو الهوى أبداً
ان تنكرى سهد عيني فى الغرام اذا
ان كنت أنظم فيك الشعر مرتجلا
اليك أرسل آياتى التى نطقت
لا تأخذينى بأقوال الوشاة ولى
قاب ترامت به الأشجان تسابه
لو كنت أركب أهوال الحياة لكم
قد كان لى أمل فى العيش مكتمل
جودى بعفو يعيد الروح فى جسدى
يفشيه دمع على الخدين ينهمر
وكيف أساو ومالى عنك مصطبر
جن الظلام فعند الانجم الخبر
فذاك وحى فؤادى جاء يعتذر
عما تكتمه الآمال والفكر
قاب يجبك ما فى صفوه كدر
صفاءه وبه الآمال تحتضر
فى غرام الغوانى يركب الخطر
أودى به الهجر والتبريح والذكر
بعد المات فنك العفو ينتظر

صورة من صور الليل

الدم الناكل

وقفت تبكى وما من سامع
لا ترى فى فحة الليل اذا
تصدع الظاماء منها صرخة
تقرع الصدر وفى القاب أسى
تاطم الوجه بكف أسود
واذا ما صرخت جابها
هى والأفئدة تجرى حولها
غير آذان الظلام الأقم
نظرت ، غير قبور جثم
خرجت من قلبها المنهدم
شق ذاك القلب شق الجلم
وتناجى جثة المحترم
من فم الأقدار صوت المدم
جثة فى وجها المنتظم

قم على الغصن وغن واهتاك السر الدفين
ردد الاحزان عنى يا صدى القلب الحزين

عرش الحداد

انى بنيت لمن أحب وللهوى عرش الحداد
عرشا قوائمه الهموم وتاجه شوك القماد
والدمع فيض نواله يجرى على جثث العباد
واليأس كوكبه المضى لثائه حران صادى
من أمه مسترحما أصمت حشاشته العوادى
كالليل مسود الجوا نح لا يحن لذى سهاد

* * *

هذا هو العرش الذى حطته هذا فؤادى

استعطاف

حبيبتى نحن قوم لا يغيرهم
عاشوا على الضيم أحراراً غطارفة
لا يابسون لذى بطش يناوئهم
يحمون عرضهم فى كل ملحة
المجد رائدهم والصدق شيمتهم
فكيف تنقض عهداً فى محبتكم
والحب ان هاجه بعد وموجدة
صرف الزمان فان عاداهم صبروا
سيان ان ملكوا الدنيا أو افتقروا
يغشى ديارهم والليل معتكر
ما خانهم فى النزال القلب والبصر
والحب عندهم يحلو به العمر
وكيف نعرض عن حبهما قدر
فانه النار لا تبقى ولا تذر

الطائر السجين

طائر فوق الغصون خاشع الطرف العليل
هو في سجن الشجون لا يرى عنه بديل

كلما هز الغرام منه شوقاً للحبيب
جاءه طيف السقام يقرع القاب الكئيب

قام في الليل البهيم يملأ الليل نواح
هو والحب الظلوم ريشة بين الرياح

ان شدا بين الحقول هب في الروض النسيم
ومضى فوق التلول يحمل الذكر الأليم

صوته ، والدمع يجري حاراً فوق الخدود
فاضحاً الليل سرى ، بعض أنات الوجود

علمه ، لما استردا أمل القلب وطراء
شبح الهجر تبسدا ساعة ثم توارى

خاته رمز غرامى لابساً ثوب الظلام
نابشاً قبر سقامى صائحاً أين المنام

طائر العشاق ، صبراً إن نأى عنك المرام
قد بلوت الناس طراً فعلى الحب السلام

قد ضللت السبيل طوعا وما كنه
ت قديما تضل ذلك السبيلا
قد أطأت المقام في دار ذل
كيف ترضى المقام فيها طويلا
غرك الحب وهو برق كذوب
فتصبر انى وددت الرحىلا
كيف تنسى وقد خلقت أييأ
أن للمجد صولة لن تزولا
نحن نأبى يا قلب تلك الدنيايا
فكفانا في الحب قالا وقيلا
نحن قوم على العلاء فطرنا
لا تمكن للعلاء ذاك المزيلا
أنت أولى بالانتصار اذا ما
جرد الحب سيفه المساولا
ليس عارآ اذا قضيت شريفأ
انما العار أن تعيش ذليلا

الشفق

أنت دمع النهار في صفحة الكو
ن يحى في الليل سرأ خفيأ
أنت دار الأسى وقد ما وجدنا
فيك للشعر مهبطأ أبديا
أنت كنز للحب أودع فيه
حلك الشعر حبه العذريا
صامت أنت تسمع الطير في الرو
ض يغنى للنيل حنأ شجيا
يسمع الليل حين تبدو أنينا
لنهار قضى حزينأ شقيا
أنا أبكى وأنت تبكى وقد ما
قد بكينا هذا الغرام سويا
است تبكى الوجود والناس لكن
أنت تبكى خلف النخيل عليا

والحب قيد ثقيل وقد عهدناك حرا
والحب ذل وقد ما أبيت للذات أمرا
والناس أخذان غدر وأنت بالناس أدري
رضيت حب فتاة تبدل اليسر عسرا
لها فؤاد جديب العار فيه استقرا
تسقيك باللحظ خمرا حتى تمايل سكرا
والدمع في مقاتلها ستر يحجب سرا
والابتسام تراه فتحسب الورد شعرا
يخفي عن العين كيدا منه المطامع تترى
فكيف نهوى إليها وأنت أرفع قدرا
تصبو لها من قديم وما صبوت لاخرى
يدب فيك هواها فيملا القلب سحرا
فكيف تبعد عنها وقد جهلت المقررا
وأنت صب عليل من جها لست تبرا
فت فؤادي انى وجدت عيشى مرا
نشدتك الله نفسا عاشت على الضيم بكرا

ويك قلبى

ويك قلبى متى أراك صؤولا بعد ان كنت مستكينا عليلا
ماندتك الاقدار بعد التصافى ورواك الهوى فصبوا جيلا

لا يعرف الأواء إلا فتى تذيقه الايام ما يؤلم
سيان في عين الفتى المدعى ماء جرى فوق الثرى أو دم

يلومنى قومي

يلومنى قومي على حبها واليوم لا يجدى ولا ينفع
يرمونى بالضعف لكنهم لم يجرعوا الكاس التي أجرع
وما دروا أن الهوى قاهر قضاؤه في الناس لا يدفع
ولا رأوا أسطر هجرانها تخطها في خدى الادمع
ولا رأوني في ظلام الدجى وقد نبا عن جسمى المضجع
أبث لليل هوى خالداً والليل لا يحنو ولا يسمع
أردد الاشعار في جوفه كطائر في سجنه يسجع
أعلل النفس بنيل المنا والصب بالآمال لا يقنع
انى فتى لم يدر طعم السكرى ان يهجع الموتور لا يهجع
وان شدا البلبل في دوحه يذوب وجداً قلبه الموجه

صبرا فؤادى

صبراً فؤادى صبراً فأنت بالصبر أحرى
كانت أمانيك بيضاً فأضحت اليوم غربا
وكنت كالماء عذبا واليوم أصبحت جبرا
أضافك الهمم حتى ألفت همك دهرا

ياغرفة الحب القديم تحية
ياغرفة الحب القديم تحية
يا طالما شاهدت خير موافق
هلا ترين تفجعي وتلهفي
مالي أسائلك السعادة والهنا
مالي أرتل عند بابك خاشعاً
أبكى كما يبكى اليتيم وقد بدا
وأحن للزمن القديم مردداً
وأرى ونار الذكر تأكل مهجتي
أني وقفت عليك سبل مدامعي

الضحايا

أسمع في الليل نواح الألى
يبكون والرحمة في سجنها
تن والاعلال في جيدها
يمشون واليأس امام لهم
والبؤس يمشى خلفهم ، والأسى
نالح في أعينهم جذوة
سميرهم شعري وقد جاء كم
وسوف لا يسمع شكواهم

رواه المقدور فاستسلموا
مشاولة الاعضاء تسترحم
وساجن الرحمة لا رحم
يقودهم والحب يبكيهم
يهزم والناس لا تعلم
من نار يأس في الحشا تضرم
لينقل الشكوى لكم عنهم
من يجبس المال ولا يندم

ان أضام قد جفوت
فوجودى قد غدا كالعدم

الدار الحزينة

مر الشاعر على دار كانت مهد هواه فخطبها :

دار الهوى وعلالة المتعالي
قد ذقت فيك من الصفاء كؤوسه
ألهو وأهزأ بالزمان وصرفه
صرفت بك الريح الجوح لعلها
ضرب الفراق عليك سودخيامة
نعق الغراب بساحة لك طالما
وأنا بيابك واقف متأمل
الزهر حولك قد علته كآبة
يرنو الى وقد أفاق هنيهة
ويئن فيك الحب أنه عاشق
وعليك من هجر الأجابة مسحة
تترنح الاشجار فيك كأنما
ذبلت زهور مانسيت جمالها
والماء جف وكان يجرى ضاحكا
أرويك بالدمع الغزير لو انه

هل أنت باعثة الغرام الأول ؟
دهرا وعشت عن الوجود بمعزل
والغدر في طي الزمان المقبل
ترثي غراما فيك لم يتبدل
وسقاك من يمانه كأس الحنظل
في الليل أطربها نشيد البلبل
فيما دهاك وهل يفيد تأملي
يشكو النوى ظمان لم يتبلل
يحنو على ذلك الخيال المقبل
قد كنت في عينيه أطيب منزل
تبدو لعين الشاعر المتأمل
يهوى بها داء الفراق المعضل
والحب طي أضالعي لم يندبل
متدفقا كعزيمة المستبسل
يحيا النبات بفيض دمعي المرسل

وأناجى كل نجم
وظلام الليل مسدول الخمار
لا يداجى نضوم
فهو أم لضحايا السقم

أنت يا ليل صديق الشاعر
قد شهدنا كل حسن
صاغه فيك ابتسام الصابر
فابتسمنا تحت غصن
وعرفنا الصبر بعد السأم

**

يابنات البحر قد عز المنال
فألام لانلاق
من تهادت فوق أمواج الخيال
وعلام في المآقي
سفكت دمع الهوى المنصرم

**

إيه يامن لا ترى صورتها
في المنام أين أنت
أنت يامن ، إن دنت ، شيمتها

قلت لليل وقد وافى الظلام وانبرى للناس سلطان المنام
وارتدى البدر جلايب الغيام مثل وجهه باسم خلف لثام
(انى ياليل صب لا ينام وحرام أنى فيك أضام)
فأجاب الليل والناس نيام (لا يلام الحسن والصب يلام)
ليس هجر الناس فى الحب حرام فاحتمل بلواك ان عز المرام)

قلت للموت وقد ضاع الامل وانقضى صبرى وما وافى الاجل
وعرفت الهجر قدماً والعزل وحرمت الشهد من تلك القبيل
(أنت ياموت دواء للعسل وأنا ياموت ظل منتقل)
فأجاب الموت والقلب امثل (حكم الحب فقل لى ما العمل)
ليس لابن اليأس عنه مرتحل قد غدا اليأس لذى اليأس أمل)

خواطر الوحدة

سكن الليل وقلبي نائر
وعيونى لا تنام
وانقضى صبرى وحظى عائر
وشجونى والظلام
نسجت للقلب ثوب الألم

أسمع الأخان من موج البحار

حرمت من القبر الذى كنت ربه
وما هو الا ثأر شعبك ناله
وما كان ذا الحرمان قصد المشيد
جزاء وفاقاً فاحتمل وتجد



أناجيك يفرعون لو كنت سامعاً
وما الشعر الا وحي نفس كايمة
فان كنت يفرعون فى القبر ظامئاً
بأنى قلت الحق لم أخش لانعماً
(ويأتيك بالاخبار من لم تزود)
لها فى مجال الشعر أعظم مقصد
لما قيل من شعر الحقيقة فاشهد
وما خفت ذا بأس ولم أتودد

حكم الحب

قلت الفجر ونور الروض فاح
(انى ياخضر مهضوم الجناح)
قد حسبت الهم كأساً فيه راح
فأجاب الفجر بالحق الصراح
كن اليك الشجوة تستجد النواح
وتولى الليل من وجه الصباح
ليس لى ياخضر للعيش طاح
بعد أن القيت فى الحب السلاح
(لا تطل شكواك من تلك الجراح
فشقاء الناس فى الحب مباح)



قلت للصبح ولى الصبح ابسم
وعيونى فى هواها لم تتم
(انى ياصبح صب ما اجترم)
فأجاب الصبح والحب حكم
ليس لابن الحب عندى معتصم
وفؤادى عضه ناب الألم
وجرى دمعى كما تجرى الديم
حافظ فى الحب ما تقضى الذمم
(كن أسيراً للذى فيك احكمكم
اذ هناء الناس فى الحب حلم)



بناه لك الشعب الذى لم يخلد
صحائف فيها الظلم أكبر مشهد
ورويتها من دمعه المتجدد
بنيت ، قرابين تساق لمعبد
مطامع ذى بطش به الظلم يقتدى
فذابت مياه الخوف من كل جامد
تماثيل لم تثار ولم تتوعد
ودهرك يافرعون أكبر معتد
رماك بسهم فى الفؤاد مسدد
فنمت على الغبراء غير موسد
فقال لك الموت الزوام الأعمد
ونكست رأساً هابه كل أجمد

*
*
*

أقمت على الصحراء قبرك خالدًا
بنى لك اهراماً كأن صخورها
بناها بلا أجر سوى الجهد والطوى
كأن العنارى حول اهرامك التى
وما النيل الا دمعه من جرت به
وقفت لدى الاهرام تصرخ غاضبًا
وقومك يافرعون حولك خشع
ولم تدر ما يخفى الزمان لاهله
سقى نفسك الكأس الاخيرة بعدما
قضيت ولم ينفعك ما كنت جامعًا
سللت سيوف البغى جذلان ضاحكا
فأغضيت طرفاً تحرق الصخر نارُه

وما كان من قبل الممات بمغمد
وكان الردى من قبل طوع المهند
لها منك عجز الحاكم المتشدد
ولا عرفت منك الخضوع لاصيد
كبحر من الاقوام مرغ ومزبد
ولولا جلال الموت هزك باليد
من الوحش والعقبان فى كل فدغد

وأعمدت سيف الظلم فى الغمد، رغما
وساويت ترب الارض لم تمنع الردى
تناجيك أرواح الضحايا وقد بدا
وما عهدت من قبل دمعة جارياً
وشعبك أضحى يوم موتك صاخباً
يهلل جذلاناً ويهتز ضاحكاً
وألقاك فى الصحراء طعمة جائع

خوفو فرعون مصر

وأسأل وأنا غير شاعر بمرور الساعات صدى
ما آوهم القديم عما تبقى له من رنين أصواتهم
(هوجو)

ودانت لك الارواح في قبضة اليد
كأنك تدري ما سينفذ في الغد
ويخشاك يا فرعون كل مسود
وما كانت الارواح قبل بسجد
وتخضع قاب الصابر المتجد
يضل فؤاد الناسك المتعبد
يسير على أنواره كل مهتد
وان شئت يغدو العبد أكبر سيد
ورأسك رأس الاسود المتوقد
من الناس ذو جرم على الناس يعتدى
بليل من الاهوال أقتم أسود
تروح على الصحراء طورا وتغتدى
نواجذ عزرائيل يوم التواعد
وما ذاق بوم الفتك طعم التردد

نظرت الى الاكوان نظرة معتد
هزئت باستمرار القضاء وحكمه
تطيعك قواد الجيوش جميعها
كأنك والارواح حولك سجداً
رسول المنايا ترسل الروح في الوري
اذ شئت صار الصبح أسود حالكا
وان شئت صار الليل أبيض ناصعا
وان شئت يغدو سيد القوم عبدهم
وقابك حار العقل في كنه سره
وما الرعد الا صوت فرعون هاجه
وما البرق الا نظرة منه أومضت
وما الريح الا زفرة من زفيره
فيالك من ملك اذا هم أبرقت
ينقب عن ذكر العواقب جهده

كان أنظنيوس صبغاً مغرماً
مات والآلام تستهدفه
مات مكلوم الحشا متحرراً
هو والخنجر في أحشائه
جاءه نعى التي فارقها
لم تكن ماتت ولكن هالها
أين من ضحى لها أوطانه
صائحاً للحب لا يرعى سوى
خان روما مستبداً ناسيا

* * *

كيف تيماربه الحسـن وقد
عقها الاعوان في نكبتها
ليس في الناس وفي صادق
ايه كليوبطره اليوم انقضت
أنت في القصر خيال زائل
أنت والارقم يرنو جائعاً
لا تظني ان في حسنك ما
إن أو كتاف جرىء قادر
وجمال العهر ماض ذاهب
وابتداء الحى منا عدم

مات من كانت به تعتصم
مثلا للغدر ياولحهم .
فهم ان ماتت الدنيا هم
عنك آمال وزالت أمم
وهو في العين مخيف مظلم
حية يرنو اليها أرقم
يسجد الليث له يسترحم
وله النيل ومصر مغنم
وجمال الطهر لاينعدم
وختام الحى منا عدم

فهمو كالليث ييكى يائساً
أما الدمع لسان ناطق
وحرام أن يضام الضيفم
غير ان الدهر سيف حده
يتولى قلب من لا يرحم
قاطع فيه الفضاء المبرم

* * *

وقفت فى ساحة القصر وقد
ترسل الدمع على الخد دمأ
وقفت فيه قديماً أظلم
لا ترى فى يومها السعد وقد
والأسى فى رأسها يرتطم
فاذا الصبح أتاها ضاحكا
حجب السعد غمام مرزم
واذا الزهر رنا مبتسما
هالهما منه سواد اقم
وجدت فى الزهر ناراً تضرم
تسمع الجيش يلبى ربه
ليس فى الجيش أصم أبكم
كل مغوار يرى الروح فدى
لبالاد فى حماها يكرم
وعلى النصر جميعاً أقسموا
قادها من للردى يقتحم
يرهب الموت الجرىء المقدم
زمر ماجت كبحر مزبد
كل حى نائر منتقم
أسد لا يهرب الموت وهل
صارم يقطر منه الالم
فكان الارض ميدان به
شبحاً قد غاب عنه الكلام
خافت العقبي وما الخوف سوى
فهو من أظفاره لا يسلم
هى بين النصر والاسر غدت
كل عيش بالردى يختتم
أسلمت للشك قلباً هالماً
نادت الموت وما هابتها اذ

* * *

وما هو إلا مثل عزمي تجسمت
كلانا منى الايام في مصر خالد
لقد كنت قبل اليوم عن مصر نائياً
فيا بلداً يجرى به النيل ضاحكا
لئن ناصب المقدور نفسى حروبه
فما أنا ممن يزعم الدهر أنفه
سيخضل منك الزرع بعد مماته
وعدتك مجدداً لم تر العين مثله

نواصيه حتى بات يستلفت الرائي
له إن دنا ليل منارة أضوائى
فها أنا في مصر ولست الفتى النأى
ويهتز جذلاً نأى يحاول ارضائى
وهشم من عزمى بواتر امضائى
ولا أنا ممن يستكين للأواء
ويخصب ظهراً لأرض فى كل صحراء
وسوف ترى عينك يا مصر اينائى

النهاية

وقفت كليو بتر تنظر لانطونيوس يحارب اوكتافىوس وخافت
الهزيمة فعزمت على الاتحار وهالها ان تموت وحيدة فأرسلت لانطونيوس
تخبره بموتها فبكى وطعن نفسه بخنجره ومات شهيداً غرامه فلما وافاها
خبر اتحاره أسامت نفسها للشعبان وماتت قبل أن يأسرها اوكتاف .

يا ظلام النفس رفقا بالآلى
رقدوا فى ساحة الهم وقد
قد طوى الدهر سماء لمعت
جفت الحمر ففى الكأس دم
تكسوا الطرف وقد لاحت لهم
ندموا عما جنت أيديهم

ظلم الدهر وقدموا ظاموا
كانت الدنيا لهم تبتم
لهم من قبل فيها أنجم
وكذا الدنيا خمور قدم
صور عن سعدهم تزدحم
حيث لا ينفع يوماً ندم

الفجر الاول

لمحمد على بمصر

غريب بهدى الدار ليكنى اذا
تلوح لعيني والظلام ترددت
فيشدد منى العزم والناس نوم
إرادة نفسى من عصيرك انهما
اذا خانى صبرى أخالك واقفا
فأرجع للجلي وبى منك شمعة
يتيم وليكنى همام فليس لى
شغوف بمن تعلمي المخاطر قدره
لئن كنت أمياً فلست بحججهم
أصيح لصوت المجد فى كل ساعة
وقفت كأنى للعيون سحابة
فدهرى أمام العزم منى كأنه
ستمكتب فى سفر الحياة وقائى
ألا أيها الذئب الذى فاض خيره
أرى فيك يا امرأة نفسى صورة
وياهرماً تنون الى ملبياً

رأيتك خلت الدار مهبط أبائى
جحافله ما شئت فى أعين الرائي
عن المجد تاهى نفسهم خمرة الداء
لتورك ظمأى فارو غلة أحشائى
تعيد رجائى من سنالك بايماء
تثير طريقى فى منابت آرائى
من الاهل الا البأس بدد أعدائى
فسيان صبغى إن هممت وامسائى
عن العلم إن العلم مصدر نعمائى
وما أذنى يوم النداء بصماء
اذا هزها ريح تفيض بأنواء
غريق وذلك العزم أمواج دأماء
ويقرأ أهل الارض معجز أنبائى
على أمة مهضومة الحق معطاء
من الجسد تهدينى لمنبع سرائى
ندائى وفى أحشائه سر عليانى

هدموا بنيان ودى وانمحت منه الرسوم
ومليك الليل بر هو لى أم رؤوم
هو لى خل أمين ولأفكارى نديم

أنا من أدران صحبي طاهر القلب سليم
أجد اللذات تترى إن دنا الليل البهيم
فأرى وحي طروبا بين هالات النجوم
منشداً شعري واني لست أدري ما يروم
ومليك الليل يدني من في خمر النسيم
هو لى خل أمين ولأفكارى نديم

لا أرى في الصبح إلا كل غدار أئيم
وأرى في الليل سعدى يحمل الخير العميم
هو في عيني نقى ناصع صافي الأديم
وبه صحبي كثير بعد ان كنت اليتيم
ومليك الليل يحيي ما غدا مني رميم
هو لى خل أمين ولأفكارى نديم

أنا يا ليل أناجى منك سلطانا رحيم

القيت فوق الغاب ثوبك فانبرى
فيه النسيم يجاوب الاطيارا
طرب المحب لشدوها متبسما
للمشمس وازداد الوقور وقارا

حتى الصباح معدداً حسناته
وانس الهموم وصاحب الاقدارا
واذا مررت على الغدير فتقف به
تأفيمه قد أخذ الزهور شعارا
فاركع وهال للطبيعة خاشعاً
واذكر هناك الواحد القهارا

سلطان الليل

أنا يا ليل أناجى منك سلطاناً رحيم

من بنى جسر الأمانى
فوق أمواج الهموم
واحتمى من كاس ودى
خمرة الخلل الحميم
يطفى النار اذا ما
هاجنى الذكر الأليم
يرسل الرحمة تنفى
قسوة الشوق القديم
صادق الوعد كريم
وعلى الود مقيم
هو لى خيل أمين
ولأفكارى نديم

أنا فى الدنيا وحيد
أنا فى الدنيا وحيد
راقهم ان جد أمر
برق غدر لا يدوم
ورأيت الغدر ناراً
ورأوا فيه النميم

الصباح أقبل

قم من سباتك وانظم الاشعارا
لك من شعاع الشمس وحى قادر
ما أنت إلا صوته ترك الألى
تشدوا على فنن الوجود مرتلا
بين القلوب وبين صوتك ألفة
فسكان من نبرات صوتك رحمة
جفت ما قيهم وكان لبؤسهم
فالبؤس بين الناس طير نائح

فالصباح أقبل والظلام تواري
سلب العقول وحير الافكارا
عشقوا الطبيعة ذاهلين سكارى
آياته وتداعب الازهارا
وجدت لها بين القلوب قرارا
جعلت ظلام البائسين نهارا
سيل جرى من دمهم أنهارا
أبكى قلوب البائسين وطارا

تهتز من طرب ولست بمحتس
فكأنما ألقى الزمان قياده
ما تلك الا قبلة الاشعار في
لله در الشمس غازل ضوءها
كست الجبال مع الوهاد سبيكة
فمن الفؤاد تحل عمدهم وهموه
في كل قلب هأم من نورها
يا شمس غادرت الحقول ضحوكة
رقصت لنورك تسترد رضاها
خمر الشفاه ولا خلعت عذارا
طوعا لو حيك لا يريد فرارا
نغر الصباح تزیده أنوارا
لناظرين الطير والاشجارا
من عسجد والنهر سال نضارا
وعن الطبيعة تكشف الأسرارا
أهل الوصال يحرك الأوتارا
وتركت أمواج البحار حيارى
عنها وقامت تبسط الاعذارا

الليل أقبل

الليل أقبل والمنام حرام
لا تستبين العين نور رجائها
روح يروعها الأسي ويثيرها
اليأس رائدها وتلك مشيئة
ما العيش إلا عبرة مهراقة
داء الحياة له النفوس فريسة
والسعد برق كاذب ومزاره
إنا تكتمنا الحقيقة علنا
يابؤس من لا يستقر فؤاده
ناهو ونضحك للوجود وليتنا
ما نحن إلا كالذئاب فميشنا
كل امرئ يلهو بعرض صديقه
وإذا نصحت أخافأت عدوه
والشر سلطان النفوس كأنه

ماتلك الاخطارات أخى أسي
يقضى سواد الليل يرقب نجمه
ألف الهوم فبس ممن يشتكى
هو ذلك الطود الذي كمن الأسي
نضو الفؤاد حياته أسقام
والنجم ليس بصفحتيه سلام
للناس حرباً في الفؤاد تقام
في جوفه ما دامت الايام

أمس واليوم

زمن الأنس تولى وانقضى حاملا ما كان لي من أمل
مرت كالسهم ووافي غيره فشر بنا الصاب بعد العسل
هيجت ذكراه قباي مثاما هيح الصب نواح البابل
لم أزل أشعر بالوجد الذي أشعته نار تلك القبل
كل ما نهواه يمضي عاجلا ليته يمشى بنا في مهل
كل شيء حائل عن شكاه تلك فينا سنة للأزل

سلب الدهر هنائي اني لفعال الدهر لم أمثل
عقني الاخوان إذ قد جهلوا اني عن غيهم في شغل
أأقضى العمر أرجو ودهم بين عذر منهم أو عذل
أنا بين الناس طير صادح نأح في عرصات الطلل
أنا ذاك الليث لا تغضبه وثبات الذئب وقت الكلال

إبه يا دنيا أما من ساعة ألتقى فيها بنور الأمل
أودع التعس حياتي صحفاً خطها من دمعى المنهمل
أبنو الدنيا هم الأوهام أم أنا فيهم لم أكن بالرجل
هاكم السعد بهم متصل وبمئلى بعد لم يتصل
راحة الانسان من كد ومن نصب يوم انقضاء الأجل

أسرع وخذ روحى ولا
يا موت لا ترحم شبا
أمن المصائب لى فؤا
ما ذا لقيت من الحيا
ان الحياة لمسرح
والعيش عندى صفحة
فن الشدائد للمتا
ترحم فليس لى صبر
بى انه والله مر
د أم من الاحزان عمر؟
ة وما بها شىء يسر؟
والناس اشباح تمر
عنوانها لؤم وشر
عب للشقا - أين المفر؟

الذكرى

تهز قلبى بعد رقده
تمشى الهوينى فى جوانبه
ترمى به من نارها شررا
وسمعت منها يوم أن طرقت
فكأنها نبع يفيض بما
كالريح هزت جانب العلم
كالفجر يطرقت حالك الظلم
فثبير فيه رواقدهم
قالبى رنين الهجر والسقم
يحويه قلب الصب من ألم

وتعيد من ماضى ما شهدت
وتضيقه من بعد ظلمته
وكانه صحراء مجدبة
وكانها نهر تغدها
أوجنة الماضى قد انبثقت
عينى من بؤس ومن نعم
فكأنها تحبب من عدم
ظلمتى لقطر الصيب العرم
بالجود من - اساله الشيم
منها لى زهرة العدم

النجيم الافل

دفنوها في التراب يوم الوفاة
لا أنيس لها سوى وحشة الموي
وبقايا من همد لا يفيقو
ودموع تجرى على القبر حيرى
تركوا آية المحاسن والد
يلمس التراب جسمها وهو غرض
وترى عينها الظلام وبالام
أهى في القبر في ارتياح من الوح
أم دهاها من هوله ما دهاها
أم تراها والقبر ظمان روت
أم تراها لاقت من الارض اما
هى في القبر وردة سوف تنفى
قد غدت والهناء عنها بعيد
أسدل الموت ، والممات ظاوم ،

فوق فرش من الحصار وفات
ت وصوت الظلام في الحجرات
ن ونوح الارواح في الظلمات
وأنين يفيض بالحسرات
ل بدار السكون رهن الممات
بعد لمس الشفاه بالقبيلات
س تلاقى بأجمل النظرات
مدة والبعد حجة اللفات
من جلال وخشعة وعظات
ارضه من لآلىء العبرات
وهبت جسمها لذيد السبات
كيف تحيا الورود في الحفرات
بين اهل الثرى بغير حماة
ستره بينها وبين الحياة

ظلام النفس

أسرع وسدد في الطير
أذ ليس بين الناس بر
ق خطاك ان العيش غدر
فانى يائس

قد رشفنا منها النعيم والسكن قد شربنا من بعده كأس صاب

...

في اديم الغبراء تذهب عنى من حياتى أدران من ثم صحابى
هى امى خرجت منها صغيراً واليها بعد الممات اياى
قبلة من تراب ام حنون هى خير من ثم حلو الرضاب
وعناق الاحجار فى التراب اولى من عناق الاصحاب والاحباب

...

ان فجر الدموع يتلوه عندى يوم ارساتها مساء اكتباب
ما تلا فجرها لمثلى صبح كيف يتلوه وهو رهن المصاب
ضاع نصحى وضاع منه رجائى فى صحابى وضاع قبلا عتابى
رب خل فى صدره كل غدر وخداع يلقاك بالترحاب
يتبدى من عينه وهو يرنو فى ظلام الريالظى الارتباب
لا ينيل الوفى فى العيش الا ما ينيل الظمان لمع السراب
لا يفرناك من صديق خوون اسود قلبه بياض الثياب

...

يا صاحبي ولست اول حر عاندته الاقدار فى الاصحاب
قد جهتم أسرار قلب أمين فاعدرونى ان ضاع فيكم صوابى

باع الوجود ومن به
قد عانقته فأسكرت
من ذا الذي لا يرتضى
وإذا رأى ذل الهوى
عشق الطبيعة يوم ان
والشمس تلثمها كما
وإذا دنا الليل البهيم
يتوسد الصخر الاص
من ذا الذي قد هاله
من ذا الذي يبكي الأما
هذا الذي ليست له
ومن الوجود تحيرا
ه وما تناول مسكرا
في الحب ان يتغيرا
رفض الهوى واستكبرا
لبست لباساً أخضرا
ثم الكبير الاصغرا
م وجاء يعثر بالسكري
م مفكراً متذكرا
دمع الفقير اذا جرى
نة والوفا بين الوري
نفس تباع وتشتري

الشاعر الغضبان

هيئوا لي في باطن الارض قبراً
في ظلام القبور راحة نفسى
وادفنوا في التراب ديوان شعرى
فيه مكنون ما احتواه جنانى
هو بعضى فهل اموت وأنسى
وانثروا فوقه الزهور وحسبى
هي رسل الهوى تذكر قلبى
ودعوني انام تحت التراب
ومن النور شقوتي وعذابي
فوق قلبي المملوء بالأوصاب
وعزيز فراق ذلك الكتاب
في ظلام الحياة نور شبابى
من شذاها منابع الآداب
بشفاه ذوات حسن عذاب

قد كنت في البستان بهجته
تصدح بالالخان معتبطاً
يصغى اليك الكون مستمعاً
والحب يسمع منك ما وجبت
والبدر في كبد السماء بدا
لو سمعتك الشمس سائرة
تلهو بما في الجسم من حس
تحرك الاشجان في النفس
ما قلت من جهر ومن همس
له قلوب الجن والانس
كالملك ذي الجبروت والبأس
لكنت توقف دورة الشمس

قد راعنى والليل مقتبل
الحب عرس الأنام وقد
موتك سفر فيه قد كتبوا
يا طير انك فاقد الحس
فارقه يا زينة العرس
ما في ممت الطير من درس

نفس الشاعر

من ذا الذى عشق الخليا
نصب الزمان له الشرا
من ذا الذى يمشى على
وينام فى غار الوحو
أو فى الفضاء وفيه يه
لم يخش برداً قارصاً
كلا ولم يخش الصوا
وانعاده الشعر التى
ل وهام فى حب الورى
كفا اشتكى وبها ازدرى
قم الجبال مفكرا
ش ممدداً فوق الترى
ترش النبات الاخضرا
فيه ورعداً زجرا
عق والسحاب المسطرا
وهبته ماسكا اكبرا

يا ليتنا نرجع مجدداً مضى لا تعزب الحيلة عن مجد

تدوسه الزوار من هابط قد استبدوا ونسوا مجده
أو صاعد غر عليه صعد كأنما القادر من يستبد
كانه لم يك قبر الذى كان اخا مجد بعيد الامد
حق على الزوار ان يسجدوا يأسعد من فى ظله قد سجد

يا دارس التاريخ قف خاشعاً فعمدة التاريخ هذا الاسد
يا باحثاً عن مجد دهر مضى وجدت فى الاهرام ما تفقد

البلبل الصامت

فارقت ربع الحى بالامس وغدوت طلى صفائح الرمس
غادرنا والليل معتكر والقلب نهب نخالب اليأس
والنفس والهمة وقد لعبت خمر الشقا والنحس بالرأس
مضى زمان كنت مسعده وجاء دهر الهم والتعس
فشربت كأس الحزن مكتئباً حتى جرعت صباية الكأس
آنرت قلباً كله شجن سكتته دهرأ ظامة البؤس
آنسته وأزلت وحشته ياويح ما فى القلب من أنس
وهجرته فبكاك من جزع متهدماً كالربع المدرس
علك تشجى فى الثرى طرباً أرواح قوم فى الثرى خرس

كلا ولا حنت لطيف ر ناح فوق غرائس
كانت تهاب جلالها عين الشجاع الفارس
وغدا ستمقطعها وتتم لها يمين الفارس

الهرم الأكبر

منكد الحظ كبير الجلد مسدد النظرة في قومه
لم تبكه الاشجان لكنه قد أرسل النيل رسولاً له
كتاب تاريخ قرأنا به أعادت اللاهى الى رشده
ويجتلى الناظر من بابه ومصر لا تعرف الا به
لسانه أبكم الكنا «من نام عن نيل العلاما ارتقى
وصاحب الهمة يعاوبها

يخاله الرائي خيال الأبد مهشم المفرق عارى الجسد
مقطب الوجه حليف الكمد يبحث عن مجد قديم فقد
عن مصر أهوالاً تهد الجلد وأوقدت في القلب ناراً تقد
في ظلمة الليل شعاع الرشده كأنه عنوان هذا البلد
تخاله يصرخ فيمن رقد: ومن مشى في الارض سعيما وجد
وكل كسلان عدو ألد»

يطوف في أرجائه صارخا أرواح فرعون وأنصاره
أضاعه أبناؤهم بعندم جيش من الأرواح جهم العمدة
من شيدوا مجدا متين العمدة وعز مجد ضائع لا يرد

لم يخفف عنك نيران الجفا غير دمع فوق خدى انسجم
غير انى قد أبيت الذل اذ أنت الذى عامتنى هذا الشمم

رحمة بالقلب يا ربى اذا ما ظلام اليأس بالقلب التطم

يامقر الحب يا نبع النهى أنت ميدان التصافى والالم
كتبت أقلام تذكار الهوى فيك أسرار الغرام المنصرم
لم تثل منك المساوى غير ما نالت النيران من بحر خضم
لم يروّعك خليل خان اذ وفاء الناس حلم لا يتم

منك سعدى وشقائى لاتكن قاسياً، اذ أنت خصمى والحكم

شجرة على شفا الموت

أوراقها فوق الثرى آمال صب يأس
والساق بين الزرع تح سبه جبين العابس
وكأنها لسوادها شبح الفقير البأس
مهجورة من طيرها والطيير خير مؤانس
فكأنما وكناتها دمن بليل دامس
سكنت وكان حفيفها نعم الحبيب الهامس
صماء لم تعباً لزمه جرة السحاب الراجس

الترجسة البيانعة

فوق قبر الشاعر

يا زهرة تنمو وتبدد
لا غرو إن غذا شبا
فالشعر يبعث كالزهو
هلا حملت لروحه
نعم فوق قبر الشاعر
بك منه حسن الخاطر
ر من الجمال الباهر
أرج الحبيب المهاجر؟
الحاظ ظبي نافر
بسنهام لحظ فافر؟
أضحى رهين حفائر
نفثات ذاك الساحر
ملك كريم طاهر
ب شهيد حظ عائر
ر شعاع حب زاهر
عين الحب الساهر
لقدوم صب زائر
شفها لعين الناظر
يا قبلة جاءت من
نزلت توائس في الترا
إني أخالك في النها
وأخال أنك في الدجي
أنت ابتسامة غادة
تحوى خفايا الحسن تك

القلب

موضع الوجدان في أجسامنا
لم تحكم فيك أسياف العدا
ودليلا للرزايا والنعم
وبك المحبوب يا قلب احتكم

ما دمت الا برهة ما الهجر من طبع الكرام
لك في الحدود بقية عنوان صب مستهام
وبنيت قبرك في قلو ب العاشقين أولى السقام
يامن قصير عمرها لم يأت طيفك في المنام

اللقيط

فوق الثرى أبصرته نائماً
عليه ثوب أبيض لم أجد
كأنه من حسنه وردة
تلقيه لا يعرف ما يبتغى
يرنو الى ليل طويل الكرى
كأنه والليل من حوله
سفينة تهوى بلا منقذ
قد حرمتها الام تحنانها
ينسأه في البؤس أب ظالم
يعيش لا يعرف من أهله
والله عار يا رجال النهي
العدل يامن شاقه وجهه
يئن من جوع وبرد شديد
في طيه أسرار ذلك الوليد
ترشقها الحسناء بين النهود
هل يعرف ابن الامس ماذا يريد
مسترهما، والليل باغ عنيد
وفي ظلام الليل موت اكيد
وبحرها الجائش هذا الوجود
والصدر والشدى ولثم الحدود
في دهره يحظى بعيش سعيد
كأنه فينا شريد طريد
أن يظلم القانون هذا الشهيد
في هذه الدنيا رهين القيود

أسراره نجمل مكنونها
يهتكها البدر اذا ما سفر
في هجمة الليل ومن سره
يستولد الليل عقول البشر
هل يعجب العقل اذا ما رأى
في ظلمة الليل شموس الفكر

في صدره يهجع أهل التقى
ويسهر العصب يناجى القمر
في صدره تضحك بنت الهوى
وضحكها عنوان ذلك السكر
في صدره يقتل من قد رأى
في عيشه الضنك وذاق الضجر
يخاله السارق ثوبا إذا
رماه تلقاه عيون البشر
ويجزع الصنديد خوفا إذا
راه بين القبور انتشر
يموت في اليوم ويحيا به
هل يهزأ الليل بحكم القدر؟

لامعة عين

يا قطرة قد اسكنت
في القلب عاصفة الهيام
ذاقت عيوني بعد أن
أرسلت لذات المنام
وطردت من فكر الفتى
المهجور أشباح الحمام
من أى نبع قد بعثت
لعين صب لا تنام
حملتك من دار الهنا
ء أكف أحلام الغرام
يا وردة من جنة
فيها الطهارة والوثام
كيف ارتضيت لقاء ظا
مة دار ذل وانقسام؟
أحمت في أوراقك البيضاء
أنوار السلام

لم ينس دار الحب اذ لدياره تلك الذم
ويرى الحقائق عابسا ت والمسرة كالحلم
ويخال من فرط الأبي ان الوجود هو العدم

ضحكات طفل

طفل أتاني ضاحكا فرأيت من
أصغى لها وكأنى مستقبل
لو كان يسمعهامليك ظالم
أو كان يرسمها المصور خلقتها
تحنو لها أوتار قلب مظلم
والشاعر المطبوع يحسب انها
وكأنها كخزير ماء بارد
وتعيد في قلب الكبير شبابه
وترد في بيت الحزين شموسه

ضحكاته وجه الحياة تبسما
في ظامة الليل البهيم الانجما
لبكى على احكامه متندما
لجمالها وشى الربيع منهما
لم يلق في نور الحقيقة مغنا
ألحان طير في الرياض ترنما
يطفى به الظمان نيران الظما
وتريده في كل يوم أنعما
فكانه من قبل لم يكن مظاما

الليل

قد أودعته الناس أنبرارها
الحاته تقبيل أهل الهوى
ونوح محزون شكاهمه
يزيدها البلبل من لحنه

كأنه للسر نغم المقر
وهمس من يحلو لديه السهر
يشير شكواه حفيف الشجر
ما شاءه البلبل وقت السحر

شاب يحتضر

فوق سرير الموت نام الذي
قد ودع الآمال لا يرتجى
مقطباً ان شتمته خلاته . . .
يطلب خلا صادقاً واعياً
يرنو الى أم جفاها الكرى
يبحث عن صدر اذا ضمه
كطائر ذى شجن صامت
زال ابتسام العيش عن ثغره
منها سوى الراحة في قبره
مستجماً ما جال في فكره
يهدى له ما شاء من سره
تنتظر المجهول من أمره
أباد جيش الموت من صدره
أبعده المقدر عن وكره

الغريب الفقير

يرنو الى البلد الجدير
يلهو الرجاء به كما
متلفتاً عن جانبيه
متذكراً لغة بحر
يمشى الهوينا مطرقاً
كم ليسة فاضت دمو
ويهبجه في ليله
د كأنه بحر خضم
تلهو به أيدي الندم
ه يخيفه يأس أصم
ك شجوه منها النغم
الأرض يدفعه الألم
ع الحزن منه كالديم
من وجدته طيف ألم

شعار صاحب الديوان

الشعراء في مصر ينقسمون الى قسمين :

الاول يجذب المذهب القديم ، والثاني يتمسك بالمذهب الجديد .

أما صاحب الديوان فشعاره :

المذهب القديم جميل ، والمذهب الجديد جميل .

المذهب القديم جنة فيحاء ، والمذهب الجديد جنة فيحاء .

والشاعر طائر لا يعرف داراً ولا موطناً يتنقل من غصن الى غصن

فان راقته له جنة القديم غرد فيها وان أعجب بجنة الجديد سجع

في دوحها .

ولا عجب لو وجدناه يغنى في جنة نالثة يحل فيها عن نفسه قيود

الفن والقافية مـ

محمد تيمور

مقدمة

ما هذه الا نغمات ضاق بها صدرى فنطقتُ بها شعراً ، فان كانت
تصل الى أعماق قلبك أيها القارىء الكريم وأنت تتلوها لنفسك
أكون قد بلغت الغاية التي من أجلها طبعتُ هذا الكتاب

محمد نبور

اهداء الديوان

لروح عائشة تيمور ارفع هذه النفثات

ابن أخيها

محمد تيمور

الكتاب الأول



كتاب التفسير

خاتمة

لقد أتممت الكتابة على محمد تيمور - تاريخ حياته وأعماله -
فأعلن صراحة اني كتبت ما كتبت كمنقاد لا كأخ . اجتهدت أن
أظهر لمن يعرف محمد تيمور ومن يجهله صورة نفسه وصورة أعماله .
مكتفياً بتملك الصحفات القايلة التي لا أعتبرها في الواقع غير مختصر
ضئيل لا يفي بالمقصود تماماً ولكنها كافية في الوقت الحاضر لأن تعين
القارىء على معرفة الفقيه وترشده الى مؤلفاته . فاذا كان هناك نقص
أو زلل فالعصمة لله على كل حال

محمد تيمور

من أثر تعاطيه السكوكاين فيرتقى على الارض وهو يهذى صارخاً باكياً
ثم تفيض روحه بين يدي والدته التعمسة فيقضى المسكين على نفسه بنفسه.
ويقف يسرى باشا الرجل العاقل الذي حنكته التجارب يقول واعظاً
ومتحسراً: (ادى آخرتك ياللى ماتحاسبشى على نفسك ولا على شرفك،
أدى آخرتك ياللى تمشى فى السكة اللى ما يرجعش منها حد...)
وتنتهى الرواية بهذا القول

والآن وقد قرأت ما يهملك أيها القارئ عن رواية الهاوية ، عرفت
مضمونها وعرّفت بأشخاصها وتصورت فى مخيلتك مشاهدتها ألا
تشهد لتيemor بتلك القوة الفنية الهائلة التى استطاعت أن تخرج رواية
جمعت فيها قوة التأثير على الجمهور ، وقوة التحليل النفسانى التام وبث
الحكمة العالية والنقد الاخلاقى الصحيح ، واطهار صورة حية ايمثة مصرية
كل ذلك فى دائرة الفن الراقى

بهذا نجحت الهاوية ونجح تيemor ميمًا كما نجح من قبل حياً م

زوجته ويسألها بجدّة عما كانت تفعله أمس وفي أى مكان قضت عصر يومها . وبعد جدال عنيف تعترف له بكل شئ . وهنا تبدأ حكمة الرواية تتجلى في كلام الزوجة المدافعة عن نفسها ، المتهمة زوجها بتهمة الاشتراك في جريمتها فتقول في ذلك ما يأتى :

(أنا أتعرف بانى مذنبه . اعترف بانى ارتكب جريمة استحق عليها الموت . لأن الست اللي تحاول انها تخون جوزها أقل ما تستحقه الموت ولكن اعرف انى ما نيش أنا المجرمة الوحيدة . فيه شخص تانى كان يدفعنى بأيديه للهوة العميقة اللي كنت رايحه أقع فيها . واعرف انك انت الشخص ده . . . ! عمرك ما خاتنى أشعر بانك جوزى . صحيح أنا كنت طائشه وما كنتش عارفه أقدر حق الزوجية . لكن ربنا مادّانيش زوج يهدينى ويوربنى الواجب . كان واجب عليك أنك تهدينى وترشدنى للصواب بدال ما تسيبنى أهوى وتروح تخبص وتلعب قمار وتسكر وتعمل كل موبقة تزرى بشرفك وبقيمنتك .

أنا ما عرفتش شفيق لا فى الدكاكين ولا فى الجزيرة ولا فى مصر الجديدة ولا فى التيارات . عرفته هنا فى بيتك وقدام عينيك . ومين اللى قدمنى له ؟ حضرتك زوجى العزيز اللى شايفاه قدامى دلوقتى يبكى على شرفه وعرضه .)

وهكذا استطاع تيمور أن يخلص كل روايته فى كلام هذه الزوجة الشاكية ، المتهمة ، المدافعة .

يسمع أمين هذا الكلام فيزداد هياجه وتتأبه نوبة اختناق حادة

خالى الجيب من المال ويخبره عن غير قصد انه أخذ من شفيق أمس ثلاثة جنيهات أضعافا على الخمرة والنساء فيندعش أمين ويسأله هل قابل شفيق أمس وكيف كان ذلك وهل لم يسمع في مدة وجوده في منزل شفيق حركة غير اعتيادية أو همس أو ما أشبهه ، ثم يندفع أمين ضاحكا هازئا ظاناً انه يهزأ بصديقه مجدى لانه كان في منزل شفيق ولم يعرف أن أخته كانت في الوقت نفسه هناك . فيعجب مجدى من ضحك أمين واستهزائه به ويسأله عن سبب ضحكه فلا يجيبه فيطاب منه أن يخبره كيف علم بوجود حركة غير اعتيادية وهمس وما أشبهه عند شفيق أمس فيندعش مجدى ويغرق في الضحك هازئاً برفيقه الذى كان هناك وكان مجهل أمر زوجته الساقطة التى كانت تخونه مع صديقه فيعجب أمين من اندهاش وضحك مجدى ويسأله عن سبب ذلك فيطاب منه الجنيه أو لا فيعطيه أمين طلبه ولكن مجدى سرعان ما ينال بغيته حتى يريد الهرب من سؤال حرج لا يستطيع أن يجيبه عنه وكيف يخبر أمين بوجود زوجته في منزل شفيق . يحتد أمين ويطاب من مجدى أن يخبره بالحسنى فلا يرضى فتنمنا به نوبة السكوكاين ويجعل يسب ويشتم مجدى متهما إياه بالسقوط والنزلة والسرقة ثم تزداد حدته فيقول له جهاراً « هل تعرف أين كانت أختك بالأمس . انها كانت تخون شرفها عند صديقك شفيق » فيحتد مجدى . ككذبا ذلك ولا يسمعه الا افشاء الحقيقة الهائلة التى يصحق من هولها أمين

يخرج مجدى مطروداً من منزل صديقه ويهرع أمين فيقابل

ويبدأ مداعبته ولكنها مداعبة باطلة لا تجدى ولا تنفع . لقد أصبحت رتيبه غيرها منذ لحظة . دخلت ذلك المنزل ساقطة وستخرج منه شريفة محافظة على عفافها . لقد هيا الله لها حوادثاً هائلة فتحت أعينها المغمضتين فرأت هوة الخيانة والسقوط فاتحة فها لتبتلعها الى الأبد فتصيح قائلة :
(آه ياربى ما كنتشى بينى وبين الفضيحة الا شبر واحد . أما صحيح كانت عينيه مقفولة ودلوقتى اتتمحهم) وتترك المنزل وهى تقول لشفيق :
(دلوقت عرفت انك راجل دون ، نذل ، جبان ، الوداع . عمرك ما انت شايف وشى أبداً)

وهكذا ينتهى الفصل الثانى من الرواية أو المرحلة الثانية من حياة أمين . أما المرحلة الثالثة من حياة أمين وهى انفصل النهائى للرواية ففيها يختم حياته السافاة — حياة الكوكابين والسكر والنساء وودعها الى الأبد

يأتى يسرى باشا لمنزل أمين فى اليوم التالى لوقوع الحادثة السابقة بدعوة من والدته فيقابل الوالدة ثم الابن ويدور بينه وبين الأخير محادثة عن عزبة أبو (الأحمر) الذى يريد أمين أن يبيعها بثمن بخس لصديقه شفيق فيرجوه يسرى باشا أن لا يقبل ويبيعها اليه لانه سيردها اليه كاملة سايمة اذا استرد ثمنها من ربيعها فلا يقبل أمين الا اذا قرضه الباشا ٢٥٠٠ جنيهه فى الحال فيرفض خاله ويصر هو على رأيه ، وفى ذلك الوقت يحضر الصديق مجدى زائراً فيخلو به أمين ويتحدثان حديث المجون والخلاعة بين شم الكوكابين . ثم يطاب مجدى من صديقه جنياً لأنه

الرأس يترنح ذات اليمين وذات الشمال من تأثير الشراب ، وبعد المصافحة والكلام يخبر شفيق صديقه بأنه كتب اليه خطاب الاعتذار لأنه لم يرغب في تعكير صفوه مع حسناؤه . ولكن أمين لا يقتنع بهذا العذر ويدخله الريب في كلام صديقه ويلتفت يمنة ويسرة فيرى كاسات السُمبانيا مملوءة ومعدة للشرب فيسأل شفيق ضاحكاً : (وهل عندك حسناء تريد أن تخفيها عنى) فلم يسع شفيق الا الاعتراف بان عنده حسناء ، وهى فتاة متزوجة لا يمكنه أن يبوح باسمها ورجاه باطف أن يترك المنزل لأن الوقت ليس وقته بل وقت الحسناء ، فيضحك أمين ضحكات مثل مأفون ويقسم أنه لن يبرح المنزل حتى يعلم اسم الحسناء ويدور فى الغرفة صائحاً ضاحكاً فيقع بصره على مروحة زوجته وكانت تركتها على احدى المقاعد فيألتقطها ويفحصها ثم يصيح هازئاً برفيقه ويقول : (أنت تريد أن تخفى عنى اسم عشيقتك ولكنى عرفتها) فيهتز شفيق رعباً ويسأله عن معنى ذلك فيقول له أمين ان هذه المروحة اشقيقة مجدى ، لأن زوجته ذهبت الى شيكورييل وقابلت هناك أخت مجدى فاشترتيا مروحتين متماثلتين لم يكن فى المحل غيرهما ، فيطمئن شفيق ويذول رعبه ويرجو صديقه أن يكتم سره مع الفتاة لأنها أخت صديقهما ، فيؤخه أمين على خيانتها لصديقه وبعد مناقشة وجدال بين ثمل وصاح يخرج أمين من المنزل وهو يصيح قائلاً (صعبان على جوزها المغفل !!)

يترك أمين المنزل وتخرج رتيبه من حجرة النوم وهى ممتعة اللون مرتجفة الأعضاء تكاد تسقط من هول الحادثة . فيقترب شفيق منها

أن يفشل في ساعة انتصاره النهائية وأن يفلت الظبي من عنده وهو ما زال قابضاً عليه بيديه فأقبل عليها بتصيدها من جديد بعذب كلامه نادباً حظه السيء الذى أرسل اليه مجدى في هذه اللحظة ليعكر عليه صفو سعادته ، ثم جعل يحدثها تارة عن حياتها وما فيها من شقاء وامتهان وطوراً يقسم لها بشرفه عن حبه الطاهر النظيف فتقع الفتاة في الشباك مرة أخرى وينتصر الغرام الفاسد على الارادة النسائية الضعيفة وتزول تلك الجملة القوية التى قالتها عن نفسها : (ازاى افكرت فى انى أخون جوزى) ، أجل زال كل شئ ولم يبق فى النفس إلا صورة الأحلام الفاسدة ممزوجة بمناظر حياتها محاطة بهالة سوداء من غواية شفيق القاتلة . وبينما هما يقتربان من كهووس الشمبانيا يروحان ما بهما من عناء ويدفعان بنفسهما الى عالم المذة يسمعان وقع خطوات ومشاجرة بين زائر جديد والغلام الصغير

من يكون هذا الزائر وكيف رجع الغلام الصغير الى المنزل يحرس بابه ؟ أما الزائر فكان أمين بك زوج رتيبه — زوج الفتاة التى جاءت تخونه مع أعز صديق له ، جاء أمين بك يعود شفيق لأن الرسالة أخبرته بأنه طريق الفراش يشكو صداً ومغصاً ولأن حسناءه التى كان ينتظرها لم توف بوعددها ، أما الغلام الصغير حارس الباب فقد رجع الى الدار من السوق حينما صرف آخر مليم عنده .

تضطرب رتيبه اضطراباً عظيماً حينما تعلم بحضور زوجها فيدخلها شفيق على عجل غرفة النوم ويقتل بابها بالفتاح ، ويحضر أمين بك متثاقل

خارجا واذا بالفتاة رتيبة داخله وتكون فترة عصيبة هائلة ، يعلم فيها مجدى أى فتاة استطاع شفيق أن يوقمها فى شباكه ، وتضطرب رتيبة اضطرابا ينم عما شعرت به من وقع الفضيحة والعار ، ويغضب شفيق لأن الظروف أتت على عكس ما يشتهى !

وبعد خروج مجدى يجتهد شفيق فى استرضاء رتيبة مؤكداً لها أن ليس هنالك شئ فضيحة ولا عار لأن مجدى من عابدى الدرعم وهو لا يخل عليه بما يسكت لسانه ولكن تلك الصدمة الهائلة جمعت رتيبة تصحو برهة من حلمها الغرامى فتصيح قائلة : (أنا بسأل نفسى دلوقتى ازاي طاوعتك وجيت ، ازاي فكرت فى انى أخون جوزى) ولكنها تجد ان الذى هيا لها سبيل السقوط هو زوجها فلها وان كانت مذنبه فالذنب الاكبر قد اقترفه زوجها ، وهكذا نسمعها وهى تخاطب شفيق : (صحيح أنا بنت طايشه ، دائما كنت أجهل واجباتى ، ولكن جوزى ما عرفش أبداً يرجع لى صوابى ، هو اللى خلانى أشوفك ، هو اللى ادك الفرصة عشان تحبى ، هو اللى خلانى أحبك ، هو اللى اسبب فى انى أجي برجليه لحد بيتك) كلام كله حكم غالية ، نعرف منه ما كان يجول بنفس تلك الفتاة الضعيفة فى ذلك الوقت العصيب الذى أت فيه لتبيع شرفها وتلحق بنفسها العار الدائم . لقد اعترفت بخطئها وما أوقمها فيه زوجها من المصائب والمحن ، وكادت تنهض بشرفها الذى لوته بعض الأدران وعقدت العزيمة على ترك ذلك المكان والرجوع من حيث أتت قانعة من الغنيمة بهذا الدرس الاخلاقى الكبير ، ولكن يمر على شفيق

فاذا سأله أحد منهم أجابه على الفور بأن البيك غير موجود . أما اذا أتت سيدة فيفتح لها الباب على مصراعيه . ثم يعطيه قرشا مكافأة له على نباهته وقيامه بالواجب سلفا !! فيتناول الفتى قرشه ويترك الباب بلا حارس ذاهباً الى السوق يشتري بالمكافأة ما يشبع به بطنه من مختلف الحلوى ، ويجلس شفيق مطمئنا مستريحاً مستعداً لمقابلة المحبوبة ولا يعرض عليه وقت قصير حتى يسمع وقع خطوات فيقوم ليستقبل رتيبه . ومن يأتي خلفها في ذلك الوقت ، والميعاد ميعادها واليوم لها كله ، فاذا به يستقبل الصديق مجدى فيفزع منه بادىء الأمر ثم يسأله كيف دخل وهل لم ير الغلام الحارس على الباب ، فيخبره بأن الباب بلا غلام ولا خفير ، وبعد محادثة قصيرة يخبره شفيق بأن الساعة ميعاد حضور فتاة تعرف بها حديثا لا يستطيع أن يخبره باسمها لانها من عائلة كبيرة وهتزوجة ثم يرجوه أن يتركه منفرداً لانه لا يريد أن يفضح أمر الفتاة ، ولكن مجدى المهزار الثقيل ذا النفس الذليلة الساقطة يمكث بالرغم من شفيق ضاحكاً مستبشراً معللاً النفس برؤية تلك الحسناء المتزوجة التي استطاع شفيق أن يلقبها في شبابه فيضطرب شفيق ويستخدم معه واذا بهما يسمعان وقع اقدام فيدفع شفيق مجدى لحجرة النوم ويثقل بابها عليه ويذهب ليستقبل فتاته فاذا بالزائر يسرى باشا الذى جاء ليرجو شفيق أن يتنازل عن شراء العزبة ولكن شفيق لا يجد صعوبة فى اخراجه من منزله وارجاعه من حيث أتى . ثم يُخرج مجدى من مخبئه ويرجوه الاسراع فى الخروج فيطلب منه مجدى تعويضاً فيعطيه ثلاثة جنيهات يأخذها ويهم

عليه من الحسنة ! ولكن يسرى باشا خال أمين الذي عقد العزم على
نجاة أمين بالرغم من نفسه يذهب متدلا شاكيا لشفيق راجيا منه أن
يعدل عن هذا الشراء لأنه يريد أن يشتري هذه العزبة لنفسه ثم يردّها
لأمين بعد أخذ ثمنها من ريعها خدمة لأمين ومحافظة على ثروته فلا
يقبل شفيق ولا يجدى معه رجاء ولا توبيخ . فمن ذلك نعلم أن شفيق الذي
يعده أمين صديقه الحميم وساعده الأيمن يريد أن يقضى في وقت واحد
على شرفه وثروته

في يوم الموعد — موعده حضور رتيبه هانم زوجة أمين لدار شفيق
— يدعى شفيق المرض ويرسل خطابا مع خادمه لأمين يعتذر اليه بعدم
استطاعته مقابله اليوم لأنه مصاب بمغص شديد وصداع ويرجوله
نزهة جميلة مع خليلته الجديدة . وكان أمين تعرف بأحدى الحسان
وواعدته أن نقابله في ذلك اليوم ليتنزها سويا في الجزيرة فعز عليه أن
ينفرد بالحسنة ورجب أن يشرك معه صديقه الحميم شفيق خادته في ذلك فلم
يرفض الدعوة ولكنه اعتذر أخيرا لأن رتيبه واعدته على الحضور في
هذا اليوم . وهى أول مرة قبلت أن ترى بنفسها فى أحضان رجل غير
زوجها . فضحى شفيق . موعده أمين ارضاء لرتيبه وكيف لا يفعل ذلك وهو
الذى استطاع بعد أربعة أشهر طويلة أن يقتنص هذا الغزال المهجور
ويأويه فى داره لينال منه بغيته الفاسدة

يرسل شفيق الخادم بالرسالة ويأمره بعدم الرجوع ثم يوصى الخادم
الصغير بحراسة الباب ويأمره بأن لا يسمح للرجال أن يطأوا عتبة بابه

مهملة وغير محبوبة ومدفوعة فوق ذلك بخلقها الناقص الى سبيل الطيش والرعونة . ماذا تكون نتيجة ذلك التعارف ؟ وهل يستطيع أمين الجهول أن يعرفه ؟

هكذا ختم المؤلف القسم الأول من حياة أمين والفصل الأول من فصول روايته . أما القسم الثاني من حياته فيبدأ بعد مضي أربعة أشهر من ذلك التعارف وفيه يفلح شفيق بك في غواية زوجة صديقه أمين فيظهر لها بمظهر المحب الذي ضرّم الحب أنفاسه محدثاً اياها عن حياتها البائسة حياة العزلة التي لم تتمتع فيها بالحب ، والحب هو سعادة الحياة ونعيمها

استطاع شفيق بك بحلو حديثه السام وخداعه أن ينفذ في قلب تلك الفتاة الطائشة سهام غرامه القاتل فأصبحت تشعر بميل له وواعده على الحضور لمنزله ليقطف ثمار الحب الشبية وينعمان بالسعادة والهناء تحت ظلال الغرام الشريف . . ! واعدته الفتاة على الحضور مدفوعة بعوامل كثيرة — اهمال زوجها وغواية شفيق القوية وطبيعة خالقها الناقص — عوامل ثلاثة تهدد جبال الشرف وتقود النساء من ذمامهن الى حيث يضحين عفافهن ويلوثن حياتهن بالعار الدائم

اذا كان شفيق استطاع أن يغوى زوجة صديقه ليأتي على شرفه فقد حدثته نفسه في الوقت عينه أن يجهز على جزء عظيم من ثروته . فانهز فرصة افلاس أمين والحجز على احدى عزبه فتصدى لمشترها بثمان بخس مخجل ، وهو الذي كان يمد يده لأمين بالامس يأخذ ما يتصدق به

تستدعى حكمت هانم والدة أمين يسرى باشا وترجوه أن ينصح ابنها ويهديه سواء السبيل ويحدثه عن ثروته وما يجب عليه أن يفعله ليحفظها من الدمار فلا يكاد يسرى باشا يفتح فيه ناصحاً ومحدثاً ابن أخته حتى تنهال عليه الشتائم والاهانات . أما معاملة أمين لوالدته فمائلة لمعاملته خلاله وان كانت أقل منها قليلاً . ووالدته أم قبل كل شيء . أهملت تربية ابنها شفقة وحناناً عليه فهي من فئة الوالدات الخنونات اللاتي يلقين بجنانهن أولادهن في وهدة الشقاء ثم يشكون حالهن وسوء حظهن . وما أحسن قول يسرى باشا لها وهو يحدثها عن ابنها وعن شفقتها عليه : (أنا مش قلت لك أن سبب فساد الأولاد هيه شفقة الأمهات . أعرف أن شفقة الأم كويسة . لكن أعرف كان ان شفقة الأم لازم يكون لها حدود . بقى عشان خايفه أن ابنك بزعل تخليه يعمل اللي على كيفه ويفضل ماشى في السكة دى . . .)

أما أصدقاء أمين فكثيرون لم يظهر لنا المؤلف منهم غير اثنين : شفيق بك ومجدى بك . وهما من اخوان السوء الذين ينتصقون بالشباب الغنى الطامش ينتصون ثروته متظاهرين بالاخلاص والمحبة له وهم لا يضررون الا الايقاع به والانتفاع منه بقدر ما يستطيعون . يأتي بهما أمين لداره ويشرعون يتخادنون حديث المحبون والخلاعة وهم يشبون الكوكابين بين فترة وأخرى ثم يقدم لهما أمين زوجته جرياً وراء الحرية التي لا يعرف منها الا اسمها . وهكذا يقود الزوج زوجته طريق جديد لم تكن تعرفه . شابان من سفلة القوم يتعرفان بزوجة صديقهم — زوجة

المعظم بالكوكابين » - تحليلًا تاماً أوضحته مشاهد الرواية ومحدثاتها
فأتى نموذجاً كاملاً لهذه الفئة الطائفة التي كثيراً ما أودت بأخلاقها
وحياتها مندفعة في ذلك السبيل الفاسد بدون روية ولا عقل . ان شخص
أمين بك مجرد أن يكون مائلاً دائماً أمام متعاطى الكوكابين من الشبان
ليأخذوا من حياته درساً نافعاً ينقذهم مما هم إليه مساقون

رواية الهلالية هي تاريخ حياة أمين قسمها المؤلف ثلاثة أقسام هي
عدد فصول روايته . القسم الأول شرح فيه المؤلف كيف يعيش أمين
مع زوجته وكيف يعامل خاله وأمه وماتم أصدقائه . أما معيشته مع
زوجته فمعيشة رجل يمضى ليله خارج المنزل يقامر ويسكر ويفنى شبابه
بين الكوكابين والنساء ، ويمضى نهاره هنا وهناك محاطاً بفئة طاغية من
الاصدقاء - معيشة جمعت زوجته المهملة الغير محبوبة أن تتبع هواها ،
فتنهارها في مخازن البيع ومصر الجديدة والجزيرة وليلها في المسارح المصرية
والافرنجية . وهالك ماقاله يسرى باشا وصفاً لهذه الزوجة ، وهو يحدث
أخته حكمت هانم (والدة أمين بك) : (احنا اتريننا تربية جنس
تاني . عمرنا ماشقنا البهرجة ولا الداع ولا الزينة ولا لجر ولا لبيض ولا
اليشمك ولا حاجة من دى . احنا بناتنا متعلمين ومترينين يقضوا وقتهم
في شغل بيتهم وفي تربية أولادهم وفي المطالعة . مش في شكوريل وسمعان
والجزيرة ومصر الجديدة والبياترات زى مرارة ابنك !)

أما معاملة أمين خاله فمعاملة خشنة شديدة ، معاملة شاب طائش
لا يرضى بغير رأيه ولا يتبع نصيحة من هم أكثر منه خبرة وحكمة وعقلاً .

رواية الهاوية

سمعنا واحدا من أصدقاء التقيد يقول « لومات تيمور ولم يكتب الهاوية لقلنا أنه مات ولم يفعل شيئا ، أما وقد الف الهاوية فقد خلد اسمه في تاريخ التمثيل المصرى . » ومع ما فى هذا القول من المبالغة فهو لا يخلو من الحقيقة . لأن الهاوية خير رواية كتبها تيمور وربما كانت خير رواية أخرجها المؤلفون المصريون على المسرح المصرى

رواية الهاوية كوميدى درام ذات ثلاثة فصول صور فيها المؤلف سيئة لها مساس كبير بحياة العائلات المصرية. تضمنت هذه السيئة ما أتاه المؤلف على لسان أحد أشخاصه يسرى باشا وهى : (مادام الراجل مشغول بالنسوان والخزرة والسهر والكوكاين طبعا الست رايحه تشتغل أولا بالشرابات والمناديل ... وبعدين تشتغل بحاجات ثانية ...)

بنى المؤلف روايته على أساس داء الكوكاين — ذلك المرض الفتال الذى شغفت به الشباب وأقبلوا عليه اقبالا يندر بسوء المصير . فأتى بشاب من عائلة كبيرة متزوج وله ثروة عظيمة ورثها عن أبيه . شغف بشم الكوكاين ففسدت أخلاقه واندفع فى طريق مهلك سماه المؤلف فى روايته (السكة اللى تودى ولا ترجمش) وهو طريق السهر والمقامرة والنساء ، فيه تتدفق الثروة العظيمة فيخسر الشاب فى وقت قصير ماله وشرفه وربما خسر حياته أيضا

حال المؤلف أخلاق بطله — « أمين بك الشاب المتزوج الوارث

ولكن فرحات النصاب خالى الوفاض لا يملك الا الدفع مؤجلا فترجح كفة بليغ. وبينما الكحل على هذا الحال اذ يدخل ضابط بوليس يلقى القبض على فرحات لاتهامه بالنصب والاحتيال فيتم الفوز لبليغ وتصفو الاحوال

ما يقصده المؤلف من روايته

كتب تيمور عبدالستار لا يشرح للجمهور نظرية أخلاقية أو يعرض عليهم حكمة غالية بل كتبها لمجرد التحليل النفسى لأشخاص الرواية، وعرض قطعة حية على المسرح ظهرت فيها بأجلى بيان الأخلاق المصرية لطبقة من الطبقات. وهذا نوع الروايات التى تبحث فى درس الأخلاق فحسب « étude de caractère ». فهى والحالة هذه الرواية الأولى من نوعها تجلت فيها دقة المؤلف فى الملاحظة وبراعته فى درس الاخلاق. عاب بعضهم على تيمور أخراج رواية خالية من أى معنى أو قصد، ولكنهم جهلوا غرضه الأساسى من كتابتها كما جهلوا ذلك النوع الروائى من قبل لتعودهم رؤية الروايات ذات المغزى سخيفة كانت أو جميلة. واذا هم دققوا النظر واعملوا الفكرة وعرضوا أمام أعينهم شخصية كل فرد من أفراد رواية عبد الستار لتجلت أمامهم قيمة الرواية وقوتها الفنية.

سوف يشرق اسم عبد الستار من جديد فى أفق المسارح المصرية حينما تتعدد أمثال هذا النوع فيقر المنكر بفضل هذه الرواية ويعترف لمؤلفها الراحل بمكانته الخالدة

أخلاق الفتى فرحات وفقره المدقع. فيدق قلب نفوسه فرحاً ويؤول ملبها
من البغض لبلوغ . ويأتى عفيفى فتشرح نفوسه له الامر بمسكنة وذل
ليرجع عن رأيه ويرضى ببلوغ الشاب الغنى المهذب زوجاً لأخته جميلة .
ولكن عفيفى لا يرجع عن رأيه ويخبرها بأن كل ما قاله لها عبد الستار
كذب وبهتان . وهل تصدق كلام هذا الرجل الماكر الكذاب الذى
لا يرعى ازوجته عهداً ولا وفاءً . فتطلب منه المزيد فيتنفق مع خلياته هانم
لمثل لهما دوراً مع عبد الستار يظهر منه خفايا قلبه . فلما يأتى عبد الستار
يختبئ الاثنان وراء الستار يريان بعينهما تلك المهزلة الغريبة ويسمعان
بأذنيهما اعتراف عبد الستار . تستدرج هانم عبد الستار بخلاعتها ومكرها
فيقع فى شباكها ويفتح قلبه لها ، فتسمع نفوسه من فم زوجها تلك
السكرامية التى خصها بها — تسمع أخبار خيائته لها مع نساء تعرفهن —
تسمع لهجته الغرامية مع هانم ، فتخرج من محبتها والنار تأجج فى قلبها
وتنهال عليه ضرباً ببعائها ثم تأمر بحبسه فى المندرة الرطبة فيقضى بها ليلة
طويلة قاسية . كانت تلك الرواية التى قامت هانم بتثليلها أمام نفوسه خير
برهان يثبت لها كذب عبد الستار وخيائته فأصبحت تده منافقاً كذوباً
وازدادت ثقتها بابنها فأقرته من جديد على زواج فرحات بجميلة . وفى
صباح اليوم التالى لحبس عبد الستار يأتى فرحات مع المأذون ليعقد العقد
على الفتاة ويأتى فى ذلك الوقت بايغ مزوداً بالمال وحجج الاطيان وتقام
فى ذلك الحين حفلة مزايمة بدلاً من حفلة القران فيزيد كل من الخطيبين
صداق الزوجة ويخص كل منهما نفوسه وعفيفى بأطيان ومال اسئلة لهما .

الأكبر. رأينا تيمور يحال أخلاق هذه الفتاة على المسرح تحايلاً مدهشاً من مبدأ الرواية لنهايتها. فكأنه أتى بفتاة جمعت تلك الأخلاق من بيتها الصحيحة (البلدية) وأوجدها على المسرح لتمثل لنا الحقيقة التامة. فشخصية هانم شخصية قوية أودع فيها المؤلف نفس فتاة متهمكة خليعة من فتيات الطبقة البلدية

موضوع الرواية باختصار

عبد الستار افندي رب البيت يعيش في منزله تحت سيطرة ابنه وزوجته. يختار لابنته فتى مهذباً زوجاً لها ولكن زوجته وابنه يرفضان ذلك الزوج ويختاران زوجاً آخر من سفلة القوم يدعى فرحات. وكان فرحات هذا قد وعد عفيفي بأنه اذا تزوج أخته جميلة يسعى له في زواج كريمة المثرى الوجيه عزيز بك فيغتر عفيفي بهذا الوعد الكاذب آملاً أن يحقق آله الخيالية من طريق الزواج ويحتم على والده بقبول فرحات زوجاً لجميلة. ولكن جميلة تحب بليغ وتريده زوجاً لها وتكتشف عن طريق الصدفة خيانة أخيها لها بأن تسمع حديثاً يدور بينه وبين فرحات تعلم منه سفالة أخلاق ذلك الخطيب ومكانته الوضيعة الساقطة في الحياة. وكان عبد الستار يجاهد في سماع جهاد الابطال ولكن بدون فائدة. وتوفى في هذه الاثناء عم بليغ فورث منه الثروة لا يستهان بها قدرها ١٠٠ فدان و ٤٠٠ جنيه ذهب في البنك فيعم عبد الستار الفرح ويذهب الى زوجته يخبرها هذا الخبر السار ويبرهن لها في الوقت نفسه بسفالة

شخصية جميلة شرحها المؤلف شرحاً وافياً أظهر فيها صورة ذلك العجوز الطيب القلب الصابر على بلوآء الخنص لسيدته الذي تملأ البساطة نفسه فقرأها على وجهه وتسمعها من كلامه وتجدها ظاهرة في معانيه

جميلة : شخصية جميلة ليست من شخصيات الرواية القوية لأن المؤلف أوجد فيها روحاً غريبة تخاف بعض المخالفة روح بنات مصر . فتاة محبة محبوبه تجاهر برأيها في رفض من اختاره أخوها وتعلم عن رغبتها فيمن تريده زوجها لها . والمعلوم أن بنات هذه الطبقة ليست فيهن تلك الروح الجريئة خصوصاً في مسائل الزواج واختيار الزوج

فرحات : لا نجد وصفها له أحسن مما قاله عبد الستار في سياق كلامه عنه : (فرحات الواد الصايغ اللي عامل ديل لاولاد الزوات . دا واد صنعته تخلي الوش يحمر . أنا ما أجوزشى بنتي أبداً من راجل فلاتي . بتاع نسوان ، قارتى وحشاش ... وكان يخدم أصحابه ! ...)

بايع : فتى مهذب ، كامل الاخلاق . موظف في إحدى المصالح وثروته بسيطة ، محب لجميلة يريد لها زوجة له . يتوفى عمه ويخاف له ثروة لا يستهان بها قدرها مائة فدان و ٤٠٠ جنيه ذهب في البنك . بهذا المبلغ يفوز بايع بأمنيته فيهب لحماته نفوسه ونسيبه عفيفي يضع أفدنة ويضع دربهات يسكت بها أصواتهما المعارضة فينقلبان يسبحان بحمده ويلهجان بشكره هام : فتاة خليعة مراوغة مأكرة . خلية عفيفي وساعده الأيمن في شره . تعبت بمن في المنزل جميعه ، لا تبقى على سيد ولا على خادم بل الكل في قبضة يدها . وكيف لا يكون ذلك وسيدها عفيفي حامياً

أن فرحات نصاب وهى ترفض الزواج منه . فرأينا الأم فى ذلك الوقت
أما يذبض قلبها بحجة ابنتها وتحتلج نفسها بطاب السعادة لها فسمعناها تقول
لا بنتها : (اوع يا حيتى يا بنتى بخاطر بيالك أنى أجوزك الوادبتاع الازبكية
ده « تعنى فرحات » خصوصا وأن جوزك بليغ بك بكره يدسطك
ويشوف كيفك ٠٠٠) يدل هذا الكلام على أن نفوسه اقتنعت بكلام
زوجها وقبلت بليغ زوجاً لابنتها . ولكن سرعان ما يدخل عفيفى ويسمعها
صوته حتى يتلاشى ذلك الاعتقاد وترجع الى فكرها الأول معصدة
إبنتها فى طابه . والذي يساعد هذا الابن الشرس الوقح على التأثير على أمه
أخلاق عبد الستار النسائية وسداجته الكبيرة ، فينصب له الابن مكيدة
يدبرها مع خليلته الخادمة « هانم » تظهر جميع خفايا قلبه ، فتسمعها نفوسه
زوجته بقلب حاقد ونفس شريره ، تسمع أقواله وهو يغازل ويحدث
هانم بينما تكون مخبئة وراء الستار فيزول ذلك الأثر الباقى من نفسها
وتنهال على زوجها تضربه بنعلها ضرباً مبرحاً بين منه ثم تصدر قرارها هى
وابنتها بحبس عبد الستار فى المنسدة فيقضى المسكين طول الليل بين
ويكى ويندى سوء حظه وعظم سداجته . هذه أخلاق نفوسه زوجةً وأمًّا .
عم خليفه : رجل كهل خدم العائلة من قديم ، فهو صديق أكثر
منه خادم ، لا يسلم من اهانات عفيفى ونفوسة ولا من مكر الفتاة الخليفة
هانم . رجل طيب ساذج . وكثيراً ما شاهدنا الطيبة مع السداجة ،
والمكر مع الذكاء . لا يجب غير سيده عبد الستار لانهما اشتركا فى
السداجة والبؤس . كلاهما ذليل ممتهن يقبل الذل بصمت وصبر .

على الديوان . جاي منين ؟ من لديوان ولا تسألتي أبداً عن الكلاب .
« موجها الكلام لأخته » وحضرتك ماتيش ساءله الا عن جوازك .
لا . أخذ ده . لا . ماخذش ده ...)

نفوسة : امرأة عامية من الطبقة المترسطة سيئة الاخلاق جبانة
القلب تقسو على زوجها الضعيف وترهب ابنا الشرس . شخصية قوية
أوجدها المؤلف في هذه الرواية ليشرح أخلاق نساء (أولاد البلد)
وعوائدهن ومعاملتهن مع الغير ومبالغ رقي أفكارهن . لابنها عفيفي تأثير
شديد عايبها ، فدائماً في صغره تساعده على تنفيذ أوامره بأطلة كانت أو
حسنة . ولقد رأيناها ترضى بمن أتاه لها زوجاً لابنتها ، ورفضت ذلك
الذي اختاره زوجها ، خوفاً من إبنها واعتقادها أنه أعلى فكراً وأرجح
عقلاً من زوجها . ومن عاشت تلك المدة الطويلة وهي تنظر لابنها هذه
النظرة المجردة عن الحق رهبة منه وخوفاً على نفسها من بطشه لا تجد في
شخصيتها مغالاة ولا ضعف . رضيت نفوسه بمن اختاره عفيفي زوجاً
جميلة وسمعت الشناء المستطاب من من فقه قبايلته بالفرح والاستبشار
وتلقت كلامه كما يتلقى الانبياء الوحي فلا نقض هناك ولا ابرام .
فكان حظ من اختاره عبد الستار الرفض والطارد والهزء والسخرية .
ودام الحال على ذلك حتى اتضحت الحقيقة وأكد لها زوجها أن
الفتى فرحات شخص منحط الاخلاق نصاب لا يليق ان يكون زوجها
جميلة . وعزّزت كلامه ابنته التي كانت تمقت هذا الشاب وتميل
لبليغ الشاب المهذب الذي اختاره أبوها . فبرهنت لامها ببرهان قاطع

حدثه ابنه وزوجته في المنذرة الرطبة حيث أمضى طول الليل على مقعد من الخشب . أثرت فيه تلك القسوة فأخضع ما تجدد من ارادته واستسلم لأوامر ابنه وزوجته فرأينا جميلة ابنته تصرخ قائلة وهي تجيب عم خليفه ، خليف أبيها وساعده الأيمن : « نرتب إيه ونعمل إيه اذا كان انت وأبويامافيش فيكو قوه . لا ياعم خليفه أنا حاتككل من هنا ورايح على نفسى وربنا يساعدى » . تقول جميلة هذا القول بعد ان رأت ان أباهما يكاد يتخلى عنها وكانت تعرف حق المعرفة الى أى هاوية مُساقاة

عفيفي : ابن عاق سيء التربية فاسد الأخلاق عاطل من أى عمل ، ولكنه يدعى انه عضو عامل في الهيئة الاجتماعية . كيف لا وهو غاوى تمثيل وعضو في جمعية الرفق بالحيوانات ! وقبح شرس يخافه كل من المنزل فهو السيد المطاع الذى لا يرد له أمر ولا نهى . يخافه أبوه وأمه ولا يجسر ان على معارضته فيما يريد ويطلب . دنى النفس شرير يتخذ له خادمة حقيرة في منزله خليمة له ، ويختار لأخته زوجا من المتشردين النصابين طمعا في زوجة مثرية وعده بها ذلك الصعلوك الكذاب . مشغول بتربية بعض الكلاب في منزله ويكلف أهل المنزل من أبيه الى خادمه - برعايتها وخدمتها . ولا ننسى حدته وغضبه على الجميع حينما يجد أحد كلابه مريضا ، اذ يقول : « ازاي الكلب فوكس يعي واتم كلكم طيبين . أنا عارف السبب عارفه . « موجهها الكلام لو الدته » حضرتك ماحييش كلابى وموش عايزه حد يعيش فى الدنيا إلا الارانب بتوعك . « موجهها الكلام لأبيه » وحضرتك عامل صاحب أشغال ، رايح فين ؟

صوته لأول مرة مدافعاً عن ابنته وسماحتها . ولم تكن صدمات الزوجة والابن وقساوتهما بمناعة اياه من السعى المتواصل وراء بغيته ، كان بين تارة ويهدد طوراً . كان يتراجع مرة ويهاجم أخرى . وهكذا جعل لمؤلف شخصية عبد الستار مسرحاً لمنضال قائم بين الارادة والضعف ، بين العزيمة والوهن . وهل ننسى ما يقوله ذلك الاب المسكين الذى ما دفعه الى ذلك العناد القوي غير حب ابنته ورغبته فى إسعادها : (والله طيب يا عبد الستار . قعدت تخاف وتستر على كل حاجة وعشان كده سموك عبد الستار . اكن عشان خاطر بنتك راح تعمل اللي انت عايزه وبكره يسموك عبد القادر) وهل ننسى أيضاً معارضته لنفسه حيث يقول لها بقاب جرىء لم يتعود من قبل غير الرضى والاذعان : (مستحيل ان فرحات ده تجوز بنتى . سامعين ؟ انا سكت لكم كثير . لىكن المرة دى رايح اعمل اللي ما يتعمل) يقول عبد الستار هذا القول الذى يدل على تجدد العزيمة وازدهار الارادة وهو الذى سمعناه من قبل يقول ساخطاً على حياته راضياً عن ذله : (والله يا عبد الستار خليت بنفسك شوية من السكايته اللي رماك ربنا بها « يعنى زوجته » . فى الديوان رئيسك موريك الغلب وفى البيت ابنك مكفرك ومراتك مطلعة روحك ... القصد أديك بقيت لوحدك) . ولكن شخصاً نبهت الذل فى قلبه وأرضى عمره فى بيئته كلها فسوة وامتهان وحات نفسه من بذور الارادة السالحة يستحيل عليه أن يخلق له عزيمة ثابتة ويؤسس له ارادة قوية صلبة . ولذلك رأينا عبد الستار افندى يخبى ويبراجع القهقري خصوصاً بعد أن

لها . ولعل هذه غلطة من غاطات المؤلف التي لم يكن يحسب لها حساباً ،
وكثيراً ، اتخطى ظنون المرء

أشخاص الرواية

(١) عبد الستار افندى : رجل عالى من الطبقة المتوسطة ، موظف
فى احدى الوزارات براتب تسعة جنيهات ، متصابى يغازل السماء ويفتخر
بذلك ، جبان القلب ضعيف الارادة الى حد جعله العوبة فى يد امرأته
القاسية وابنه الوقح ، يأمر بأمرها ونهيها . ولكنه ذو قلب طيب ممتلىء
بالشفقة والحنان ، يحب ابنته فوق كل شئ ويطلب لها العيش الرغد
والحياة السعيدة . ومن أجل تلك الابنة أراد عبد الستار الذليل المهضوم
الجناح أن يرفع رأسه وينادى بخلاص ابنته من هوة الزواج السحيقية
التي أراد أخوها وأمها (أى ابنه وزوجته) أن يرمياها فيها . اختار
عبد الستار افندى فتى شريف النفس ، مهذب الاخلاق ، كامل الطبع
اسمه بلوغ زوجا لابنته ولكن ابنه عفيف لم يرض بهذا الزوج بل
اختار شاباً صعلوكاً ، دنىء النفس ، مشهوراً بالنصب والاحتيال ، اسمه
فرحات ، سعى عند عفيفى هذا المسعى واعدأ اياه أن يزوج ابنة أحد
العهماء الموسرين اذا تم له زواج أخته . فرفض عبد الستار هذا الزواج
وتشبت بفتاه الذى اختاره لابنته من قبل . وبدأت معارضته من ذلك
الحين وكان بالامس يعيش طأطىء الرأس راضياً بما قسم له خاشعاً أمام
زوجته صاغراً لما أمر به ابنته . رفع عبد الستار عقيرته وتجراً ان يسمع

وكثير الاقبال عليها حتى كادت المسارح الجديدة ذات الدرام والتراجيدي تهوى برواياتها الى هوة الافلاس والهلاك . كتب تيمور روايته لغرض أساسي واحد هو اختبار ذوق الجمهور واجتذابه اليه برواية فنية اخلاقية ، ذات مشاهد هزلية ونكات طيبة عذبة ، وروح خفيفة ضحوكة . حتى اذا أفاح في جذبه الى هذا النوع الجديد من الروايات الكوميديية أيقن بفوزه على التمثيل الهزلي الخليع المفسد للأخلاق . فجاءت رواية عبد الستار بدعة على المسرح جامعة لاصول الفن ومسببات الهزل والمجون - رواية لا أغالى اذا قلت عنها انها ابتسامة ساحرة من مبدئها لنهايتها ، أخذة بمشاهدها ، طيبة بحوادثها ، خفيفة بكلامها ، عذبة بهزلهاء ، قوية بنقدها ، تامة بتجاليها

كان هذا غرض المؤلف من وضع رواية عبد الستار ولكن الظاهر أن تمثيل الرواية في هذا الاوان كان سابقاً لوقته لان الجمهور في ذلك الوقت لم يكن قد امتلأ من الهزل الخليع بأغانيه ورقصه ومدهشات مناظره . فلم تعش « عبد الستار » على المسرح وان كان نجاحها في الليالي الاولى مدهشاً . لم تعش « عبد الستار » لهذا السبب وللاسباب أخرى أهمها ان الجوق الذي مثلها جوق غنائى على رأسه المغنية المطربة السيدة منيرة المهديية . والرواية التي ليس للسيدة دور فيها أو بالحري الرواية الخالية من أنشودة من أناشيدها كان محكوم عليها بالفشل . وهكذا كان نصيب رواية « عبد الستار » - رواية كوميدي راقية تمثل على مسرح لم يكن في جوانبه غير غناء السيدة ولم يدو في ارجائه غير تهليل الجمهور وتصفيقه

بين سطورها. أما الحكمة التي أرادها المؤلف في رواية « العصفور في القفص » فقد قلها على لسان أحد أشخاءه (عبد العزيز رضوان) حيث جعله يحادث الجميع قائلاً: « آه . أدى غلطة الأبيات . غلطتنا نشد الخناق على أولادنا حتى لما يصوننا نطردهم » . ويالها من حكمة جليلة مازالت تتكرر على مسرح حياتنا المصرية ولن تزال تتكرر حتى يصحوا الآباء من غفلتهم فيعاملون أن الشدة والقسوة والاستبداد بأولادهم ليست مظهر من مظاهر التربية الحقة بل هي مظهر من مظاهر الحق والجهد الذين طالما سببا الشقاء الدائم لأفراد الأسرة . ولم يقتصر المؤلف على ذلك بل شرح أعمال حسن ولم يقره على ما أتاه ليعلم الناس أن ذلك الفتى قد أتى ما أتاه بحكم الضرورة وقسوة الظروف، فما زواجه لفتاته الأفعلة مستنكرة كان من الواجب أن يحجم عن عملها فجعل عبد العزيز باشا رضوان يخاطب محمود بك وأمين بك رفيق حسن بالنصيحة الآتية قائلاً: « ما تظنوش يا محمود بك ويا أمين بك ان حسن عمل طيب . الظروف كانت قاسية عليه جداً . فأصحكم انكم ماتجوزوش إلا من جنسكم »

رواية عبد الستار افندى

رواية عبد الستار ذات اربعة فصول من نوع الكوميدي الاخلاقى . كتبها المؤلف في وقت أئتمت فيه المسارح الهزلية

المديرية فيهرع الباشا مغتراً الى منزل حسن ويتقابل الجميع . فينتفخ منه عبد العزيز باشا رضوان ويتعهد له انه اذا قبل اقتراحاته فان انتخابه محقق هذه المرة فيقبل الباشا الاقتراحات جميعها وهي تتضمن مساعدة حسن مالياً بمساعدة شهرية جلييلة وابقاء الوظيفة التي كان الباشا عازماً على عملها وفيها يحرم ابنه من ميراثه . فيتم بذلك الصالح بين الولد وأبيه وتزول الضغائن من انقلاوب ولكن الذي يسبب الؤام الحقيقي وينشر أؤوية السلام على أفراد العائلة ليس مجالس المديرية ولا الغاء الوظيفة بل هو ذلك الطفل البريء من كل ذنب فانه حالمسا يراه جده ويتمتع بتلك الابتسامة المشرقة على جبينه الواضح ينسى كل شيء ويمتلئ قلبه بالطف والحنان ويشعر بمحبة لم يشعر بها من قبل وهكذا تتمكن روابط الأئمة والمحبة وتزداد بين أفراد العائلة من أجل تلك الزهرة النامية ذات العبير الجميل

ما يقصده تيمور من روايته

غاية تيمور الاساسية في كتابة رواياته هي . اذ كرناها آنفاً وكررناها عند الكلام على معظم ثمره ألا وهي عرض قطعة حية من الحياة المصرية بمنظرها وأشخاصها وأخلاقها وشرح تلك الاخلاق شرحاً يفهم منه القارئ أو المشاهد وجه النقد الذي يقصده المؤلف والحكمة الجلييلة التي أرادها وبني روايته من أجلها . ومن اطاع على الرواية أو ساعده الحظ فرآها من الفرقة التي مثلتها لأول مرة لا بد وأنه أعجب بمهارة المؤلف في رسم اشخاص روايته وفي نقده الاخلاقي وبثه الحكمة الغالية

ينتقل حسن الى السكنى فى منزل صغير مع حبيبته مرجريت التى تزوجها. يكسب عيشه من وظيفة متوسطة فى محل الجمال فيعيش عيشة صغار الموظفين قانعا بزوجة محبة له محبوبة منه . وتمضى الايام سراعاتلا له مرجريت طفلا وضاء الطاعة جميل الحيا يكسب حياة والديه بهجة وسرورا

تأتى والدة حسن ازيارة ابنها ومد يد المساعدة له والتمتع بمشاهدة حفيدها خاسة بدون علم زوجها الباشا وكذا يزوره صديقه أمين ومحمود . ففى يومٍ والكل محتمعون فى منزل حسن ينتظرون أوبته من محل عمله ينظرون من نافذة الحجرة المطلة على الشارع فيرون حسن آيباً ومصطحباً معه رجل ملتجى يعرفونه بأنه عبد العزيز باشا رضوان عين أعيان الحكومة ، وقبله محمد باشا على ومعبوده الذى يعتمد عليه ليساعده فى الانتخاب لمجلس المديرية

يدخل حسن ومعه الباشا فيقدمه لمحمود وأمين ويقدمهما له ثم يبدءون الحديث فيخبرهم عبد العزيز باشا رضوان أن حسن أسدى اليه معروفاً ان ينسأه الى الأبد بأن نجاء من الموت تحت عجالات الترام ، وهو يريد أن يجازيه على هذا المعروف بمد يد المساعدة له فى التوسط بينه وبين أبيه وقد كان يجهل الخصاص العائلى الواقع بينهما ، فيهاى الجميع لهذه الفكرة ويستحسنوا حضور الباشا والى حسن فى الوقت نفسه ليتم الصأح حالا ، ويذهب أمين بسيارته الى قهوة . . . ويخبر والى حسن ان عبد العزيز باشا رضوان يريد أن يراد بخصوص موضوع انتخابه لمجلس

أوقات مختلفة كلها من عشيقته مرغريت تخبره في أولها أنها حامل .
وتهدده في الثاني باعلان ذلك اذا تركها بلا مساعده ، وتخبره في الاخير
انها عزمّت على الحضور بنفسها في يوم عينته له لتفصح عن أمرها أمام
عائلته وتطلب المعونة جهازاً لتربية طفله . فاشتعل نار الثورة في رأس
الفتى من جديد ولا يجد أمامه غير رفيقه الحميم محمود فيكشف له سره
ويخبره بأنه عقد العزم على الخروج من هذا المنزل واللاحق بالفتاة التي
أحبها بالامس والتي يحتاج في أحشائها جنين هو من دمّه لأن شرفه يحتم
عليه مساعدة الفتاة ، وأتى له المساعدة في هذا المنزل وهو خالى الوفاض
قفر اليدين من النقود . فلم يجد محمود غير وسيلة واحدة وهي افشاء
ذلك السر المهائل لوالدة حسن عاها تتفق معهم على أمر يرضى حسن قبل
أن تعظم المصيبة فيعلم الاب حقيقة المسألة من نفس الفتاة التي عينت هذا
اليوم ميعاداً لحضورها . فترضى الأم بتقديم المعونة للفتاة وتكاد المسألة
بهذا الحل تقترب من النهاية المحمودة ولكن حضور الباشا وحضور
مرغريت بعد برهة وجيزة يفسدان الامر فتعرف الحقيقة وتعلن
الفضيحة على رأس حسن يسمعها الجميع بقلوب واجفة ، فيزأر الباشا زئيراً
خفيفاً ويهم بطرد الفتاة ولكن حسن يتصدى لوالده ويخبره بالهجة قاسية
تخلها الارادة وعزة النفس انه لا بد لاحق بها اذا قضى أبوه أن يطردها
وغل يده عن مساعدتها ، لانه لا يرضى أن يكون خسيس النفس وضيعها
فيترك الوالدة بلا مساعدة ولا رحمة وطفلة بين جوانحها . فبزئير الأب
ويطرد الاثنين شر طرد وبذا تختتم أول مرحلة من حياة ابنه .

موضوع الـ وايت

يعيش حسن بك بن محمد باشا على الزفتاوى فى منزل والده عيشة
الذل والتعاسة، محروماً من عطف أبيه ومن مساعدة والدته فيهم بحب
فتاة افرنكية خادمة فى منزله يرى فيها مثال الاخلاص والوفاء . تدفعه
قوة البيئة التى يعيش فيها الى هذا الحب الحقيقى فيندفع فيه بالاروية ولا
حساب راض من حياته التعسة ببعض أوقات غرامية وجد فيها ما
ينقصه من شفقة وحنان وعطف . فاستمرأ لذتها بنفس شغوفة محرومة من
كل مسرات الحياة . يعيش حسن بك غارقاً فى أحلام الحب غير عالم ما
يخبئه له المستقبل المجهول من مصائب الأقدار ، فيصحو على ضجة هائلة
وفضيحة نارها مستعرة فى أفق منزله اذ ينكشف هذا الحب الحقيقى
لجميع أفراد عائلته فيطردوا أمهه من أحبها وأحبته ازيلوا ذلك الرجس
الذى اتاه ويسدلوا الستار بينه وبين حبه . فيثور حسن ثورة يفصح بها
عن آلامه ويتهم والده العنيد الجهول بأنه هو الذى دفعه الى حب هذه
الفتاة ، ولكن سرعان ما تهدأ تلك الثورة فتخرج الفتاة من دار الحب
ويُسجن الفتى فى بيته يعيش عيشة الذل والمسكنة كالسابق . ويمضى على
هذه الحادثة بضعة أشهر وحسن يجتهد فى نسيان الماضى عاملاً على احياء
مستقبله من طريق الدراسة ولكنه يفشل فى الامتحان فلا ينال شهادة
البكالوريا . وفيما هو ساكن هادى اذ يصله ثلاث خطابات متتالية فى

بالرغم منه في ذلك المكروء مدفوعاً بقسوة أبيه وسوء معاملته له
وتقديره عليه ، ولو كان معزز الجانب محاطاً بالرعاية والعطف الأبوي لما
زلت نفسه الطاهرة هذه الزلة السيئة)

(٣) محمود بك : شاب من أقرباء حسن ، عاقل مهذب كامل . طالب
في مدرسة الحقوق ورفيق حميم لحسن يفشى له الاخير أسراراً ويعتمد
على مساعدته . مثال الشهامة والاخلاص

(٤) أمين بك : من أقرباء حسن ، فتي وارث استغنى من
المدرسة حديثاً وسلك طريق التبذير والسهر ولكنه خفيف الروح
ضحك ينظر الى الحياة نظرة جميلة لا يرى فيها كدرًا ولا حزناً فهو
سعيد بالرغم من الحياة نفسها . يدعى أنه أصبح رب عائلة بعد وفاة
المرحوم والده ولذلك وجب عليه التفرغ لمراقبة أعماله بنفسه لئلا يسرقه
من هم تحت أمرته

(٦٠٥) « عزيزه هانم ومرجريت » : الاولى والدة حسن ، أم
منكودة الحظ في زواجها . تقامى عشرة زوجها البخيل الجهول وتحمل
آلامه بصبر كبير — هي رمز المرأة الشرقية القديمة . لا تستطيع أن
تتمنع عن ابنها قسوة أبيه ولا تمنحه الا ما تقدر عليه من المساعدة الطفيفة .
والثانية خادمة افرنجية عظفت ، على حسن وأشغقت عليه ثم أحبت
كما أحبها . فتاة طيبة وطاهرة ولكنها فقيرة

هذه أهم أشخاص الرواية وسنتكلم الآن عن موضوعها باختصار

عن بلده بعد أن سقط في انتخاب مجلس المديرية — أمنيته العظمى في الحياة — وسكن القاهرة ليتزلف لبشوات الحكومة وأعيانها ليمسوطوا له في الانتخاب الجديد . رجل له ثروة عظيمة لا ينفق منها الا النذر القليل على بيته وعائلته ، وان أنفق شيئاً غير ذلك فجراً وراء الأبهة والعظمة الكاذبة ليقول الناس عنه انه غنى . مقتر جد التتمير على ابنه حسن ، يعطيه في الشهر ستين قرشاً ويحرم عليه جلوس القهاوى ليشرب المبردات مثل الكازوزة وخلافه . يقسو عليه كثيراً ظاناً منه أن هذه القسوة خير علاج لتربية النفوس . هو رجل من رجال العصر الماضي كلف بالافكار القديمة متعصب لها ، كاره لكل شئ جديد نافع ، يمتن مثلاً مهنة الحمامة والطب ويقبحهما بينما يمال بالقضاء ووظائف الحكومة

(٢) حسن بك على بن محمد باشا على الزفتاوى : شاب في المدارس الثانوية حسن الاخلاق ذو اباء وعزرة نفس . نشأ في بيت المذلة والألم فشب يائساً من حياته كارهاً لها . أساء والده معاملته وحرمه من عطفه وقتر تعليمه تقميراً مخجلاً فسلب منه حب الابن لأبيه وزرع في قلبه النفور منه . لم يجد حسن في تلك البيئة العابسة التي تحيط به أحداً يشفق عليه ويشاركه آلامه الا فتاة غربية خادمة ، فأحبها وأحبتها ووجد فيها نفساً طيبة وقلبا ظاهراً كريماً . أحدث ذلك الحب في حياته بهجة لمعت حيناً في ذلك الجو المظلم ثم أخذت تهب عليها العواصف الهوجاء حتى كادت تمحيها من عالم الوجود لولا عزيمة ذلك الشاب واءاء نفسه . لم يكن ما أتاه حسن بحب هذه الخادمة بالأمر الشريف ولكنه سقط

ناطقة . فقد كتب « ما تراه العيون » و « خواطر » و « مذكرات باريس » وقصة « الشباب الضائع » وغير ذلك فصور للقارئ صورة حية ذات لون حقيقي ، وكتب رواياته أيضاً فعرض على المسرح قطعة من الحياة بجوها وأشخاصها وكلامها وحوادثها

الثالثة : قدرته على صياغة حوادث الرواية بدون مغالاة ولا حشو . فرواياته جميعها حية يقظة مملوءة بروح سحرية ورشاقة عذبة . وإن شئنا أن نزيد القارئ ايضاحاً نقول ان رواياته خالية من المشاهد المملة وهي كما يقولون « محبوكة » وحوادثها دائماً أخذة تجعل المتفرج دائماً يقظاً منتبهاً متتبهاً متتبهاً حوادثها . وهي فوق ذلك روايات فنية جليسة توحي في تأليفها أصول الفن قبل ارضاء الجمهور وضمنها انتقاده الصحيح عن الأخلاق والعمادات المصرية

العصفور في القفص

رواية من نوع السكوميدي ذات أربعة فصول مكتوبة باللغة العامية وموضوعها عصرى عن الحياة المصرية . صحيفة من تاريخ عائلة من عائلتنا . حال فيها المؤلف نفوس أشخاصه تحليلاً عجيباً وأظهر لكل منهم شخصية بارزة مهمة وانتقد فيها بعض النقااص الاخلاقية الشرقية التي تؤدي غالباً الى كوارث عائلية ربما انتهت بفاجمات مؤلمة .

« أشخاص الرواية »

(١) محمد باشا على الزفناوى : أحد أعيان الارياق الموسرين رحل

الاولى : كتب تيمور رواياته الثلاث باللغة المصرية (العامية)
لأنه وجدها أكثر انطباقاً للحقيقة والواقع من اللغة العربية الفصحى .
وقد حاول مرة فكتب روايته الاولى « العصفور في القنص » باللغة
العربية ومثت بهذا الشكل ولكنه أعاد كتابتها باللغة العامية . وكان
رأيه في مشكلة اللغة أن يكتب المؤلف بالعامية اذا كانت الرواية مصرية
عصرية ، وبالعربية الفصحى فيما عدا ذلك كتأليف الروايات العربية
والمصرية القديمة (الكلاسيك) وتعريب الروايات من اللغات الاجنبية
وهلم جرا . ونظريته هذه غاية في الصواب لان الكاتب « الريالست »
أى المتبع المذهب الحقيقى اذا كتب رواية عصرية باللغة الفصحى كان
هذا العمل مخالفاً للحقيقة التى ينشدها لأن بغيته من كتابة هذا النوع
من الروايات هو عرض مشاهد حقيقية من الحياة المصرية ، عرض
أشخاص يتكلمون بلغتهم ويعيشون فى جوهم ، عرض حقائق لا
عرض خيال . وقد دلّ هذا العمل على جرأة تيمور وشجاعته فى الافصاح
عن رأيه لأننا لا نباغ اذا قلنا أنه أول من كتب للمسرح الجدى
روايات فنية باللغة العامية .

الثانية : لقد ذكرنا قبلاً أن تيمور كاتب تصويرى بالفطرة ، وقد
ساعده فى ذلك ثبوت المراثى والحوادث فى ذهنه وقدرته على التقليد
ولذلك رأيناه فى أغاب كتاباته مؤلفاً تصويرياً يصور لك الحقائق
فكانها هى .

كتاباته صورة حقيقية من الحياة وأوصافه تامة ناجحة ، كاملة

العصرية ذات الالوان المحلّية، واحلال هذه الروايات محلّ العربية ذات الحوادث والمناظر الاجنبية لانه كان يرى أن نهضة التمثيل في مصر لا تأتي الا من هذه الوجهة. وقد كتب عن تدهور التمثيل الفنى في مصر فذكر ان من الاسباب المهمة التي أدت الى هذا التدهور هو اهمال الاجواق تمثيل الروايات المصرية فقال في ذلك ما يأتى: (... والآن تريد أن تبحث عن أسباب تدهور التمثيل الفنى وأول هذه الاسباب هو تهافت أجواقنا الفنية على تمثيل الروايات المترجمة التي لا يفهمها المصري ولا يرى فيها شيئاً من أخلاقه وعاداته ليس التمثيل هو أن تقدم للجمهور روايات أفر نكبة قيمة ومحبوكة الوضع ولكن التمثيل هو أن تقدم للجمهور روايات تبحث في شؤونه العصرية لياخذ منها درساً يستفيد منه ...) هذا هو مذهب تيمور وقد سار عليه بأمانة وعمل على نشره وقد نجح فيه نجاحاً عظيماً. أما رواية الاب لبونار فلم يعربها التقييد إلا للاحاح صديقه الاستاذ عبد الرحمن رشدى الذى كان عازماً على اخراجها فى احدى مواسم الاوبرا. وروايته اللغز عربها شغفاً بها فحسب. ولقد صدق ظن تيمور فى مذهبه هذا فان الجمهور المصرى متمطش لروايات مصرية ذات جو مصرى ومناظر مصرية وأشخاص مصريين وحوادث مصرية. والدليل على ذلك اقبال الجمهور اليوم على مثل هذه الروايات وتمزيده لها بينما ترى أغلب الروايات الاخرى العربية منبوذة قليلة الأهمية ان من طالع روايات تيمور وشاهدها على المسرح يجدها تتحد فى ثلاث نقط أساسية :

عاجزون عن اظهار روح المؤلف المتجاية فيها وذلك الجمال السحرى
المنتشر على صفحاتها

سيكون حديثنا فى هذا الباب الحديث الختامى عن حياة وأعمال
هذا الشاب العامل المجتهد الذى ضحى حياته انقصيرة — حياة الشباب
والمسرة — فى التأليف والكتابة والعمل الصالح الطيب الآداب والمسرح
سيكون هذا الحديث عن ثلاثة روايات ألفها تيمور فكانت
باكورة أعماله ومنها عرف الجمهور نبوغه ورأى تلك الشعلة المتقدمة
فى قلبه شغفًا بالفن وحبًا فى رقيه . ثلاث روايات فحسب كتبها تيمور
الناشئ نخلد بها اسمه فى تاريخ المسرح المصرى . وهى وان كانت قليلة
العدد لكنها جليلة الأثر عظيمة النفع فليس البطل بظلاً بكثرة أعماله
بل بقيمتها . ورواياته الثلاثة التى سنتكلم عنها هى « الـصفور فى القفص »
و « عبد الستار افندى » و « الهاوية » وقد أهملنا « العشرة الطيبة »
وغيرها من معرباته لان الاولى ليست من عمله وحده فقد اشترك معه
فى وضع ازجالها المرحنة بديع افندى خيرى ، وقد تكامنا عنها فيما سبق
باختصار . ولأن الثانية معربات لم يكن تيمور نفسه يهتم بها كثيراً

مقدمة عن الثلاث روايات

كان تيمور من أنصار ومؤسسى مذهب « الروايات المصرية » أو
كما يسميه البعض « المسرح المصرى » وهو تأليف الروايات المصرية

فيها أسباب تدهور التمثيل الفنى فى مصر. وهى على قصرها تصح أن تكون درساً عالياً لمديرى الاجواق الفنية ليعتظوا بما فيها من الحقائق .
وفى المقالة الرابعة شرح الكاتب باختصار أسباب نجاح التمثيل اللافنى .

أما القسم الثانى فىشمل سبع مقالات متسلسلة : الاولى مقدمة عن التمثيل ختمها بحديث عن النهضة الاخيرة على يد أبيض . وفى المقالات الخمس المتتالية تكلم فيها عن تاريخ الدرام والكوميدي فى القرون الوسطى ثم شرح أنواع الروايات التى كانت تمثلها الجمعيات التمثيلية الاولى فى فرنسا ثم تكلم بعد ذلك عن التراجيديات والكوميدي فى القرن السادس عشر . والمقالة السابعة تاريخ مختصر للتمثيل فى مصر

روايات التمثيلية

لقد ذكرنا فى تاريخ حياة الفقيده . ألفه وما عر به من الروايات التمثيلية وتكلمنا عن كل رواية باختصار واعدين الافاضة فى باب التمثيل . والآن وقد أتمنا الكتابة عن نظمه ونثره ومقالاته عن التمثيل ولم يبق الا رواياته التمثيلية وهى خير شىء عمله فى حياته وصرف فيه جهده بل هو الشىء الوحيد الذى كان يملأ ركننا من أركان قلبه حق علينا أن نهم بهذا العمل ونشره شرحاً وافياً ناصحين القارىء الكريم أن لا يهمل قراءة هذه الروايات فى مجموعته لأننا مهما أفضنا فى الكلام عنها فنحن

القسم الأول : مقالات عن التمثيل الفنى واللافنى نشرها فى السنة الخامسة من جريدة السفور وشرح فيها أنواع الروايات التمثيلية الفنية واللافنية . وهى مقالات قيمة عن الفن تصح أن تكون مرشداً للمشتغلين بفن المسرح والقائمين بتأليف الروايات وتعريبها . أما القسم الثانى فمقالات أخرى نشرها فى السنة الرابعة من السفور وضمنها تاريخ التمثيل فى فرنسا ومصر باختصار . وهذان القسمان يحويان زبدة آراء الفقيده عن التمثيل لانهما بلا ريب نتيجة أبحاثه الخاصة فى الفن المسرحى وملاحظاته الشخصية عن المسرح المصرى ومنهما يرى القارئ بعض ذلك الوميض الذى كان يملأ قلبه ويانع فى عينيه ، وما ذلك الوميض غير ثنائيه فى المسرح ورغبته الشديدة فى اعلاء التمثيل المصرى واصلاحه

القسم الاول يتضمن أربع مقالات متتالية ، وفى المقالة الأولى تكلم الكاتب عن التمثيل الفنى فعرف أولاً ماهو التمثيل وماهى العوامل الاساسية لبناء الرواية ووضعها ، ثم تكلم عن تقسيم الروايات التمثيلية وشرح كل قسم شرحاً وافياً

وفى المقالة الثانية تكلم عن أنواع الروايات فعرف التراجيضى والدرام والكوميضى الاخلاقية والكوميضى دراماتيك مع الافاضة فيما يتطابه تأليفها من العوامل الاساسية

وفى المقالة الثالثة تكلم عن التمثيل اللافى فذكر أنواع الروايات اللافية وهى الميلودرام والجراندينول والفودفيل والريفو ، ثم عرف كل نوع من هذه الانواع وذكر عيوبها ، ثم ختم المقالة عن نبذة مفيدة شرح

أرجو القارئ أن يقاب صفحات هذه المحاكاة الخالدة ليرى الصور المتقنة التي استطاع تيمور أن يرسمها بقلمه الهزلي ، ويسمع الاحاديث العذبة التي انطوت تحتها النكتة البهجة والمجون اللطيف ، ثم بدأ المؤلف بعد هذه المقدمة الطويلة المحاكاة نفسها

كانت رغبة المؤلف أن يكتب عن جميع المؤلفين الذين عرضهم في قفص المتهمين ولكنه لم يكتب الا عن فرح افندي أنطون و ابراهيم افندي رمزي ولطفي افندي جمعه و خليل افندي . مطران . وكان في ذلك الوقت يحرر السفور فلما أرجعه الى الصديق عبد الحميد حمدي حالت بعض الظروف الخصوصية بينه وبين الكتابة فانقطع عن العمل ولما زال المانع وأراد الكتابة في هذا الموضوع لم يجد من نفسه ذلك الباعث الاول الذي دفعه فأرجأ اتمام العمل الى الوقت المناسب وكان في نيته طبع هذه المحاكاة على حديثها كرسالة هزلية انتقادية ولكن القضاء لم يرد اتمام ذلك العمل فطواه الى الأبد

استطاع تيمور أن يعرض للقراء في محاكمة الاربعة (أنطون ورمزي وجمعة و مطران) صورة حية لكل مؤلف وأن ينتقد بايجاز أعمالهم المسرحية ويشرح طريقة كل منهم في التأليف وقيمة هذه المؤلفات في نظر المنتقد الفني . كل هذا بأسلوب قصصي أخذ .

القسم الرابع : مقالات عن التمثيل مختلفة

هذه المقالات عديدة ومتفرقة ولكن أهمها وأحسنها قسمان :

القسم الثالث : محاكاة المؤلفين الروائيين

ان الغرض الذى رعى اليه تيممور فى محاكمته هذه هو النقد الصحيح بشكل قصصى فكاهى جميل لا يميل القارئ منه وقد أجاد كل الاجادة فى هذا الموضوع وربما كان أحسن ما كتبت باللغة العربية فى النقد الهزلى الشريف . ومن كان له ميل للتمثيل وشاهد رواياتنا العربية واتصل بمؤلفينا وممثلينا ثم قرأ الملك المحاكمة وفهم ما حوته من الأساليب الجوفية البديعة والنقد الصحيح الشبهى شهد لتيممور بتوفقه فى النقد وقدرته الفائقة فى تصوير الاشخاص بشكل هزلى جميل . من ذلك يمكننا أن نقول أن تيممور كان فى محاكمته « يهزل ولا يقول الا حقاً »

مضمون المحاكمة باختصار حلّم للمؤلف رأى فيه نفسه سائراً فى احدى شوارع العاصمة ولا حظ أن مسارح التمثيل العربى مغلقة ثم اجتمع ببعض الممثلين المتوفين فاندشش لوجودهم فى الدنيا وهم من أهل الآخرة وسألهم عن ذلك فأخبروه انهم أتوا الى عالم الوجود ليحضروا محاكمة مؤلفى الروايات التى ستعقد فى الاوبرا بدمدحين . فسار معهم الى دار الأوبرا وقابل هناك الممثلين ومؤلفى الروايات التمثيلية فشرع يصف الممثلين وصفاً هزلياً بديعاً ينم عن حقائق صحيحة ثم بدأ الكلام عن هيئة المحاكمة المسكونة من أساطين رجال الفن الغابرين وهم (شاكسبير وموليير وكورنيل وروستان وجوته) ثم وصف قفص المتهمين وما يحويه . وهنا

ولذا رأينا تيمور الطيب القلب يوجه كلامه لمن غضبوا من
انتقاده عليهم في مقدمة « محاكمة المؤلفين » مناشداً ايّام - م وغيرهم
ممن سيتركهم عنهم - أن لا يقابلوه بوجههم الغاضب اذا قرأوا شيئاً عن
انفسهم ولم يرق لهم . وهانحن نثبت المقدمة لطاع عليها القارئ ويعلم
منها تلك النفس الطيبة التي كانت تسعى جهدها للاصلاح في جو
السلام والصفاء

المقدمة : (اتقدم للقراء الكرام بنشر هذه القصة الخيالية بعد
ان ترددت كثيراً في نشرها خشية اغضاب اخواني الممثلين ، واخواني
المؤلفين . لم أقصد اهانة أحد منهم وحاشا أن أفعل ذلك بل انى أجل كل
مؤلف وممثل عن أن يتسرب لرأسه هذا الرأى الضئيل)

الى أن قال : (وآمل أيضاً اذا قابلت أحداً منهم في الطريق أن
لا يقابلنى الا بوجه بشوش لأنى لا أكره القراء وقد تأملت كثيراً بعد
كتابة مقالاتى عن الممثلين فى جريدة المنبر وذلك لما كنت ألقاه من
اخوانى أبناء الفن من الاعراض)

وقد اشتمل نقده على الممثلين المرحوم الشيخ سلامه حجارى
ونجيب افندى الريحانى وجورج افندى أبيض وعبد الرحمن افندى
رشدى واخوان عكاشه وعزير افندى عيد والسيدة منيرة المهديّة والآنسة
روزا ليوسف والسيدة ميليا ديان وغيرهم . وكان بوده أن يتم هذا النقد
ليشمل جميع أبطال التمثيل ولكن الظروف لم تمكنه من ذلك .

القسم الثاني : نقره على الممثلين

هو سلسلة مقالات انتقادية عن أبطال الممثلين ظهرت في جريدة المنبر سنة ١٩١٨ فأحدثت رجة كبرى في عالم التمثيل وشخصت اليها أبصار الادباء المهتمين بالحركة التمثيلية المصرية فكانوا يتخاطفون أعداد الجريدة ويطالعونها بشغف كبير . ولا غرو فهذه المقالات كانت الاولى من نوعها لان الفقيه توخى في كتابتها اصول النقد الصحيح الخالى من الاطراء والقدح . لم تثنه الصداقة التي كانت تربطه بمن انتقدهم عن اخفاء حقائقهم بل شرح بكل صراحة وبلا تحيز نقائصهم وفضائلهم على السواء . كتب ما كتب باخلاص وصدق نية ساعياً وراء الحقيقة ومجاهراً برأيه بجرأة وحرية مدهشة . كل ذلك في سبيل الفن الذى كان يسعى دائماً فى اصلاحه وتهذيبه . ولا ريب فى ان هذا العمل كان أكبر مظهر لاستقلال رأيه وحرية ضميره ونزاهته ، ولكن حرية الآراء مازالت وليدة الامس فى مصر . ولحق الصريح اذا جاهر انسان به فى هذا البلد عدد البعض جريمة لا تغتفر . ذلك لان القلوب مازالت تحوى بدور الانانية والاعجاب بالنفس والمصالح دائماً لا يقابل عمله — ممن يريد اصلاحهم — بالتحبيذ والتشجيع ، فغضب بعضهم من هذا الانتقاد — وماحق لهم أن يغضبوا لان الكمال لله وحده والانسان مهما علا ففيه عيوب خافية عنه يجب أن يعرفها ليجتهد فى اصلاحها .

الطاهرة . وهكذا انتصر الشرف على المال والحسب

(٤) آلام شاعر : منولوج وجداني ملاءه سخطاً على الحياة وآلامها
لما حوته من قلوب منعمه بالقسوة والظلم . كله يأس وأحزان على انظمة
الحياة الفاسدة وتحسر على انعدام العدل الانساني وقيام دولة الطمع
والجشع في النفوس البشرية

(٥) ابن الوطن أو اللقيط : قطعة وطنية حماسية تنتصر فيها الأعمال
الجليلة على الانساب والاحساب . يمجد فيها المؤايف الشخص العصامي
صاحب العمل الشريف النافع

(٦) الزوج القاتل : قصة زوج قتل زوجته التي خانته مع صديق له .
شرح فيها شعور ذلك الزوج ودفاعه عن نفسه دفاعاً أثبت في نهايته هذه
حكمة المعروفة :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
(٧) الوردة الذابلة : قصيدة نونية تبلغ الثمانين بيتاً تمتاز بجمال المحاور
النظمية التي تتخللها، وسلاسة الاسلوب وسهولة اللفظ ورقته . هي قصة
فتاة سقطت في حماة الرذيلة عن طريق الغواية . صور فيها تيمور صورة
التعس والشقاء وما يحيط تلك النفس المسكينة من أنواع العذاب والمحن .
فأصاب الحقيقة بهذا التصوير الفني لأنه أخرج للناس منظرًا من مناظر
الحياة الذي يتكرر وان اختلفت العصور والأزمنة

ولا أعالى إذا قلت انه لم يسبق تيمور في هذا المضمار ولم يفقه في تأليف المنولوجات المسرحية أحد . كان تيمور عالما خيرا بما يؤثر على الجمهور دارسا أصول الفن الصحيح فنظم منولوجاته على هذا الاساس فجاءت متينة قوية تهز سامعيها بما حوته من قوة وتأثير . وكان القاؤه لهذه المنولوجات بنفسه يزيدنا روعة وجلالا بما كانت تسكبه من حسن القائه ودقة تمثيله . ولكن هذه القطع المسرحية اذا قارناها بمنظوماته الاخرى وجدناها أقل منها جمالا من حيث جمال الشعر ، لانه وجه كل مجهوده في تأليفها لتكون صالحة على المسرح زد على ذلك سرعته في نظمها فأغلبها ان لم تكن جميعها نظمت في الصباح لتلقى في المساء وعدد هذه المنولوجات سبعة وهى :

(١) القاتل وطيف المقتول : محاوره بين قاتل وطيف مقتوله شرح فيه ما يشعر به القاتل من توبيخ الضمير الهائل الذى يقضى على حياته فى النهاية

(٣) العفو عند المقدرة : محاوره بين منتقم لآبيه وقاتل لهذا الأب . تمتاز هذه القطعة بما حوته من شرح شعور كل من القاتل والمنتقم ونفسية كل منهما ثم شهامة المنتقم وقوة ارادته « وعفوه عند المقدرة »

(٣) المال : محاوره بين غنى وفقير وخدام . تتجلى فى هذه القطعة النفس الديمقراطية العالية بأجلى معانيها ، ففيها شرح المؤلف نفس الغنى المتكبر الجهول ونفس الفقير الطاهر الشريف ثم كيف يتنازل ذلك المتكبر العاتى ، الفخور بأمواله ، ويصافح يد الفقير الشريفة ويضم نفسه

الجميلة التي كان يطرب لها تيمور ويترنم بها ويستعيد بها . هو الصورة
الجميلة التي كانت مرتسمة دائماً في مخيلته لا تفارقها . أجل التمثيل —
ولا أغالى اذا قلت — هو معبود تيمور الذي تعشقه صغيراً وهام به شاباً
وعمل له رجلاً . ما أحلى ذلك اللفظ على قلب ذلك الفتى الراحل ، فكلم
من حديث له عنه ، وكلم من مباحث له فيه ، وكلم من مناقشات ومجادلات
من أجله . ولما كان على فراش المرض الاخير كانت روايات التمثيل
بجواره على نفس الفراش يطالعها بشغف زائد كأنه كان يودعها الوداع
الاخير . وهكذا قضى تيمور ولفظ التمثيل بين شفثيه ، وكتابه تحت يده ،
وصورته في مخيلته . فلا غرو اذا تفوق تيمور على سائر كتّاب العصر
بالكتابة عن المسرح وللمسرح ، ولا غرابة اذا كانت أعماله المسرحية
من نقد وروايات في مقدمة أعماله الاخرى من نثر ونظم الا في بعض
اشياء قليلة .

كتباته المسرحية تنقسم كما يئناً سابقاً الى أربعة أقسام . الاول :
منولوجاته التمثيلية . والثاني : نقده على الممثلين . والثالث : محاكاة المؤلفين
الروائيين . والرابع : مقالات عامة كتبها عن تاريخ التمثيل في فرنسا ومصر .
هذا غير رواياته التمثيلية الكبرى التي سنفردها باباً بعد هذا الحديث .
انقسم الاول : منولوجاته التمثيلية : هي اول أعماله المسرحية نظماً
وتمثيلاً . كان ينظم المنولوج ليثله بنفسه في حفلات السمر الراقية . فلما
انقطع عن التمثيل انقطع عن نظم منولوجاته ايضاً . ولما كان الوقت
الذي صرفه عاملاً على المسرح ضئيلاً كانت منولوجاته قليلة العدد .

لتحقيق أمانيه في الحياة لانه كان شغوقاً بعلم الآداب . وفن التمثيل شغفاً
ملك نفسه وملاً فراغ قلبه . وفي ذلك يقول : (جاس بجوار النافذة ونظر
الى السماء القائمة كأنه يرى فيها صورة نفسه ثم اطلق زفرة من بين جوانحه
وقام يتمشى في الغرفة ذهاباً واياباً ثم أمسك بكتاب قرأ على صفحته الاولى
هذا العنوان (مبادئ القانون المدني) ثم ما لبث أن القى به على الخوان
وهو يقول ساخراً (مبادئ القانون المدني . مبادئ القانون المدني)

الى أن قال : (جاء الى باريس ليدرس الحقوق وما كان بنفسه ميل
لعلوم الشرائع ولسكن والده لم يسمح له بمغادرة القاهرة الا ليلقى بنفسه
في أحضان تلك العلوم . فسافر وفي قلبه غصة ولكنه وطد النفس على
الدأب والعمل جامعاً بين علوم الحقوق التي كانت تجشم نفسه ما لا تستطيع
احتماله وبين علوم الآداب التي يرى فيها مسكاة الأمل وقررة العين .)
حقاً . لقد كان تيمور يرى في الآداب « مسكاة الامل وقررة العين »
ولذا رأيناه يعمل الآداب حتى النفس الاخير :

* * *

ما كتبه عن التمثيل

لفظ التمثيل في مصر . مقترن دائماً باسم تيمور ، فهو من مؤسسى الفن
العاملين على رقيه . كان تيمور أول فتي ارستقراطي دخل غمار التمثيل
كممثل وكمؤلف وكنقاد ، فكان لدخوله في هذا الغمار أثر ناجع وفضل
لا ينكر . ومجهود خالد على قصر الوقت الذي صرفه فيه . التمثيل هو النعمة

ولباريس الشتاء وانضوا إليها الصيف». ثم روى حادثة محزنة وقعت لكليبين أحدهما يدعى «خرطوش» والآخر «سكر» وكان خرطوش من فصيلة معروفة مشهوراً بجدته وطيشه وقوته وأما الآخر «سكر» فكان كلباً ممتهاً لا تنظر إليه العين إلا بالاحتقار لأنه من الكلاب التي ليست لها فصيلة ولا نسب. ففي أحد الأيام اقترب خرطوش القوي البنية الشرس الاخلاق ذلك الكلب الوديع الهادى فقضى عليه.

وقد ختمها قائلاً: (لقد كنا نكره سكر في حياته فإذا بنا نحبه ونجلبه بعد مماته . لقد كنا نتغافل عن وداعته وطيبته ونهزأ بذله وضعفه ونقول ليس هذا الكلب من فصيلة معروفة فهو عديم الأصل ولكننا نعتقد اليوم بعد أن قضى ذلك الشهيد ان الاصل لا دخل له في الطيبة وأن مخلوقات الله سواء . وباليات شعري أليس الحالة كذلك بين الناس فعلام يكون الحق للقوة وعلام تكون الطيبة والوداعة ضحية الظلم ومتى ينقشع عن العالم الانسانى ذلك السحاب الاسود)

والسادسة سائلة مذكرات حياته في باريس لم يكتب منها إلا بضع مقالات لم يتمها . وجمعها في الظاهر تاريخاً حياة غيره ولكنها في الحقيقة كانت لنفسه . نشر الاولى منها تحت عنوان « هو وهى » تضمنت هذه القطعة حديثه عن زيارة حفلة راقصة خصوصية . شرح في بدايتها أميال نفسه بكل حرية وجلاء فأظهر علانية كيف كان يكابد الآلام في دراسة الحقوق — العلم الذى لم يعمل اليه ، والذى لم يكن يرى منه أى أمل

يلقى منولوجا بين الفصول عن كورنيل وسخر به هذا المؤلف الذائع الصيت فهاح عليه الجمع المحتشد وأخرجوه عنوة من مقصورته وأهانوه بشتائمهم وصفيرهم لأنه تجراً وأهان « كورنيل العظيم ». لم يكتب تيمور هذه القطعة ليروى حادثة فحسب بل أثبتتها ليظهر للمصرى كيف يجدون العظاء وكيف يحامون عنهم أحياءاً كانوا أو أمواتاً، وما « كورنيل » الا عظيم من عظماء فرنسا وأحد مؤلفيها التمثيليين الذى عمل على بناء ذلك الركن الخالد المنير ألا وهو الادب الفرنسى . روى تيمور هذه الحادثة ليظهر روح الديمقراطية العالمية التى تشربت بها النفس الفرنسية فساوت بين طبقة النبلاء والعامية . وقد ختم مذكرته هذه قائلاً (وعدت الى دارى وأنا أفكر فى هذه الروح الديمقراطية التى شاهدتها تتجسم أمام عيني فى دار الاديون والتى أود من صميم فؤادى أن تنتشر فى مصر بلادنا المحبوبة)

والرابعة كتبها وصفاً لصديقه الامريكى « هويت » الذى عاشه برهة من الزمن فوجد فيه نعم الصديق . فى ذلك الوصف الحقيقى لنفسية ذلك الامريكى وأخلاقه وعوائده، صورة حية للنفس الامريكية الثابتة ذات الخلق الرزين

والخامسة قطعة كتبها عن عيشته فى ضيعة (نوجان سيرمارن) وما شعر فيها بسعادة الحياة فقال « . . شهرين كاملين مر ا كجا يمر الحلم العذب برأس النائم — شهرين كدت أنسى فيهما نفسى وأكذب حسى — شهرين عاشرت فيهما الطبيعة الساكنة المنعشة بعيداً عن ضوضاء باريس ،

عوامل المحيط الذي عاش وتنقل بين ارجائه ، جاشت بها نفسه فأظهرها خالية من التصنع والحشو وعرضها صورة حية للمجتمع الانساني

* * *

مذكرات باريس

مذكرات باريس مماثلة لمقالات خواطر غير انها شخصية كتبها عن نفسه ، شرح فيها عصرها من عصور حياته وما شعر فيه من ملذات وألم ، ومارآه فيه من مشاهد ومناظر وما وقع له فيه من حوادث . هي صحيفة من صحائف حياته كتبها بنفسه ، لم يخط فيها غير الحقائق . فهي مذكرات بالمعنى الحقيقي

القطعة الأولى وصف فيها شعوره في بلاد الغربية وتأثير تلك البيئة الجديدة التي انتقل اليها وشرح فيها أيضا رحلته من برلين الى باريس باختصار

والثانية وصف فيها مجلساً فرنسياً مكوناً من بعض الاصدقاء وعرض للجمهور المصري صورة من مباحثات ومناقشات ذلك المجلس الأدبي ونضوج عقل المرأة الفرنسية وورق فيكرها وتضلعتها في آداب بلادها ومقارنتها بامرأتنا الشرقية ليعلم المصري الفرق بين تعليم نسائنا ونسائهم ودرجة رقي المرأة الافرنجية وتأثير رقيها في حياة الأمة

والثالثة وصف فيها ليلة في تيارو الأديون وروى فيها حادثة وقعت في تلك الليلة مضمونها أن رجلاً من طبقة النبلاء قاطع أحد الممتهين وكان

النفسية صورة جليلة واضحة يعلم منها القارئ انبثاق عبقرية تيمور و اشراقها،
فى فجر تآليفه ومقدمة ذلك العمل الجليل .

خواطر

مقالات خواطر حذا فيها حذو « ماتراد العيون » وليكنها أشبه
بمذكرات ضمنها مشاهداته فى الحياة وملاحظاته عنها، أوضح فيها كثيراً
من آرائه وأفكاره وانتقد فيها نظم الحياة الاجتماعية القاسية . هى قطع
اجتماعية، أخلاقية، انتقادية، وصفية، كتبها بأسلوبه القصصى الرشيق .
فن خواطره الوصفية خاطرة عن « الكتّاب والعريف » وأخرى عن
« رمضان فى قهوة ماتاتيا »، وفى الاولى وصف فيها كتّاباً حقيراً كان
زاره صغيراً، وروى واقعة حال جرت بين العريف وأحد الاطفال، وفى
الثانية رسم بقلمه التصويرى القادر قهوة ماتاتيا وما حوته من صائين
ومدعين الصيام ومفطرين . أما فى قطعة « الطيب » و « عرس وماتم »
و « ابن بقهوة وابن بالتراب » و « سارق وسارق » فقد أظهر فيها
عواطفه نحو الفقراء ومشاركتهم فى آلامهم وانتقد فيها قوانين الحياة
وعدالتها المشوهة، ولا ريب أن هذا مظهر من مظاهر حبه للمساواة
وانصاف المظلومين، وقد شرح فى قطعة « المرأة لم تخاق لهذا النعيم فى
مصر » و « سر من أسرار المصريين » و « هنا وهناك » حبه
لتحرير المرأة، وكشفه عن عوامل تفهقر المصريين، والفرق بين التعليم
الغربي والشرقي . فمقالاته خواطر هى خواطر حقيقية دفعه الى كتابتها

وتسمع مارآه وما سمعه عن حقيقة ومن غير تكلف . فمن ذلك نعلم سر تلك القوة المبتكرة التي ظهرت واضحة في « قصصه » و « خواطره » و « مذكراته عن باريس » و « رواياته التمثيلية » و « محاضراته المؤلفين الروائيين » .

واني أدعك أيها القارئ الكريم أن تقاب صحائف ذلك المؤلف الذى بيدك وأن تقرأ الآن قطعه « فى القطار » لتستطيع أن تتصور فى خيالك صورة تيمور كما هو

هذا هو مذهب تيمور فى معظم كتاباته ، وهذا هو شخصه يبدو لك من بين سطورره يحدثك حديثه العذب الشهى . ويجدر بنا فى ختام هذا الكلام أن نقول كلمة صغيرة عن روايته القصصية « الشباب الضائع » .

لم يتم تيمور هذه الرواية وان كان قد أتى فيها ببعض ملحوظات ختامية يعلم منها القارئ حوادث الرواية النهائية . خطها المؤلف بلغة سهلة خالية من التكلف والتعمل . والظاهر أنها أول عمل قصصى له . كتبها بعد خروجه من مدرسة الزراعة العليا ولم يكن قد كتب شيئاً من قصصه قبل ذلك الوقت فكانت بمثابة تمرين له على الكتابة القصصية ظهرت فيها مواهبه وتجلت تلك القوة الخفية المنبئة بمستقبل جميل فى هذا النوع .

فالشباب الضائع بأوصافها ومشاهداتها وأحاديثها وأشخاصها وتخيالاتها

قطعة القصصية

مآثره العيون

لا أغالى اذا قلت ان هذه القطع هي من أحسن ماجادت به قرائح الادباء فى هذا العصر . ولو كان الفقيد تفرغ لها وسمح لنفسه بوقت كاف لاتمامها لكان أتى لنا بالمعجز فيها .

« مآثره العيون » قصص صغيرة كتبها المؤلف عن الحياة المصرية واتبع فيها مذهب الحقائق (الريالزم) الخالى من الغلو أو الخيال فرسم فيها بقلمه صوراً وشاهد حقيقية حية على مسرح الحياة المصرى . والتى امتازت به هذه القصص أوصافه الدقيقة وألوانه الحقيقية الناصعة ، وانتقاده الاخلاقى الراقى ذو المجون الفكاهى الساحر . فاذا ما قرأت له عن شخص من أشخاص قطعه أمكنك أن تتصوره فى ذهنك بصورته ونفسه وأخلاقه حتى ورنه كلامه . واذا قرأت له قطعة بأكلها استطعت أن تتصور فى ذهنك روح تيمور الساحرة وحديثه الفكاهى الجميل .

امتاز الفقيد شخصياً بدقة الملاحظة وثبوت المشاهدات وانطباعاتها فى ذهنه ثبوتاً تاماً ، وانطباعاً مدهشاً ، وكان بفطرته ميالاً للتقليد ومتقناً له غاية الاتقان ، فاذا مارأى مشهداً مانقماً للنظر استطاع أن يروى لك حوادثه بدقة واتقان مهما قدم عليه الوقت ، واستطاع أن يصور لك بحديثه صور الاشخاص وحركاتهم ويكلمك بكلامهم فكأنك ترى

فيكلمك عن الرتب والنياشين في « رسائل مجبور افندى » ويشرح لك حالة هؤلاء النفر الجهال العاطين الذين يسعون جهدهم لنيل رتبة أو نيشان ولا يصرفون ذلك الجهد للعمل الصالح لأمتهم ووطنهم . وكيف انهم لو أتوا بعمل نافع مفيد سمعت اليهم الرتب من غير أن يسعوا اليها ، فتعلم اذذاك ميل هذا الفتى للديمقراطية الحقة والعصامية التي لا تعرف الانساب والاحساب ولكنها تعرف الأعمال فحسب . ويكلمك عن « المجمع اللغوى ومشكاة الالفاظ » فيوضح لك رأيه بالتحيز أو تعصب ، فتعلم منه انه انما كان يسعى في سبيل احياء اللغة وتثبيت مكانها . ثم تقرأ له حديثه عن « شوقى وجبران » فاذا فيه يمتدح شوقى في شعره الجديد الخالى من التكلف ، ويتغنى لك بقصيدة « أنس الوجود » و « حفلة الرقص » ثم يظهر لك (نبوغ) جبران شاعراً وناثراً فيوضح لك ضمناً رأيه عن الشعر فيقول : ما الشعر الا ذلك الفكر الناضج والشعور الحى يصيغهما الشاعر بلفظ ساحر متين مفهوم خال من التكلف والتعقيد . وما مذهبه في الشعر الامذهب الابتعاد عن طريقة الأقدمين وانتهاج مذهب الابتداع الذى تظهر فيه شخصية الشاعر مستقلة حرة غير مقيدة .

وقس على ذلك قطعه الاخرى .

قطعة الوهرانية

هي مقالات من الشعر المنشور صاغ فيها عواطفه ووجدانه بأسلوب خيالي راق ، خال من التصنع ، ذى أفكار وآراء جديدة ، وهي تشبه بعض الشبه شعره ، فهي مظهر من مظاهر روحه .
لم يكتب منها غير بضع قطع نخض بالذكر منها «الشاعر والليل» و«حديث زهرة» و«حب البقاء» . وكأنه استعاض بشعره عن هذا النوع فلم يكثر منه ولم يعتن به عنايته بنظمه .

قطعة الاجتماعية والأدبية

هي مقالات طرق فيها مواضيع مختلفة ضمنها بعض آرائه الأدبية والاجتماعية والانتقادية تمتاز بحمية الإصلاح التي كانت تتقد في جوانحه . فمثال ذلك مقالة «الافكار الحديثة والقديمة» كتبها بدافع حبه للجديد النافع ، وكرهه للقديم البالي فأظهر فيها بعض تلك الشعلة التي كانت تذكو وتضطرم في قلبه .

كان يكتب مقالاته هذه فكانه كان يتكلم . فاذا ما قرأت إحدى تلك المقالات فكأنك تسمع حديثاً طليماً مفهوماً لا يصحبه الملل ولا السأم . يحدثك تيمور أيها القارئ في مقالاته بكلام عذب منطقي يدور حول نقطة واحدة ، خال من السفسطة والتكرار واللغو . في هذا الحديث أو بعبارة أخرى في تلك المقالات يكشف لك تيمور عن فؤاده ،

نثره

لم يكن تيمور في نثره غيره في شعره بجميع قطعه الوجدانية والاجتماعية والتمثيلية والانتقادية والقصصية كتبها بدافع نفسى لا اضطرارى ، فأنت معظمها ان لم تكن كلها ناضجة متينة ذات تأثير غريب ، لان النفس لا تتأثر الا بما هو صادر عن النفس

ونثره ينقسم الى ستة أقسام :

الاول : قطعه الوجدانية

الثانى : قطعه الاجتماعية والادبية

الثالث : قطعه القصصية « ما تراه العيون » و « قصة الشباب

الضائع

الرابع : قطع « خواطر »

الخامس : قطع « مذكرات باريس »

السادس : قطع عن التمثيل .

هذه القطع تتفرع الى أربعة أقسام :

الاول : منولوجاته التمثيلية

الثانى : نقده على الممثلين

الثالث : محادثة المؤلفين الروائيين

الرابع : مقالات عامة كتبها عن تاريخ التمثيل وغير ذلك

القابوب . ولكن تيمور الذى كان يجالس الناس ويسامرهم ويضاحكهم بحديثه الطلى الساحر لم يكن الا الفتى المتألم ، الكاره للحياة ، الواجد على الدنيا حينما يأتيه وحى الشعر الجليل . كانت له نفس باطنة خفية لم تكن تظهر الا اذا كان منفرداً ينظم عواطفه فى قصائده ويسكب نفسه على قرطاسه . ولذا تسمع من معظم شعره نعمة حزينة مبللة بالدموع هى رنين أوتار قلبه المتوجع . ولا ريب فى أن هذا الحزن الذى كان يشعر به تيمور ويظهره دائماً فى نظمه كان حزناً خلقياً ، وليس عرضياً سببته بعض الظروف .

وما قصائده « ياموت » و « عرش الحداد » و « الشاعر الغضبان » و « القلب » وغيرها الا صوت فؤاده الذى يجاذبك ويناجيك عن آلام خفية لم يعرف مصدرها ولكنه يشعر بها فى نفسه . هاك أوصافه أيها القارئ تصفحها فى غير هذا المكان . ألا تجدها كلها أنة طويلة وشكوى من الحياة . « فالبلبل الصامت » و « دموع الشفق » و « النجم الآفل » و « شجرة على شفا الموت » و « الطائر السجين » وغيرها من قصائده الوصفية ليست الا مظهر ذلك القلب الدامى الحزين . أما قصائده « خوفو » و « الهاوية » و « الفجر الأول لمحمد على » و « الهرم الاكبر » فلعلها القصائد الوحيدة التى خات من نعمة الحزن . وهى وان كانت قوية الأسلوب ، رائعة الوصف ، خلاصة الرنات ، تشهد بقوة شاعريته ، إلا أننا نردها فى الصف الثانى لشعره خلوها من الانات وللعبرات التى كانت وحيه الالهى فى النظم .

تريد الظروف . فكان في هذا العهد شاعراً حقيقياً يكتب ما يشعر به ،
وهذا أهم مميزات شعره الجديد ، جميع قطعه نخالية من المدح والذم
والرثاء ، ولكنها ، نعممة تلك العواطف الرقيقة وذلك الشعور العميق .
وشعره في هذا الطور سهل العبارة يفيض رقة وسجراً ، وهو على قسمين :
شعر غزلي . وشعر وجداني وصفى .

أما شعره الغزلي فكتبه عن شعور حقيقي ، شعور قى أحب ولم
يسعد في حبه — حب لم يكن أهلاً لصاحبه . فأظهر في شعره هذا
عواطفه الصادرة عن قلب مكوم متألم ، ولكنه قلب طاهر يرنو دائماً الى
المجد ويأنف من المذلة والعار . فإما تخلو قصيدة من قصائده هذه من
تلك الانفة العالية التي لم يهزمها غرام عرف أن فيه مذلتة .

تري ذلك في جميع قصائده الغزلية نخص بالذكر منها قصيدة « أنا
وهي » و « حية الخاطر » و « أنت » الموجودة جميعها في المجلد الاول
من تأليفه ، وقد ملأها بوصف رائع للحب . وشكوى حزينه من الغرام ،
وصولة عالية في سبيل المجد ، نعلم منها عزة نفسه وبعده عن اذلالها .
أما شعره الوصفى والوجداني فهو شعر رقيق أبداع فيه كل ابداع ، أملاه
عليه وجدانه العالي وشعوره الصادق وأفرغ فيه حزناً مستفيضاً مما يملأ
قلبه ، فأتى جميع شعره الا بعض قصائد معدودة ، سندكرها فيما بعد ،
مصبوغاً بلون الحزن تسيل منه الشكوى والآلام .

لم يكن تيمور بالفتي الحزين المهموم بل كان الشاب الضاحك اللاهي
الذي لا تفارق النكتة فمه ، حديثه ابتسامه ساحرة شبيهة تأخذ بمجامع

واظهار أمياله . ولعل أستطيع أن أظهر للقارئ شخصيته القوية ، وأن أشرح له نفسيته وأمياله بشرح أعماله الكتابية شراً ونظماً ، فما تأليف المرء الا المرأة الصقيلة التي تنعكس عليها نفسه وتجلى عليها روحه ، فتحايل مؤلفات تيمور ماهو الا تحايل لتلك النفس الطاهرة ذات الشعور العميق والوجدان الجليل .

.....

الفصل الثاني

مؤلفاته

قطعة نظميه

لقد كتب الفقيه نحو ستين قطعة نظميه هي كل ما نظمه من الشعر في طوره الاخير . أما ما كتبه قبلاً أى قبل سفره الى أوربا فكثير أعماله حين رجوعه ، أى فى الوقت الذى وجد فيه نفسه قد تغيرت عن قبل . فى شعره الأول كان لا يتحدثى قصائد المدح والثناء والفخر وكان اذا مدح بدأ بالغزل ثم تخلص منه الى المدح شأن الشعراء الاقدمين فكان شعره لا يخلو من مسحة التكلف والتعمل . أما فى طوره الاخير فبعد ان شاهد جمال الطبيعة فى أوربا وتشبعت نفسه بها وامتلاً فؤاده سحرًا بنفثات الشعر الفرنسى وعرف أصول النقد فميز الغث من السمين شعر بدافع داخل كان يدفعه للنظم حينما يريد لا كما

الاستاذ عبد الرحمن رشدى حينما كان ممثلاً أن يعرب لفرقة رواية « الاب لبونار » فعرّبها وأهداها للفرقة لتمثيلها ، ولكن من غريب الأمور أن الفرقة أهملتها ولم تمثل الرواية حتى اليوم على المسارح المصرية ، ولكن الاستاذ جورج أبيض استأذن الفقيه وأخذها من فرقة رشدى المنحلة لتمثيلها في رحلته في الشرق . ورواية الاب لبونار من الروايات القيمة الذائعة الصيت التي أصابت نجاحاً عظيماً في فرنسا . وقد عرّب تيمور غير رواية « لبونار » رواية « الغز » وكان كلفاً بها وأراد أن يهدبها لبعض الجمعيات الادبية لتمثيلها ولكن الظروف لم تشأ ذلك فتركت في درج مكتبته .

أما كتابات الفقيه الأخرى فلم ينظم الا قليلاً من الشعر بالفرنسية حينما كان في فرنسا حينما الى وطنه . وكان يشتغل قبل وفاته بكتابة رواية مصرية قصصية بالفرنسية عنوانها « الفتوة » ولم يتم منها الا الفصل الأول . ثم كان يعمل بالاشتراك مع أحد أدباء الفرنج على تأليف رواية تمثيلية مصرية لتمثل في أوروبا ، وأنجز منها . شاهد وموقف عديدة .

أما حياة الفقيه السياسية فأعرف عنه انه كان عضواً عاملاً في جمعية أبى الهول المصرية حينما كان في فرنسا ولما انتقل الى مصر كان من ضمن مؤسسى الحزب الديمقراطى . ومذهبه في السياسة مذهب كل وطنى حر يطالب السعادة لبلاده في ظل الحرية الدائمة .

هذا موجز بسيط لحياة تيمور منه نعلم كيف كانت نشأته وكيف تطورت حياته وكيف كانت تأثيرات البيئة والوراثة في تكوين شخصيته

الفقيد بنكنتين قويتين لم يحماهما جسمه المريض فانطفأت تلك الشعلة
المنهبة وتلاشت تلك المكرة الوقادة المنيرة ، وانتقل تيمور من قصره الى
قبره (القصر الذى لم يتم فيه شهور العسل الحلوة الجميلة !) . اختطف
الموت تيمور من والد أفنى عمره فى راحة ابنه معترآ بذكائه نفوراً بأعماله ،
ومن زوجة حامل لم تكدرشف منه كأس السعادة حتى تحطمت ، ومن
ابنة صغيرة بدأت تترنم وتتغنى باسمه شاعرة بعطفه وحنوه ، ومن شقيقتين
أرواحهما متصلة بروحه ، ومن عائلة كان هو ابتسامتها ، ومن أصدقاء كان
هو الوفاء والمحبة بينهم ،

.....
وقبل أن نختتم ذلك الفصل نقول كلمة عن رواية « الهاوية » وعن
مؤلفاته الأخرى التى كتبها ولم ينشرها . أما « الهاوية » فقد مثلتها فرقة
ترقية التمثيل العربى بعد وفاته بشهرين تقريباً وكان نجاحها مدهشاً حتى أن
الجمهور هتف المؤلف فى احدى لياليها . أما مؤلفاته الأخرى « رسائل
مجبور افندى » التى لم أعثر الا على رسالتين منها الأولى تامة وقابلة للنشر
وعنوانها « الرتب والنياشين » ، والثانية مبتورة لا تصاح للنشر . ورواية
قصصية أخلاقية اسمها (الشباب الضائع) غير تامة . ورواية أخرى قصصية
لم يكتب منها الا الفصل الأول وعنوانه « جلال الموت » . وكان الفقيد
يريد أن يؤلف كتاباً فى تاريخ مصر والنيل بأسلوب قصصى جديد نشر
المقالة الأولى منه فى سفور السنة الخامسة ، ووجدت بين أوراقه
مذكرات عديدة عن مراجع الكتاب وشذرات عنه . وقد طلب منه

العربي (آل عكاشه وشركاؤهم) وشرعت تمثل روايات جديدة بين قديمة
وجديدة على مسرح الحديقة الجديد الذي بناه خصيصاً للفرقة الرجل
العامل النشيط طلعت بك حرب . وانتهى تيمور من تأليف روايته
فوجد فرقة جديدة ناهضة ترحب برواياته وشاهد مسرحاً فخماً نظيفاً متقناً
أهلاً لان تمثل عليه الهاوية ، فقدمها للفرقة عن طيبة خاطر وكاله أمل
في نجاحها .

كان تيمور شديد الإعجاب برواياته مبتهجاً بقرب تمثيلها فرحاً للنهضة
الجديدة التي بدأت تشرق من مسرح الحديقة آملاً أن تكون « الهاوية »
فاتحة الروايات المقبلة . بدأ تيمور « الهاوية » في جو قائم يخيم عليه اليأس
وختمها في جو صاف تشرق في جوانبه الآمال ولكنها ، وباللحسرة
القاتلة ، كانت آمال معكوسة . آمال سوداء يخيم عليها الموت . انتهى
المؤلف من روايته فبدأ الموت يكتب روايته الرهيبة ، فلم يكدر يرمى تيمور
القلم من يده حتى رماه المرض على سرير الموت . وعلى ذلك السرير حيث
كان يتنفس النفس الأخير لم يفتر تيمور لحظة عن العمل في سبيل اخراج
روايته فقد كان الممثلون يعودونه ويقرأون عليه أدوارهم وهو يرشدهم الى
ما يهمهم منها ، وقد كان يوصي أصدقاءه لحضور تجارب (بروفات) الرواية
ويراقبونها بالنيابة عنه . وكانت أيام معدودة قضاه تيمور على فراش المرض
وكان الجميع ومعهم الاطباء انفسهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً بسلامته لان
اليرقان من الامراض السلمية العاقبة ، وكانت الدلائل تدل على انه سائر في
طريق الشفاء المحتم . ولكن بغتة والسكل مستبشرون مسرورون أصيب

على المسرح الجدى والهزلى على السواء وداخله حزن عميق لعدم توفيقه
خدمة الفن الذى تعلق به وأحبه حباً عظيماً ، وأراد أن يحطم ذلك اليراع
الذى شهره جهاداً فى سبيل التمثيل . ولكن ماهى الا فترة مضت حتى
تجددت تلك الشعلة الكامنة وبدأت ترسل وميضها فى أفق الفن العابس
المتهجم ، تحرك اليراع بعد أن هدأ برهة فخط رواية الهاوية . تحرك
حركته الاخيرة انى سكن بعدها الى الابد .

بدأ تيمور يكتب « الهاوية » والياس يملأ قلبه والغيوم الخالكة
ما زالت ملبدة فى أفق التمثيل الجدى ، والمسرح الهزلى ينفث سمومه
التماسية الفتاكة . بدأ تيمور يكتب الهاوية وهو لا يدري أى ربح
تحماها وأى فرقة ستشأها وهل يكون نصيبها السبات العميق فى درج
مكتبه أو الاحتضار والموت على المسرح الجدى . كان يكتب تيمور
« الهاوية » لاجل الفن فحسب . كان يكتب لانه يريد أن يكتب ،
يريد أن يعمل ويساعد الفن بالرغم من الفن نفسه . بدأ تيمور روايته
فى ذلك الجو العابس ولكنه لم يكدها حتى رأى بوادر الانحلال
والضعف قد بانت فى جسم التمثيل الهزلى . أجل لقد بدأ المسرح الخليع
يهوى من تلقاء نفسه الى هوة الفشل السحيقة لان الشيخوخة أصابته
وهو فى عنفوان شبابه وعز سلطانه . لقد مل الجمهور الهزل والخلاعة ،
وكل شىء اذا تكرر وزاد عن حده مجته النفوس وكرهته ، وتعطش ذلك
الجمهور الى الجد بعد أن امتلأ جوفه من المجون والتهتك فأقبل يتلمس
المسارح يبحث فيها عن ضالته . وتألفت فى ذلك الحين فرقة ترقية التمثيل

الجمهور الطفل الذي لم يكن يرضى الا بالهزل والمجون . فاضطر تيمور أن يرضيه وهو يسعى رويداً تهذيبه وتحويله لانه انما كان غرضه الاساسى وضع روايات هزلية راقية يتوخى فيها بعض أصول الفن مفعمة بالالخان ثم يتدرج بالجمهور رويداً الى الكوميدي الفنى الراقى ثم الى الدرام الكوميدي وهلم جراً . وكان بدء عمله رواية « العشرة الطيبة » وضعها عن الممايك فى مصر . وكانت أول رواية من نوع الاوبرا بوف ظهرت على المسارح المصرية ، ولكنها لم تصب النجاح الذى تستحقه ، فقد انتقدتها بقسوة جماعة من الكتّاب وعابوا عليه موضوعها وهو « انتقاد هزلى وتهكم على حكم الممايك فى مصر » . وليس المقام هنا مقام شرح وافضة وانما تقتصر على شرح فكرة تيمور الاساسية التى توخاها فى عمله هذا . كتب تيمور روايته عن الممايك فى مصر لعدة أغراض أساسية أهمها : اظهار عصر من عصور مصر ابان حكم الممايك على المسرح بلون حقيقى وصبغة محلية قوية وأشخاص حية وذلك بقلب فكك راق ولغة تناسب المقام . واذا علمنا أن العشرة الطيبة هى الرواية الفرنسية الهزلية (ذو اللحية الزرقاء La Barbe blue) لقبها مقدرة تيمور فى تمصير الاشخاص واختيار العصر المصرى الموافق للرواية ، ولعلمنا ما كان يرمى اليه من وضع الرواية على هذا النمط وهو شرح حالة مصر فى عهد طغمة الممايك التى يعرف الجميع عسفاً وظلمها رمزاً للقوة الاستبدادية المذلة .

اعترى تيمور اليأس من عمله لانه وجد مجهوده الفنى يضع سدًى



محمد نجور

طالب حقوق بمباریس

حقيقية لاحدى العائلات المتوسطة، أظهرها الفقيه على المسرح وشرح فيها شرحاً وافياً أخلاق تلك الطبقة . مثلها الممثل القادر عزيز عيد بفرقة السيدة منيرة المهديّة فأجاد عزيز وأفراد الفرقة تمثيل الرواية وقابلها الجمهور بما تستحقه من العناية، ولكنهم لم تستطع الثبات طويلاً على المسرح الجدى خلوها من الالخان والخلاعة ولاقبال الجمهور عامة على المسارح الهزلية بشغف زائد. فلما رأى تيمور حذر وايقته من الاهمال امتنع عن التأليف المسرحى خوفاً على عمله من المهانة وجهده من الضياع وجعل يكتب فى السفور كمعادته فكاتب مقالات خواطر ثم مذكرات باريس وغيرها . ثم اشتركنا سوية فى تحرير السفور فكان هو عماده الاكبر، وأصدرنا خمسة عشر عدداً كان للفقيه فى تحرير النصيب الاوفر، فكاتب عدة مقالات فى الادب والنقد والاجتماع والتمثيل . ولعل مقالاته الفكاهية « محاكمة مؤلفى الروايات التمثيلية » هى أحسن ما كتبه فى ذلك الحين . ثم لما عاد الكاتب الفاضل عبد الحميد حمدى الى استلام زمام السفور انصرف تيمور ثانياً الى التمثيل . عزّ عليه أن يرى التمثيل يهوى بسرعة الى الحضيض ، وأن يرى الفن يلبس ذلك اللبوس المزرى الخليع، فأراد أن يأتى بآخر مجهود لاحياء الفن وأقدم بجرأة مدهشة واشترك مع نجيب افندى الريحاني رب التمثيل الهزلى ليؤلف لفرقة الجديدة بكازينو دى باريس روايات مجونية فكاهية . تحول تيمور عن المسرح الجدى ومد يد المساعدة الى خصمه بالامس الذى انتقده وأفصح عن مساوئه — اتجه تيمور الى المسرح الهزلى وبدأ يعمل له ، وما دفعه الى ذلك غير



الاب وابنته
محمد تیمور مع ابنته راوية (ری)

مديرى الاجواق الجديدة، وجهلهم ميل الجمهور المصرى، وأنانيتهم، وصلفهم فى بعض الاحيان، من أهم العوامل التى أدت الى فشل تلك الفرق الجديدة. لم يقدم تيمور على التأليف المسرحى بعد ما شاهد بنفسه نصيب روايته الاولى ولكنه انصرف فى هذه الآونة العصبية الى خدمة التمثيل من طريق النقد، وكانت الاجواق الهزلية فى ابان مجدها وعلى رأسها نجيب الريحانى مبتكر شخصية «كشكش بيك»، فبدأ تيمور كتابته بنقد نجيب الريحانى أظهر فيها بوضوح تام قيمة الروايات الابريت الهزلية التى يمثلها الريحانى وغيره وبعدها عن الفن الكوميدي الصحيح، ثم شرح العوامل الخفية التى أدت الى نجاح هذا النوع الخليع حتى تغلب على الفن الراقى. وكانت هذه المقالة التى كتبها تيمور عن الريحانى فاتحة لسلسلة مقالات أخرى نقدية عن أشهر الممثلين مثل الشيخ سلامه وأبيض ورشدى وعزيز وعكاشه وآخرين غيرهم. وأحدثت هذه المقالات رجة كبيرة فأعجب بها الادباء والمشتغلين بالفن اعجاباً شديداً لاحتوائها على الحقائق، وبعدها عن التحيز، وخالوها من الدم، فقد سلك فى كتابتها مسلك النقاد الحر الجرىء.

ولما رأى الفقيه اقبال الجمهور على التمثيل الابريت الهزلى الخليع وانصرافه عن الجدى بتراجيديه ودرامه وكوميديه ظن انه لو قدم للجمهور رواية كوميدى فنية خالية من الخلاعة أمكنه أن يجتذبه اليه رويداً، فألف رواية «عبد الستار افندى» باللغة العامية، وهى رواية قوية، متينة، محكمة، منعمة بالنكات الفكاهية والمواقف الجوفية. هى صورة

وظهرت في السفور قصائده العديدة ، وكتب في ذلك الحين قطعه المشهورة « ماتراه العيون » وغيرها . ثم استعفى في عهد عظمة مولانا السلطان فؤاد ورجع الى حياة المسرح ووجد عهد الأول في ليالى السر المختلفة . ولكنه لم يكده يبدأ هذه الحياة حتى ختمها الى الابد اذ كان على أبواب الزواج فاضطرته الظروف العائلية أن يهجر المسرح ويختم حياته التمثيلية . فبدأ من ذلك الحين يؤلف للمسرح وأتم روايته الأولى « العصفور في القفص » وأهداها الى فرقة رشدى فتمثلها بنجاح يغبط عليه وهتف له الجمهور في الليلة الأولى من تمثيلها اعترافا بفضله . كانت رواية « العصفور في القفص » ذات ثلاثة فصول مكتوبة باللغة العربية الفصحى ، ولكنه رأى فيما بعد ان يغير بعض حوادثها فكتبها باللغة العامية المصرية لانه وجدها أكثر انطباقاً لحوادث الرواية وأشخاصها ، ثم زادها فصلاً ختامياً .

ظلت فرقة رشدى تمثل الرواية ولكن تدهور التمثيل الجدى وقتئذ وعدم عناية الاجواق الجدية برواياتها حطت من قيمة الرواية كما حطت من قيمة كل الروايات الجدية الاخرى . ولم يستطع تيمور ولا خلافه ممن اهتموا باصلاح التمثيل وتهذيبه من مديد المساعدة لتلك الاجواق الجدية الهابطة بفنها الى الحضيض لان مرضاً قاسياً تنفث فيها وأصبح شفاؤها موكولاً للزمن . ولا يسمح لنا المقام هنا بشرح العوامل التي أدت الى انحطاط التمثيل الجدى ^(١) وانصراف الناس عنه ، فكلنا يعلم أن لاهمال

(١) انظر مقالات تيمور « التمثيل الفنى واللافنى »

الفقيد بر اهل عظيمة — فلم يعبأ تيمور الديقراطى الجرىء بكل هذا وأفصح عن رأيه جهاراً بحب الفن وعمل جهده على دفعه من مستواه وتهذيبه من شوائبه . ان الفن فى مصر منحط تحيط به الرذائل ولكنه محتاج الى أيد شريفة قوية جريئة لتنهض به . ليس من العار أن تنزل حيث الفن ثم تصعد به ، ولكن العار أن تنظر وأنت فى مكانك العالى الى الفن وهو فى هوته السحيقة فلا تبادر — وأنت المحب له — لانقاذه . ولا أغالى اذا قلت ان ذلك الالتفات الخاص نحو الفن فى مصر وانضمام طبقة من المتعلمين العاملين على احيائه كان نتيجة ذلك المجهود العظيم الذى قام به تيمور وأنصاره .

وقدم الروائى الاديب ابراهيم افندى رمزى روايته الوجدانية الرقيقة « عزة بنت الخليفة » لجمعية أنصار التمثيل فتمثلها الجمعية لأول مرة على مسرح باتيه ، ومثل تيمور دور « سيف الدين » بطل الرواية فنجح فى تمثيله . وكانت هذه الرواية أول رواية مثلها الفقيد على المسارح . ثم أعيد تمثيلها على مسرح الاوبرا فى ليلة الجمعية الخيرية الاسلامية فمثل الفقيد دوره أمام المغفور له السلطان حسين كامل الذى حضر تمثيل الرواية فى تلك الليلة . ثم أخرجت الجمعية بعد ذلك رواية العرائس لبيير ولف تعريف الاستاذ اسماعيل وهى المحامى رئيس الجمعية فى ذلك الوقت فنجح الفقيد فى تمثيل دوره نجاحاً عظيماً .

ولما توظف فى السراى السلطانية أميناً للمغفور له السلطان حسين قضت عليه الضرورة بترك المسرح فصرف جهده فى الكتابة نثراً ونظماً .

منولوجات تمثيلية من نظمه فكان هذا بدأ عمله كمثل وأراد الاستاذ عبد الرحيم أن يحضّر رواية همات بعد أن نجح نجاحه المعروف في رواية الممثل وطاب من الفقيه أن يشترك معه في تمثيل الرواية فقبل وبدأت الجمعية تعمل على اخراج همات ولكن مرض عبد الرحيم منهم من تمثيلها . ولما توفي عبد الرحيم وهو رئيس الجمعية وعمادها كادت الجمعية تنفكك لو لا سعى الفقيه وجماعته في لم شعنها . وأرادت الجمعية أن تخرج للجمهور ثمرة من ثمارها فاخترت رواية (تيمون الاثيني) لشا كسبير واختارت الفقيه لينقلها فنقلها الى العربية باشتراكه مع أحد أصدقائه ، ولما أنها ناولها لذلك الصديق وكان عميد الجمعية في ذلك الوقت فأضاعها . وكانت بعد ذلك فترة سكون لم تأت الجمعية أثناءها بأى عمل تمثيلي بدأ تيمور في ذلك الوقت ينظم المقاطيع النظامية الرقيقة وخص جريدة السفور بنشرها ، وكان هذا بدأ نظمه للشعر بعد رجوعه من أوروبا ولكن غرامه بالتمثيل كان يملأ قلبه فكان التفاته اليه أكبر وعنايته بنظم منولوجاته التمثيلية أهم . وكثرت حفلات السمر للنادي الاهلي ونادي الموسيقى ونادي موظفي الحكومة وغيرها فكانت لا تخلو حفلة من تلك الحفلات من منولوج من نظم الفقيه والقائه ، فاشتهر ذكره بين غواة التمثيل والقائمين به ، ولعل هذا أقوى مظهر من مظاهر ديمقراطية التي ظهرت آثارها الاولى حينما كان طالباً بالمدارس الثانوية ونمت وكبرت حينما عاش في فرنسا وتنسم نسيمها المشبع بالحرية والمساواة . أحب الفقيه الفن - والفن في مصر ناقص مبتور تشوبه الرزائل ومزلاته دون منزلة

وبرزت فيه شخصيته القوية تامة كاملة . هو الوقت الذى خدم فيه
الفقيد الادب والتمثيل خدماته الجليلة

ونحن اذا عددنا تلك الفترة الزمنية القصيرة بطور العمل فانما
نقصد طور البدء فى العمل لان تلك المجهودات العظيمة التى صرفها فى
هذا الطور على كبرها وعظم نتيجتها لم تكن الا الخطوة الاولى التى
خطاها فى سبيل مجده ، خطوة واحدة فى تلك الحياة خطاها وهو لم يتم
العقد الثالث من عمره

لم يستطع الفقيد الرجوع الى أوروبا عند أوبته الثالثة الى مصر
بسبب الحرب العظمى ولكنه كان موطئاً العزم على الرجوع الى
فرنسا فى زمن السلم فشغل وقته بالمطالعة فى الآداب الفرنسية والعربية ،
وكان أهمل الاخيرة حينما كان بفرنسا . ثم طرأت عليه فكرة الاشتغال
بالزراعة فدخل مدرسة الزراعة العليا ولكنه لم يمكث بها غير بضعة
شهور حتى تركها لانه وجد علومها مخالفة لاميله الادبية والفنية
كل المخالفة

وفى أول سنى الحرب تكونت فى مصر جمعية أنصار التمثيل أسسها
المرحوم الاستاذ عبد الرحيم المدرس بمدرسة السعيدية سابقاً فانضم
الفقيد اليها وكان صديقاً حميماً لعبد الرحيم ، وكانت الجمعية تعمل فى ذلك
الوقت على اخراج رواية (الممثل دافيد جرك) فساعدتها فى تحضيرها
وتمثيلها وان لم يشترك بنفسه فى تمثيل أى دور فيها . وكانت حفلات
السمر التى كان يقيمها النادى الاهلى فى بدشها ، فظهر فيها الفقيد بالقاء

جديداً للتمثيل فكان يطالب مني دائماً أن أوافيه في خطاباتي عن الحركة التمثيلية في مصر والروايات الجديدة التي ألقت أو عرّبت فكنت أكتب له كثيراً عن ذلك خصوصاً عن الحركة الإصلاحية الكبرى التي قام بها الاستاذ جورج ايض وانضم له فيها الممثلان الاديبان الاستاذ عبد الرحمن رشدي المحامي والكااتب الاديب فؤاد افندي سليم . فكان اعجابه بذلك شديداً . وحين عاد الى مصر تعرف بهؤلاء الابطال واتصل بهم

لم يأت تيمور بمجهود كتابي حينما كان في فرنسا بل اقتصر على المطالعة فكان يعد نفسه للعمل الجليل الذي بدأ به حين رجوعه الى مصر والذي منعه القدر من أن يتمه ، هذا اذا استثنينا بعض قطع نظمية في وصف مصر وشوقه وحنينه اليها وبعض مقالات في الاقتصاد السياسي نشرها في المؤيد في أول عهده بالاقامة في فرنسا ومقالة في الاهرام عنوانها الخوف من الحياة

الطور الثالث

الرجوع الى مصر (طور العمل)

هو أعم أطوار حياته وأظهرها أثراً ، هو طور العمل الناضج ونتيجة تلك الايام والسنين التي قضاه في تكوين نفسه وثقيفها . هو الزمن الذي نضج فيه فكره وتهيأت فيه مواهبه للوثوب الى الحياة والعمل فيها ،

ان تلك السنين القليلة التي صرفها تيمور في أوروبا وبالاخص في فرنسا كانت ذات أهمية كبرى في تكوينه النفسى ولا نخطئ اذا عددناها بعصر انتقاله . ان البيئة التي عاش فيها - بيئة الحرية والديمراطية والمساواة ، بيئة الاستقلال في الرأى والعمل والاعتماد على النفس ، بيئة الثورة الفكرية والعلم والنقد الصحيح ممدوجة بتلك المناظر الرائعة التي لاعهد لها - قد أثرت فيه تأثيراً شديداً قامت على أثرها في نفسه ثورة فكرية هائلة انتهت بذلك التطور الجديد الذى ظهر في كتاباته نثراً ونظماً فيما بعد . والذى ساعد على تلك الثورة الفكرية انصرافه بشغف شديد للمطالعة في آداب اللغة الفرنسية . كان قلبه في ذلك الوقت يلهب بنار الاصلاح للادب والمسرح المصرى وكانت خطاباته الى مفعمة بأرائه وأمياله في سبيل ذلك . تفتحت عيناه فرأى بعين غير عين أمس ذلك النقص الهائل في الادب العربى والمسرح المصرى فغير كثيراً من مذاهبه القديمة تيقن بخطئها وذلك مادعاها لاهمال كتاباته في طوره الاول لانها كانت تحوى بعض آراء وأفكار دون فكره في عصره الجديد . وان أهم فكرة اختمرت في رأسه ومازالت تكبر وتتسع « فكرة تمصير الآداب » أى أن تكون ذات صبغة مصرية والوان محلية بحتة . والذى يقرأ قطعه النثرية ورواياته المسرحية يجد الصبغة المصرية فيها ظاهرة للعيان أما أفكاره وأراؤه في التمثيل فقد تطورت كتطور أفكاره في الادب وازداد شغفه وميله اليه بعد أن رأى أهمية ذلك الفن في فرنسا ومقام القائمين به ممثلين كانوا أو مؤلفين وأمل أن يرى في مصر عهداً

الطور الثاني

مبانيه في أوربا (عهد الانتقال)

نال الفقيه شهادة البكالوريا وقصد برلين ليتعلم الطب ومكث هناك شهرين ولكنه سافر منها الى فرنسا ليتعلم القانون لظروف خاصة لاداعي لذكرها . لم يكن في الحقيقة ميالا لتعلم الطب أو القانون بل كان قلبه مشبعاً بحب الآداب ، وشهادة الآداب ليست بالشهادة التي ينظر اليها المصري بعين الرضى . فاضطر الفقيه أن يدرس القانون بالرغم منه ولكنه في الوقت نفسه كان يعمل للآداب فصرف جل وقته في المطالعة نثراً ونظماً . مكث في فرنسا متنقلاً بين ليون وباريس ثلاث سنوات لم يتم فيها علم القانون وكان يصرف من كل سنة شهراً أو شهرين في مصر بين عائلته فلما أن عاد ثالث دفعة وصرف كالمعتاد وقت الاجازة في مصر وأراد الرجوع لاتمام دروسه أوقفت الحرب العظمى (سنة ١٩١٤) أبواب البحر والبر فاضطر الى المسكوث في مصر صاغراً معاللاً النفس باتمهائها ليتيسر له الرجوع حيث كان ولكنه الحرب طالت فداخله اليأس والحزن على ضياع مستقبله وكانت هذه الفكرة متسلطة عليه لاآخر أيام حياته ولكنه لم يكن يعلم انه كان يبني مستقبلاً زاهراً لنفسه بتأليفه . وان ذلك العمل الخالد الذي كان يقيمه - عمله في الآداب لا في الحقوق - كان سبب مجده وعظمته

تردده كثيراً منذ الصغر على جوق الشيخ سلامه حجازى لمشاهدة رواياته . ولكن علاقته بهذا الفن حينما كان صغيراً لم تكن قاصرة على مشاهدة الروايات فحسب بل على تأليف فرق تمثيلية عائلية كان هو بطاها ومؤلفها التمثيلي

هذا مجمل لتاريخ الفقيه في طوره الاول أما الكلام على نشره ونظامه في ذلك الوقت فكما يلي : مقالاته في الجرائد وبالاخص في المؤيد كانت حسنة الاسلوب ذات مواضيع اجتماعية وأخلاقية تهتم الناس بتمتاز بتلك الروح المنبثة بمستقبل جميل في الكتابة والتحرير ونحن لا ننسى سلسلة مقالاته في الوطنية التي شرح فيها معنى الوطنية الحققة وكيف يكون المصرى وطنياً بعمله لا بقوله ، ولا سلسلة تلك المقالات الانتقادية التي انتقد فيها كثيراً من عوائدنا الخبيثة . أما قصائده فكان يحتذى فيها حدوا لا قدمين ويقيد نفسه بهم فلم تكن له شخصية ظاهرة فيها ولكنها كانت ذات أسلوب رشيق

كان نشره ونظمه في ذلك الوقت يفوق كثيراً ما نقرأه اليوم من نثر ونظم لكثير من الطلبة والمحرفين ولكن الفقيه أهمله اهمالا كبيراً بعد عودته من أوروبا حتى لم نثر على شيء منه في أوراقه لانه كان يعده عملاً ناقصاً لا أهمية له . والحقيقة أن البون كان شاسعاً بين كتاباته قبل سفره وبعد رجوعه وهذا يدل دلالة ساطعة على تأثير البيئة هناك على أفكاره وما اكتسبه من المطالعة في الآداب الفرنسية وتأثير امتزاجه بطبقة المتعلمين وغير ذلك مما سيأتى ذكره بعد حين

فكان يرى من أبيه قدوة حسنة يقتدى به واماماً صالحاً يحتذى حذوه
وكان يسمع دائماً عن شهرة عمته السيدة عائشة هانم النيمورية ومقامها
بين الشعراء وكان يحفظ وهو في الثامنة من عمره معلقة امرئ القيس
وبعض مقطوعات نظميه من شعر العرب بارشاد والده ومساعدته فنمت
ملكته النظم وكبر ميله للأدب فاستطاع أن يقرض الشعر وهو في
العاشرة من عمره وبدأ يكتب المقالات في الجرائد وهو لم يبرح المدرسة
الابتدائية . وكان محباً للصحافة يصرف وقت العطلة في تحرير الجرائد
المنزلية التي كان يعدها تسلياً له على تمضية الوقت . ولما انتقل الى المدرسة
الثانوية وتوسع في دراسة العلوم العربية من آداب ونحو وبلاغة وبيان ظهر
على أقرانه وتفوق عليهم في الإنشاء . ولم يقصر نفسه على دراسة الآداب
في المدرسة بل كان يطالع دواوين الأقدمين خصوصاً ديوان المتنبي
والمعري وأبي نواس فتحسن أسلوبه في النظم وارتقى فجعل ينظم غير
قصائده الخصوصية قصائد الترحيب والتكريم للاعبى الكرة من
المدارس المختلفة وكان يلقيها بنفسه في المقاصف التي كانت تعدها المدرسة ،
والفقيده وقتئذ أحد أفراد فرقة لاعبي الكرة لمدرسته ، وقصائد المدح
والثناء والوداع لاساتذته في نهاية السنين الدراسية حتى لقبوه الجميع
« بشاعر المدرسة الخديوية » أما كتاباته في الجرائد فكان يخص المؤيد
بمعظم مقالاته

أما علاقته بالتمثيل فقد كانت قوية منذ الصغر فقد تمكن حب هذا
الفن من فؤاده حتى صار جزءاً منه والذي ساعده على تقوية هذا الميل

أطوار حياته

أن حياة الفقيه تنقسم الى ثلاثة أطوار قصيرة الامد. الطور الاول منزله ومدرسته (أى حياته الاولى فى مصر) والطور الثانى حياته فى أوروبا وبالأخص فى فرنسا . والطور الثالث حياته الثانية فى مصر (بعد رجوعه من أوروبا) .

أما حياته الأولى فى مصر فقها تكونت مواهبه ونمت وساعدها على هذا النمو البيئة المنزلية . أما حياته فى أوروبا فقها تفتحت أعينه للجديد النافع وتشربت نفسه بالديموقراطية العالية والمساواة وامتلاً قلبه بالمطامع والآمال - آمال الهدم والبناء ، هدم انقديم الرث من المذاهب اجتماعيةً كانت أو أدبية . وبناء الصالح النافع من الأنظمة والمذاهب الجديدة . وطوره الأخير كان طور العمل فففيه ظهرت كتاباته ورواياته التى سنأتى على شرحها ليعرف القارئ قيمة الفقيه ومقامه الادبى فى مصر وتأثيره الفعال فى تطور المسرح المصرى

الطور الاول

الفقيه نأراً وناظراً

ان المواهب طبيعية لاتزرع فى عقول الاشخاص بل تمنح لهم منجاً وتخلق معهم خلقاً واعل للوراثة اكبر عامل فى تكوينها . وعلى هذا القياس أقول ان مواهب الفقيه الادبية تكونت بفعل الوراثة ثم نمت وكبرت بفعل البيئة المنزلية التى كانت أكبر مشجع ومساعد لها .

تاريخ حياته

في الرابع والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٢١ قضى الشاب النابه الاديب أمير المسرح المصرى محمد تيمور ولما يبلغ الثلاثين بعد . قضى وهو فى مبدأ حياة النضال والعمل وفى أول درجة من درجات مجده الذى بناه بعمله لا بحسبه . قضى وهو يسعى جهده فى سبيل تحقيق أمانيه الحلوة الطيبة أمانى الشباب العامل لاصلاح الادب المصرى والمسرح المصرى .

لم تكن تلك السنين القصيرة التى قضاها فى الحياة بكافية لان تتيله مبتغاه واكبتها كانت كافية لان تظهر شخصيته القوية النادرة التى كانت تنمو وريداً يغذيها ذلك الشعور العميق وتلك المواهب العقلية الثابتة . ان أهم ما يعنى به المترجم فى كتابته تواريخ الحياة هو معرفة أطوار حياة الشخص المراد ترجمة حياته وتأثير البيئات التى عاش فيها واطلاعه على امياله صغيراً وشاباً ورجلاً والأسباب التى ساعدت أو لم تساعد على نمو تلك الأميال فان مظاهر تلك الاميال فى حياة الشخص طفلاً كان أو غلاماً أعلى جانب عظيم من الاهمية فى معرفة مواهبه العقلية وشخصيته السكامة . ولعل لو نتبعت ذلك السبيل فى ترجمة حياة الفقيه أمكننى أن أعرض للقراء صورة حقيقية لحياته .

محلل التيمون

حياته واعماله

بقلم شقيقة

محيون ميون



محمد تيمور في العقد الثالث من عمره

هيئوا لي في باطن الأرض قبراً
في ظلام القبور راحة نفسي
وادفني في التراب ديوان شعري
فيه مكنون ما احتواه جنائي
هو بعضي فهل أموت وأنسى
ودعوني أنام تحت التراب
ومن النور شقوتي وعذابي
فوق قلمي المملوء بالأوصاب
وعزيز فراق ذلك الكتاب
في ظلام الحياة نور شبابي

محمد تيمور

الى أخى

لم أقم يوم تأييدك لأقل كلمتى عنك لأننى فى كل يوم أؤبئك
وأحدث عنك بعبرة فائضة مستديمة . ولم اكتب على صحائف الجرائد
رثاء لك لأن نفسى مازالت الى اليوم تكتب على صحائف قلبى رثاءك
الطويل .

كنت شقيقى فأمتعتنى حيناً بجنوك وعطفك ، وكنت أستاذى
فكونت نفسى بحسن ارشادك وتعاليمك ، وكنت صديقى فجعلت قلبى
مستودع أسرارك ونفسى مستقر مطامعك .

فلن تبرح مخيلتى « يا شقيقى » ما دام فى الدنيا حنو وعطف ، ولن
يتضاءل شبحك من رأسى « يا أستاذى » ما دامت نفسى هى نفسى
وشعورى هو شعورى ، ولن تفنّ ابتمامك من قلبى « يا صديقى »
ما دامت أسرارك منقوشة على فؤادى ومطامعك ممزوجة بدى .

الوداع .

شقيقك الباكي

محمود



محمد نيمور الصغير نجل المرحوم محمد بك نيمور
الطفل الذي لم يره أبوه

اهداء الكتاب

الى محمد تيمور الصغير

اليك يا بنى أهدي مؤلّف أبيك ، اليك أهدي خلاصة نفسه
ووميض روحه ، ذلك الكنز الخالد والارث الذي لا يفنى .
ان روحك مكتملة لروحه ، ونفسك متممة لنفسه ، فانظر الى عمل
أبيك الذي بدأه بعزم صادق ، وحقق آماله العالينه التي كانت تختلج
في فؤاده .

سر في سبيله مهتدياً برأيه مستنيراً بطامعه ، وابن مستقبلك على
ذلك الأساس الثابت الذي أفنى شبابه في اقامته .

كلا كما لم ير صاحبه !

ولكنك سوف تراه من بين ثنايا سطورره ، وسوف يراك من خلف
كلماته . سوف تشعر بنفسه فائضة من شعره ، وسوف يشعر بنفسك
مشبعة بعواطفه . فامعن النظر في هذه السطور والكلمات ، وأمزج
بدمك جمال الفن وروعته ، وابدأ من حيث وقف ، واتيهِ الى حيث كان
يطمع .

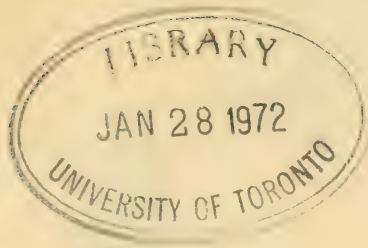
هكذا ستعرف أباك خالداً ، وسيعرفك عاملاً في المخلص

محمود تيمور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتاب « وميض لروح » الصرح الأول من مجهود الشاب
الراحل فقيده الأدب والمسرح المرحوم محمد تيمور ، أقدمه لجمهور الأدباء
والفنيين صورة لشعلة نفسه ، وخلاصة لمجهود شبابه

وقد ضمته شعره ونثره ، وصدرته برسالة عن تاريخ حياته وشرح
مؤلفاته ، يفهم منها القارئ نفس المؤلف فيستطيع أن يفهم أعماله من



PJ
7864
A54
1922
v.1

حقوق الطبع محفوظة للناسر

١٣٤٠ الطبعه الاولى ١٩٢٢

مطبعة الإعتما د بشاع حسن الأکبر صبر

Taymūr Muhammad

مؤلفات محمد تيمور

الجزء الاول

الجزء الاول

ومبعض الروح

Muallafat Muhammad Taymūr

لفقيه الادب والمشرح

المصنف
محمد تيمور



PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

PJ Taymur, Muhammad
7864 Mu'allafat Muhammad Taymur
A54
1922
v.1

